الدرر السنية في الأجوبة النجدية

مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام
من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا

جمع
الفقير إلى الله تعالى
عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي
الحنبلي رحمه الله
١٣١٢ - ١٣٩٢ هـ

الجزء الثالث

كتاب الأسماء والصفات

بسم الله الرحمن الرحيم

الدُّرَرُ السَّنِيَّة
في
الأجْوِبَة النَّجْدِيَّة
٣

الطّبعَة السَّادسَة

طبعَة جَديدَة مُنقحَة ومَزيدَة

١٤١٧هـ / ١٩٩٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب : الأسماء والصفات

قال الحبر الحجة الثقة ، الإمام الأعظم ، شيخ الإسلام والمسلمين ، محيـي السنة في العالمين ، الشيخ : محمد بن عبد الوهاب ، أجزل الله له الثواب.

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب ، إلى عبد الله بن سحيم حفظه الله تعالى ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، **أما بعد** : فقد وصل كتابك تطلب شيئاً من معنى كتاب المويس ، الذي أرسل لأهـل الوشم ، وأنـا أجيبـك عن الكتـاب جملة ، فـإن كـان الصواب فيه ، فنبهني وأرجع إلى الحق ، وإن كان الأمر كما ذكرت لك ، من غير مجازفة ، بل أنا مقتصر ؛ فالواجب على المؤمن : أن يدور مع الحق حيث دار ، وذلك أن كتابه مشتمل على الكـلام ، في ثـلاثـة أنـواع من العلوم ؛ الأول : علم الأسمـاء والصفـات ؛ الـذي يسمى : علم أصـول الـدين ؛ ويسمى أيضـاً : العقائـد ؛ والثاني : الكـلام على التوحيـد ، والشرك ؛ والثالث : الاقتداء بأهل العلم ، واتباع الأدلة ، وترك ذلك.

أما الأول : فإنه أنكر على أهل الوشم ، إنكارهم على من قال : ليس بجوهر ، ولا جسم ، ولا عرض ؛ وهذا الإنكار ، جمع فيه بين اثنتين ، إحداهما : أنه لم يفهم كلام ابن عيدان ، وصاحبه ؛ الثانية : أنه لم يفهم صورة المسألة ، وذلك : أن مذهب الإمام أحمد ، وغيره من السلف ، أنهم لا يتكلمون في هذا النوع ، إلا بما تكلم الله به ، ورسوله ، فما أثبته الله لنفسه ، أو أثبته رسوله ، أثبتوه ؛ مثل : الفوقية ، والاستواء ، والكلام والمجيء ، وغير ذلك ؛ وما نفاه الله عن نفسه ، ونفاه عنه رسوله ، نفوه ؛ مثل : المثل ، والند ، والسمي ، وغير ذلك.

وأما : ما لا يوجد عن الله ، ورسوله ، إثباته ، ولا نفيه ؛ مثل : الجوهر ، والجسم ، والعرض ؛ والجهة ، وغير ذلك ، لا يثبتونه ، فمن نفاه ، مثل صاحب الخطبة ، التي أنكرها ابن عيدان ، وصاحبه ، فهو عند أحمد ، والسلف مبتدع ؛ ومن أثبته ، مثل : هشام بن الحكم ، وغيره ، فهو عندهم مبتدع ؛ والواجب عندهم : السكوت عن هذا النوع ، اقتداء بالنبي ﷺ وأصحابه ، هذا معنى كلام الإمام أحمد ، الذي في رسالة : المويس ، أنه قال : لا أرى الكلام إلا ما ورد عن النبي ﷺ ، فمن العجب : استدلاله بكلام الإمام أحمد على ضده ؛ ومثله في ذلك ، كمثل حنفي ، يقول : الماء الكثير ، ولو بلغ قلتين ، ينجس بمجرد الملاقاة ، من غير تغير ؛ فإذا سئل عن الدليل ، قال قوله ﷺ : « الماء طهور لا ينجسه شيء » فيستدل

بدليل خصمه ، فهل يقول هذا ، من يفهم ما يقول ؟ وأنا أذكر لك كلام الحنابلة ، في هذه المسألة.

قال الشيخ : تقي الدين ــ بعد كلام له ، على من قال : إنه ليس بجوهر ، ولا عرض ، ككلام صاحب الخطبة ــ قال ، رحمه الله : فهذه الألفاظ ، لا يطلق إثباتها ، ولا نفيها ؛ كلفظ : الجوهر ، والجسم ، والتحيز ، والجهة ، ونحو ذلك ، من الألفاظ ، ولهذا : لما سئل ابن سريج ، عن التوحيد ، فذكر توحيد المسلمين ، قال : وأما توحيد أهل الباطل ، فهو الخوض في الجواهر ، والأعراض ؛ وإنما بعث النبي ﷺ بإنكار ذلك ؛ وكلام السلف ، والأئمة ، في ذم الكلام ، وأهله : مبسوط في غير هذا الموضع.

والمقصود : أن الأئمة ، كأحمد ، وغيره ، لما ذكر لهم أهل البدع ، الألفاظ المجملة ، كلفظ : الجسم ، والجوهر ، والحيز ، لم يوافقوهم ، لا على إطلاق الاثبات ، ولا على إطلاق النفي ؛ انتهى كلام الشيخ تقي الدين .

إذا تدبرت هذا ، عرفت : أن إنكار ابن عيدان ، وصاحبه ، على الخطيب: الكلام في هذا ، هو عين الصواب ، وقد اتبعا في ذلك إمامهما أحمد بن حنبل ، وغيره ، في إنكارهم ذلك على المبتدعة ، ففهم صاحبكم أنهما يريدان إثبات ضد ذلك ، وأن الله جسم ، وكذا ، وكذا ، تعالى الله عن ذلك ؛ وظن أيضاً : أن عقيدة أهل السنة ، هي نفي أنه لا جسم ، ولا

جوهر ، ولا كـذا ، ولا كذا ؛ وقـد تبين لكم الصواب ، أن عقيدة أهل السنة ، هي السكوت ؛ من أثبت بدّعوه ، ومن نفى بـدّعـوه ؛ فـالـذي يقـول : ليس بجسم ، ولا ، ولا ، هم : الجهمية ، والمعتزلـة ؛ والذين يثبتـون ذلك ، هـو : هشام ، وأصحابه ؛ والسلف بريئون من الجميع ؛ من أثبت بدّعـوه ، ومن نفى بدّعـوه ،

فالمويس ، لم يفهم كلام الأحياء ، ولا كلام الأموات ، وجعل النفي الذي ، هو مذهب الجهمية ، والمعتزلة ، مذهب السلف ؛ وظن أن من أنكـر النفي ، أنـه يـريـد الإثبــات ، كهشام وأتباعه؛ ولكن أعجب من ذلك: استدلاله على ما فهم، بكلام أحمد المتقدم ؛ ومن كلام أبي الوفاء ، ابن عقيل قال : أنـا أقطع أن أبـا بكر ، وعمـر ، ماتـا ، ما عـرفا الجـوهر ، والعرض ؛ فإن رأيت : أن طريقة أبي علي الجبـائي ، وأبي هـاشم ، خير لـك من طريقـة أبي بكر ، وعمـر ، فبئس مـا رأيت ، انتهى .

وصاحبكم يدعي : أن الرجل لا يكون من أهل السنة ، حتى يتبع أبا علي ، وأبا هاشم ، بنفي الجوهر ، والعرض ؛ فإن أنكر الكلام فيهما ، مثل أبي بكر ، وعمـر ، فهو عنـده على مذهب : هشام ، الرافضي ؛ فظهر بما قررناه : أن الخطيب ، الـذي يتكلم بنفي العرض ، والجـوهـر ، أخـذه من مـذهب الجهمية ، والمعتزلة ، وأن ابن عيدان ، وصاحبه أنكرا ذلك ، مثل ما أنكره : أحمد ، والعلماء ، كلهم ، على أهل البدع .

وقوله ، **في الكتاب** : ومذهب أهل السنة : إثبات من غير تعطيل ، ولا تجسيم ، ولا كيف ، ولا أين ، إلى آخره ؛ وهذا من أبين الأدلة ، على أنه لم يفهم عقيدة الحنابلة ، ولم يميز بينها وبين عقيدة المبتدعة؛ وذلك أن إنكار الأين ، من عقائد أهل الباطل ، وأهل السنة يثبتونه ، اتباعاً لرسول الله ﷺ ، كما في الصحيح ، أنه قال للجارية : « أين الله؟ » فزعم هذا الرجل أن إثباتها ، مذهب المبتدعة ؛ وأن إنكارها مذهب أهل السنة ، كما قيل ، وعكسه ، بعكسه ؛ وأما الجسم ، فتقدم الكلام : أن أهل الحق لا يثبتونه ، ولا ينفونه ؛ فغلط عليهم في إثباته ، وأما التعطيل ، والكيف ، فصدق في ذلك ، فجمع لكم أربعة ألفاظ ، نصفها حق من عقيدة الحق ، ونصفها باطل من عقيدة الباطل ، وساقها مساقاً واحداً ، وزعم : أنه مذهب أهل السنة ؛ فجهل وتناقض.

وقوله ، أيضاً : ويثبتون ما أثبته الرسول ﷺ ، من السمع ، والبصر ، والحياة ، والقدرة ، والإرادة ، والعلم ، والكلام ، إلى آخره ؛ وهذا ، أيضاً : من أعجب جهله وذلك : أن هذا مذهب طائفة ، من المبتدعة ، يثبتون الصفات السبع ، وينفون ما عداها ، ولو كان في كتاب الله ، ويؤلونه ؛ وأما أهل السنة ، فكل ما جاء عن الله ، ورسوله : أثبتوه ؛ وذلك صفات كثيرة ، لكن أظنه نقل هذا ، من كلام المبتدعة ، وهو لا يميز بين كلام أهل الحق ، من كلام أهل الباطل.

إذا تقرر هذا : فقد ثبت خطؤه من وجوه ؛ الأول : أنه

لم يفهم الرسالة ، التي بعثت إليه ؛ الثاني : أنه بهت أهلها ، بإثبات الجسم ، وغيره ؛ الثالث : أنه نسبهم إلى الرافضة ؛ ومعلوم : أن الرافضة من أبعد الناس ، عن هذا المذهب ، وأهله ؛ الرابع : أنه نسب من أنكر هذه الألفاظ ، إلى الرفض ، والتجسيم ؛ وقد تبين : أن الإمام أحمد ، وجميع السلف : ينكرونه ؛ فلازم كلامه : أن مذهب الإمام أحمد ، وجميع السلف : مجسمة ، على مذهب الرفض ، الخامس : أنه نسب كلامهما ، إلى الفرية الجسمية ؛ فجعل عقيدة إمامه ، وأهل السنة فرية جسمية ؛ السادس : أنه زعم أن البدع ، اشتعلت في عصر الإمام أحمد ، ثم ماتت حتى أحياها أهل : الوشم ؛ فمفهوم كلامه ، بل صريحه : أن عصر الإمام أحمد ، وأمثاله ، عصر البدع ، والضلال ؛ وعصر ابن إسماعيل : عصر السنة ، والحق ؛ السابع : أنه نسبهما إلى التعطيل ؛ والتعطيل إنما هو جحد الصفات ؛ الثامن : بهتهما أنهما نسبا من قبلهما من العلماء إلى التعطيل ، لكونهما أنكرا على خطيب من المبتدعة ، وهذا من البهتان الظاهر ؛ التاسع : أنه نسبهما إلى وراثة هشام الرافضي ؛ العاشر : أن المسلم أخو المسلم ، فإذا أخطأ أخوه ، نصحه سراً ، وبين له الصواب ، فإذا عاند أمكنه المجاهرة بالعداوة ؛ وهذا لما راسلاه ، صنف عليهما ما علمت ، وأرسله إلى البلدان ، إعرفوني ، إعرفوني ، فإني قد جئت من الشام .

وأما : **التناقض**، وكون كلامه : يكذب بعضه بعضاً ،

فمن وجوه ؛ منها : أنه نسبهما تارة إلى التجسيم ، وتارة إلى التعطيل ، ومعلوم : أن التعطيل ، ضد التجسيم ، وأهل هذا ، أعداء لأهل هذا ، والحق وسط بينهما ؛ ومنها : أنه نسبهما إلى الجهمية ، وإلى المجسمة ؛ والجهمية والمجسمة : بينهما من التناقض ، والتباعد ، كما بين السواد والبياض ، وأهل السنة وسط بينهما ؛ ومنها : أنه يقول مذهب أهل الحق ، إثبات الصفات ، ثم يقول : ولا أين ، ولا ، ولا ، وهذا تناقض ؛ ومنها : أنه يقول ، ما أثبته الله ورسوله أثبت ، ثم يخص ذلك بالصفات السبع ، فهذا عين التناقض.

فعقيدته : التي نسب لأهل السنة ، جمعها من نحو أربع فرق ، من المبتدعة ، يناقض بعضهم بعضاً ، ويسب بعضهم بعضاً ؛ ولو فهمت حقيقة هذه العقيدة ، لجعلتها ضحكة ؛ ومنها : أنه يذكر عن أحمد ، أن الكلام في هذه الأشياء مذموم ، إلا ما نقل عن رسول الله ﷺ وأصحابه وتابعيهم ، ثم ينقل لكم إثبات كلام المبتدعة ، ونفيهم ، ويتكلم بهذه العقيدة المعكوسة ، ويزعم : أنها عقيدة أهل الحق ؛ هذا ما تيسر كتابته عجلاً ، على السراج في الليل .

والمأمول فيك : أنك تنظر فيها بعين البصيرة ، وتتأمل هذا الأمر ، واعرض هذا عليه ، واطلب منه الجواب عن كل كلمة من هذا ، فإن أجابك بشيء فاكتبه ، وإن عرفته باطلاً ، وإلا فراجعني فيه أبينه لك ، ولا تستحقر هذا الأمر ؛ فإن

حرصت عليه جداً ، عرفك عقيدة الإمام أحمد ، وأهل السنة ، وعقيدة المبتدعة ، وصارت هذه الواقعة : أنفع لك من القراءة في علم العقائد ، شهرين أو ثلاثة ، بسبب : أن الخطأ ، والاختلاف ، مما يوضح الحق ، ويبين الخطأ فيه.

وسئل : عن قول الشيخ ، في تسمية المعبودات أرباباً ، إذ الرب يطلق على المالك ، والمعبود ، وعلى الإله ، وكل اسم من أسمائه جل وعلا ، له معنى يخصه بالتخصيص ، دون التداخل والتعميم.

فأجاب : الرب ، والإله ، في صفة الله تبارك وتعالى ، متلازمة ، غير مترادفة ؛ فالرب ، من الملك ، والتربية بالنعم ؛ والإله ، من التأله ، وهو القصد ، لجلب النفع ، ودفع الضر بالعبادة ؛ وكانت العرب تطلق الرب على : الإله ، فسموا معبوداتهم أرباباً ، لأجل ذلك ، أي : لكونهم يسمون الله رباً ، بمعنى إلهاً ، والله أعلم.

سئل : أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والشيخ : حمد بن ناصر رحمه الله تعالى ، عن آيات الصفات ، الواردة في الكتاب ، كقوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) [طه : ٥] وكذلك ، قوله : (ولتصنع على عيني) [طه : ٣٩] وقوله : (بأعيننا) [القمر : ١٤] وقوله : (أسمع وأرى) [طه : ٤٦] وقوله : (بل يداه مبسوطتان) [المائدة : ٦٤] وقوله : (لما خلقت بيديَّ) [ص: ٧٥] وقوله : (وجاء

ربك والملك صفاً صفاً) [الفجر : ٢٢] وقـوله : (والأرض جميعـاً قبضته يـوم القيامـة) [الزمـر : ٦٧] وغير ذلـك في القرآن ؛ ومن السنة قوله ﷺ : « قلب المؤمن بين أصبعين، من أصـابع الـرحمن » وكـذلـك : النفس ، وقـولـه : « إن ربكم ليضحك » وقوله : « حتى يضع رجله فيها ، فتقول : قط قط » وغير ذلك مما لا يحصره هذا القرطاس، على ما تحملون هذه الآيات ، وهذه الأحاديث في الصفات ؟.

فأجابوا بما نصه:

الحمـد لله رب العالمين ، قـولنـا فيهـا : مـا قـال الله ورسوله ، وما أجمع عليه سلف الأمة ، وأئمتهـا من أصحاب رسول الله ﷺ ، ومن اتبعهم بإحسان ، وهو : الإقرار بذلك ؛ والإيمان من غير تحـريف ولا تعطيـل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، كما قال الإمام مالك ، لما سئل عن قوله : (الرحمن على العـرش استوى) كيف استوى؟ فـاطـرق مـالـك ، وعلتـه الرحضاء ، يعني : العرق ، وانتظر القـوم مايجيء منـه فيه ؛ فرفع رأسه إليه ، وقال : الاستواء غير مجهول ؛ والكيف غيـر معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ؛ واحسبـك رجل سوء ؛ وأمر به فأخرج ؛ ومن أول الاستواء ، بالاستيلاء ، فقد أجاب ، بغير ما أجاب به مالك ، وسلك غير سبيله.

وهذا الجواب من مالك ، في الاستواء ، شاف ، كاف ، في جميـع **الصفات** ؛ مثـل : النـزول ، والمجيء ، واليـد ،

والوجه ، وغيرها ؛ فيقال في النزول : النزول معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ؛ وهذا يقال في سائر الصفات ، الواردة في الكتاب ، والسنة ، وثبت عن محمد بن الحسن ، صاحب أبي حنيفة ، أنه قال : اتفق الفقهاء كلهم ، من الشرق إلى الغرب ، على الإيمان بالقرآن ، والأحاديث ، التي جاء بها الثقات ، عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل ، من غير تفسير ، ولا تشبيه ، فمن فسر شيئاً من ذلك ، فقد خرج عما كان عليه النبي ﷺ ، وفارق الجماعة ، فإنهم لم يشبهوا ، ولم يفسروا ، ولكن آمنوا بما في الكتاب ، والسنة ، فمن قال بقول جهم ، فارق الجماعة ، انتهى كلامه.

وقد قال تعالى : (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى) الآية [النساء : ١١٥] وهذا أمر قد اتفق عليه السلف ، والأئمة ، رضي الله عنهم ، ولكن الذين في قلوبهم زيغ ، من أهل الأهواء ، والبدع ، كالجهمية ، والمعتزلة ، ومن اتبعهم من المتأخرين : لا يفهمون من صفات الله ، الواردة في الكتاب ، والسنة ، إلا التأويلات المستكرهة ؛ ويجحدون ما وصف الله به نفسه ، ووصفه به رسوله.

وما أحسن ما قال نعيم بن حماد ، شيخ البخاري : من شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه ، فقد كفر ؛ وليس ما وصف الله به نفسه ، ورسوله ، تشبيهاً ؛ وقد قال الله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)

[الشورى : ١١] فقوله : (ليس كمثله شيء) رد على المشبهة ، وقوله : (وهو السميع البصير) رد على المعطلة ؛ والكلام في الصفات ، فرع عن الكلام في الذات ، فكما أن المؤمنين يقولون في ذات الله : لا تشبه الذوات ؛ فكذلك يقولون في صفات الله : لا تشبه الصفات.

فصل:

وأما القرآن ، فهو صفة لله غير مخلوق ، منه بدا ، وإليه يعود ، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ، من هذه الأمة ، من الصحابة ، والتابعين لهم بإحسان ، والله سبحانه وتعالى ، هو الذي تكلم به ، وسمعه جبرائيل من الله ، وبلغه جبرائيل إلى محمد ؛ وبلغه محمد ﷺ إلى أمته ، فالكلام كلام الباري ، والصوت صوت القاري ؛ وهذا أمر مفهوم ، معقول عند من لم تغير فطرته ، التي فطره الله عليها ، كما يقال : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى » هذا كلام رسول الله ، وأما الصوت ، والنغمة ، والحركة ، فهو : صوت المبلغ ، ونغمته وحركته ؛ وقد قال تعالى :(كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) [هود : ١] وقوله تعالى : (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) [الزمر : ١] وقوله تعالى : (حم ، تنزيل من الرحمن الرحيم) [فصلت : ١ ـ ٢] وقوله تعالى : (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) [التوبة : ٦].

وأما قوله تعالى : (إنه لقول رسول كريم ، ذي قوة عند

ذي العرش مكين) [التكوير : ١٩ ، ٢٠] الآية فقال العلماء رحمهم الله : أضافه سبحانه إلى جبرائيل إضافة تبليغ ، لأنه هو الذي بلغه إلى محمد ﷺ رداً على المشركين ، الذين يقولون : إنه تعلمه من الشيطان ، أو من البشر ، كما أضافه إلى محمد ﷺ ، كآية : الحاقة ، إضافة تبليغ ، لا إضافة إنشاء ، قال تعالى :(إنه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ، ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون ، تنزيل من رب العالمين) [الحاقة : ٤٠ ـ ٤٣] فتارة يضيفه سبحانه إلى الرسول الملكي ، كما في : سُوَرٍ ؛ وتارة يضيفه إلى الرسول البشري ، كما في : الحاقة ، وأما الذي تكلم به ابتداء ، وإنشاء ، فهو الله سبحانه وتعالى.

فصل:

واعلم أن صفة الكلام لله تعالى ، قديمة أزلية ، لا ابتداء لها ، كسائر صفات الله تعالى ، من الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، وسائر الصفات ؛ لأنه تبارك وتعالى ، هو الأول فليس قبله شيء ، بجميع صفاته ، لم تتجدد بوصفه ، كما يقوله بعض أهل الأهواء ، والبدع ، من الكرامية ، ومن سلك سبيلهم.

وأما أهل السنة ، والجماعة ، فمجمعون على ما ذكرنا ، من أن الله تعالى ، قديم بجميع صفاته ، الكلام وغيره ، قال الإمام أحمد رحمه الله ، في كتاب : الرد على الزنادقة

والجهمية ؛ لم يزل الله تعالى متكلماً إذا شاء ، ومتى شاء ؛ ولا نقول : إنه كان لا يتكلم حتى خلقه ؛ ولا نقول : إنه قد كان لا يعلم ، حتى خلق علماً يعلم ، ولا نقول : إنه قد كان ولا قدرة ، حتى خلق لنفسه قدرة ؛ ولا نقول : إنه قد كان ولا نور له ، حتى خلق لنفسه نوراً ؛ ولا نقول : إنه قد كان ولا عظمة ، حتى خلق لنفسه عظمة ، انتهى كلامه.

وهذا الذي قاله إمام السنة ، والجماعة ، هو : الصواب ، الذي لا يجوز غيره ؛ والقرآن : تكلم به سبحانه بمشيئته وقدرته ، وذلك أن أهل السنة والجماعة ، يثبتون الأفعال الإختيارية ، من الكلام وغيره من الصفات ، كما أنه سبحانه كلم موسى بمشيئته ، وقدرته ؛ ويكلم من شاء من خلقه ، بمشيئته وقدرته ، إذا شاء ، ومتى شاء ، بلا كيف ، والله أعلم.

المسألة الثانية : أن الإمام الغزالي ، من أئمة السنة ، ومن أكابر المصنفين ، وصنف : إحياء علوم الدين ، فهل تنقمون على هذا الكتاب شيئاً ، مخالفاً لما جاء به الكتاب؟.

الجواب : أبو حامد ، رحمه الله ، كما قال فيه بعض أئمة الإسلام : تجد أبا حامد ، مع ما له من العلم ، والفقه ، والتصوف ، والكلام ، والأصول ، وغير ذلك ، ومع الزهد ، والعبادة ، وحسن القصد ، وتبحره في العلوم الإسلامية ، يذكر في كتاب : الأربعين ، ونحوه ، ككتاب :« المظنون به على غير

أهـله » فـإذا طلبت ذلك الكتـاب ، وجدتـه قـول الصـابئـة ، المتفلسفة بعينه ، قد غيرت عباراته ــ إلى أن قال : ــ فإن أبا حامد كثيراً ما يحيل على ذلك : النور الإلَهي ؛ وعلى ما يعتقد أنه يوجد للصوفية والعباد ، برياضتهم ، وديانتهم ، من إدراك الحقائق ، وكشفها لهم ، حتى يزنوا بذلك ما ورد به الشرع ؛ وسبب ذلـك : أنه قد علم بـذكائـه ، وصدق طلبـه ، ما في طـريق المتكلمين والمتفلسفـة ، من الاضـطراب ــ إلى أن قال : ــ ولهذا كان كثير الذم لهذه الحوائل ، وإنما ذلك لعلمه الذي سلكه ، والذي حجب به ، عن حقيقة المتابعة للرسالة ، وليس هو بعلم ؛ قال أبـو يوسف : من طلب العلم بـالكلام تزندق ؛ ولهذا صار طائفة ممن يرى فضيلته وديانته ، يدفعون وجود هذه الكتب عنه.

وأما : أهل الخبرة به ، وبحاله ، فيعلمون أن هذا كله كلامه ، لعلمهم بمراد كلامه ، ومشابهة بعضه بعضـاً ، ولكن كان هو وأمثاله كما قدمت ، مضـطربين لا يثبتون على قـول ثابت ، لأنه ليس عندهم من الذكاء والطلب ، ما يتعرفون به إلى طـريـق خاصة هذه الأمة ، من الذين ورثـوا من الرسـول العلم والإيمان ، وهم أهل حقائق الإيمان ، والقـرآن ؛ وهم أهل الفهم لكتاب الله ، والفهم لحديث رسول الله ﷺ.

ولهذا : كان أبو عمرو ابن الصلاح ، يقول فيمـا رأيت بخطه : أبو حامد كثر القول فيه ، ومنه ؛ فأما هذه الكتب ــ يعني المخالفة للحق ــ فلا يلتفت إليها ، وأما الرجل فيسكت

عنه ، ويفوض أمره إلى الله ؛ ومقصوده : أنه لا يذكر بسوء ، لأن عفو الله عن الناسي ، والمخطىء ، وتوبة المذنب ، تأتي على كل ذنب ، ولأن مغفرة الله بالحساب منه ، ومن غيره ، وتكفيره الذنوب بالمصائب ، تأتي على محقق الذنوب ؛ فلا يقدم الإنسان على انتفاء ذلك في حق معين ، إلا ببصيرة ، لا سيما مع كثرة الإحسان ، والعلم الصحيح ، والعمل الصالح ، والقصد الحسن.

وهو رحمه الله : يميل إلى الفلسفة ، لكنه أظهره في قالب التصوف ، والعبارات الإسلامية ؛ ولهذا رد عليه علماء المسلمين ، حتى أخص أصحابه ، أبو بكر ، ابن العربي المالكي ، قال فيه : أبو حامد دخل في بطن الفلاسفة ، ثم أراد أن يخرج منهم فما قدر ؛ ورد عليه أبو عبد الله المازري ، وأبو بكر الطرطوشي ، وأبو الحسن المرغيناني ،رفيقه ، والشيخ أبو البيان ، والشيخ أبو عمرو ابن الصلاح ، وحذر من كلامه في ذلك ، وأبو زكريا : النواوي ، وابن عقيل ، وابن الجوزي ، وأبو محمد المقدسي ، وغيرهم.

وأما كتابه : الإحياء ؛ فمنه ما هو مردود عليه ، ومنه ما هو مقبول ، ومنه ما هو متنازع فيه ، وفيه فوائد كثيرة ، لكن فيه موارد مذمومة ، فإن فيه موارد فاسدة ، من كلام الفلاسفة ، تتعلق بالتوحيد ، والنبوة والمعاد ، فإذا ذكرت معارف الصوفية ، كان بمنزلة من أخذ عدواً للمسلمين ، فألبسه ثياب المسلمين ؛ وقد أنكر أئمة الدين ، على أبي حامد هذا في كتبه ، وقالوا :

أمرضه الشفاء ، وفيه أحاديث وآثار موضوعة ، وفيه أشياء من أغاليط الصوفية ، وفيه أشياء من كلام العارفين المستقيمين ، وفيه من أعمال القلوب ، الموافق للكتاب والسنة ، ما هو أكثر مما يرد منه ، فلهذا : اختلف فيه اجتهاد الناس ، انتهى ملخصاً.

وفيما ذكرنا يتبين لك حال هذا الرجل ، وحال كتابه ، في إحياء علوم الدين ، وهذا غاية ما نعتقده فيه ، لا نرفعه فوق منزلته ، فعل الغالين ، ولا نضعه من درجته ، كما وضعه بعض المقصرين ، فإن من الناس من يغلو فيه ، وفي كلامه الغلو العظيم ؛ ومنهم من يذمه ، ويهدر محاسنه ، ويرى تحريق كتابه ، وسمعنا أن منهم من يقول : ليس هذا إحياء علوم الدين ، بل إماتة علوم الدين ، والصراط المستقيم : حسنة بين سيئتين ، وهدى بين ضلالتين.

وورد عليهم سؤال ، هذا نصه:

بلغنا : أنكم تكفرون أناساً من العلماء المتقدمين ، مثل ابن الفارض ، وغيره ، وهو مشهور بالعلم ، من أهل السنة.

فأجابوا : ما ذكرت أنا نكفر ناساً من المتقدمين ، وغيرهم ، فهذا من البهتان الذي أشاعه عنا أعداؤنا ، ليجتالوا به الناس عن الصراط المستقيم ، كما نسبوا إلينا غير ذلك من البهتان أشياء كثيرة ، وجوابنا عليها أن نقول : ﴿ سبحانك هذا بهتان عظيم ﴾ [النور : ١٦] ونحن لا نكفر إلا رجلاً عرف

الحق وأنكره ، بعد ما قامت عليـه الحجة ، ودعي إليـه فلم يقبل ، وتمرد ، وعاند ، وما ذكر عنا من أنا نكفر غير من هذا حاله ، فهو كذب علينا.

وأما : ابن الفارض ، وأمثاله ، من الاتحادية ، فليسـوا من أهـل السنة ، بـل لهم مقالات ، شنـع بهـا عليهم أهـل السنة ، وذكروا أن هذه الأقوال المنسوبة إليه ، كفريات ، منها قول : ابن الفارض ، في التائية ، شعراً:

وإن خر للأصنام في البيد عاكف فـلا تعني بـالإنكـار للعصبيـة
وإن عبد النار المجوس فما انطفت كما جاء في الأخبار من ألف حجة
فما عبدوا غيري وما كان قصدهم سواي وإن لم يضمروا عقد نية

فمن أهـل العلم من أساء بـه الظن ، بهـذه الألفـاظ ، وأمثالها ، ومنهم من تأول ألفاظه ، وحملها على غير ظاهرها ، وأحسن فيه الظن ، ومن أهـل العلم والدين ، من أجـرى ما صدر منه على ظاهره ، وقال : هذه الأشعار ونحوها ، تتضمن مذهب أهل الاتحاد ؛ من القائلين بوحدة الوجود ، والحلول ، كقصيدته المسماة : نظم السلوك ، ومثـل كثير من شعـر ابن إسـرائيـل ، وابن عـربي ، وابن سبعين ، والتلمسـاني ، ومـا يوافقها من النثر ، الموافق لمعناها.

فهذه الأشعار : من فهمها ، علم أنها كفر وإلحاد ، وأنها مناقضة للعقل والدين ، ومن لم يفهمها ، وعظم أهلها ، كان بمنزلة من سمع كلاماً لا يفهمه ، وعظمه ، وكان ذلك من دين

اليهود والنصارى ، والمشركين ؛ وإن أراد أن يحرفها ويبدل مقصودهم بها ، كان من الكذابين البهاتين ، المحرفين لكلم هؤلاء عن مواضعه ، فلا يعظم هؤلاء وكلامهم ، إلا أحد رجلين : جاهل ضال ، أو زنديق منافق ؛ وإلا فمن كان مؤمناً بالله ، ورسوله ، عالماً بمعاني كلامهم ، لا يقع منه إلا بغض هذا الكلام وإنكاره ، والتحذير منه ، وهذا كقول ابن الفارض:

لها صلاتي في المقام أقيمها وأشهد فيها أنها لي صلت
كلانا مصل واحد ساجد إلى حقيقته بالجمع في كل سجدت
وما كان لي صلى سواي ولم تكن صلاتي لغيري في أداء كل ركعة
وما زلت إياها وإياي لم تزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبت
إليّ رسولا كنت مني مرسلا وذاتي بآياتي علي استدلت
وقد رفعت تاء المخاطب بيننا وفي فرقها عن فرقة الفرق رفعت
فإن دعيت كنت المجيب ، وإن أكن منادى أجابت من دعاني ولبت
وإن نال بالتنزيل محراب مسجد فما نال بالإنجيل هيكل بعثت

وإن خر للأصنام . . . الخ ، البيت السابق ، وذكر أبياتاً لابن إسرائيل وغيره ، ثم قال : وحقيقة قول هؤلاء أنهم قالوا في مجموع الوجود ، أعظم مما قالته النصارى في المسيح ، فإن النصارى ادعوا أن اللاهوت الذي هو الله ، اتحد مع الناسوت وهو ناسوت المسيح ، أو حل فيه ، مع كفرهم الذي أخبر الله به ، كما قال : (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) [المائدة : ١٧] فهم مع هذا الكفر ، يقرون أن الله خلق السماوات والأرض ، وأنه مغاير للسماوات

والأرض ، ويقولون : إنه قد حل في المسيح ، واتحد به ، وهؤلاء يقولون : بالحلول ، والاتحاد ، في جميع العالم ، ولا يقرون أن للعالم صانعاً مبايناً له ، بل يقولون : وجود المخلوق ، هو وجود الخالق ؛ ويقولون في جميع المخلوقات ، نظير قول النصارى في المسيح ، لكن النصارى : يثبتون خالقاً كان مبايناً للمسيح ، وهؤلاء لا يثبتون خالقاً مبايناً للمخلوقات ، فقولهم أعظم حلولاً واتحاداً ، وأكبر فساداً وإلحاداً من قول النصارى انتهى .

فتأمل : كونه رحمه الله أطلق على هذا القول أنه كفر ، ولم يتعرض لتكفير قائله ، فافهم الفرق ، لأن إطلاق الكفر على المعين ، الذي لم تقم عليه الحجة ، لا يجوز ، وأظن هذا الإمام الذي قال فيهم هذا الكلام رحمه الله ، ظن أن الحجة لم تقم على قائل هذا الكلام ، وأن ابن الفارض ، وأمثاله ، لجهالتهم : لا يعلمون ما في كلامهم ، ومذهبهم من الكفر ، ومن أحسن فيهم الظن ، من العلماء ، كما قدمنا ، حمل كلامهم على محامل غير هذه ، وأولها تأويلاً حسناً ، على غير ظاهرها .

وقال السائل ، أيضاً : السنوسي المغربي ، مصنف السنوسية ، هو من أئمة أهل السنة والجماعة ، وتكلم بالسنوسية المعروفة بعلم الصفات ، فهل تنقمون عليه شيئاً من ذلك ؟ الخ .

الجواب : السنوسي ليس من أئمة السنة والجماعة ، فإن

أهل السنة والجماعة ، هم الذين نعتهم النبي ﷺ لما ذكر « أن بني إسرائيل افترقت على ثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة » قالوا من هي يا رسول الله ؟ قال : « من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي » والسنوسي المذكور ، صنف كتابه : أم البراهين ، على مذهب الأشاعرة ، وفيها أشياء كثيرة ، مخالفة ما عليه أهل السنة ، فإن الأشاعرة ، قد خالفوا ما عليه السلف الصالح في مسائل : منها مسألة العلو ، ومسألة الصفات ، ومسألة الحرف والصوت.

فالسلف ، والأئمة يصفون الله بما وصف به نفسه ، في كتابه ، وعلى لسان رسوله ﷺ ، من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ، ولا تمثيل ، بل يثبتون ما أثبت لنفسه من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، ويعلمون أنه ليس كمثله شيء ، لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، فإنه كما أن ذاته ليست كالذوات المخلوقات ، فصفاته ليست كالصفات المخلوقات ، بل هو سبحانه موصوف بصفات الكمال ، منزه عن كل نقص وعيب ، فهم متفقون على أن الله فوق سماواته ، على عرشه ، بائن من خلقه ، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته .

وقد قال مالك بن أنس : إن الله في السماء ، وعلمه في كل مكان ؛ وقالوا لعبد الله بن المبارك : بماذا نعرف ربنا ؟ قال : بأنه فوق سماواته ، على عرشه ، بائن من خلقه ؛ وقال

أحمد بن حنبل كما قال هذا ، وهذا ؛ وقال الشافعي خلافة أبي بكر حق ، قضاها الله فوق سماواته ، وجمع عليها قلوب أوليائه ، وقال الأوزاعي : كنا والتابعون متوافرون ،نقول بأن الله فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته.

والسنوسي : قد خالف أئمة السنة ، في هذه المسألة ؛ وعبارته في أم البراهين ، قال : ومما تستحيل في صفته تعالى : عشرون صفة ، فذكر منها ، وأن يكون في جهة ؛ قال الشارح لها ، وهو محمد بن عمر التلمساني ، هذا أيضاً ، من أنواع المماثلة المستحيلة ، وهي : كونه تعالى في جهة ، فلا يقال : إنه تعالى فوق العرش ؛ فقد تبين لك مخالفته السلف الصالح ؛ ومنها : مسألة الصفات ، فإن السنوسي أثبت الصفات السبع ، فقط.

وأما أهل السنة والجماعة : فيصفون الله بجميع ما وصف به نفسه ، كما يليق بجلاله وعظمته ، فيثبتون النزول ، كما وردت بذلك السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا ، حين يبقى ثلث الليل » الخ ؛ ويثبتون صفة اليدين ، كما يليق بجلاله وعظمته ، وكذلك صفة الوجه الكريم ، كما يليق بجلاله وعظمته ، وكذلك الضحك الذي وردت به السنة ، والتعجب ، والغضب ، والرضى ، والقبضتان ، والأصابع ؛ فيصفون الله بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ؛ ولا يفهمون من جميع ذلك ، إلا ما يليق بالله وعظمته ، لا ما يليق بالمخلوقات ، من

الأعضاء ، والجوارح ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فيحصل بذلك : إثبات ما وصف به نفسه في كتابه ، وفي سنة رسوله ﷺ ، ويحصل أيضاً : نفي التشبيه ، والتكييف في صفاته ، ويحصل أيضاً : ترك التأويل ، والتحريف ، المؤدي إلى التعطيل ، ويحصل أيضاً : إثبات الصفات على ما يليق بجلال الله وعظمته ، لا على ما نعقله نحن من صفات المخلوقين ؛ وأما الأشاعرة : فيؤلون النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ، فيؤلون الإستواء ، بالاستيلاء ، والنزول ، بنزول الأمر ، واليدين ، بالقدرتين ، والنعمتين ؛ والقدم ، بقدم صدق ؛ وأمثال ذلك.

وأما أهل السنة والجماعة ، فيصفون الله بهذه الصفات ، وغيرها ، مما وصف به نفسه ، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ولا يكيفون ، ولا يشبهون ؛ والكلام عندهم في الصفات ، فرع على الكلام في الذات ، فكما أن ذاته لا تشبه ذوات خلقه ، فكذلك صفاته لا تشبه صفات خلقه ، فإذا ثبت وصفه تعالى بالصفات السبع ، على ما يليق بجلاله ، فكذلك باقي الصفات .

وأما : **مسألة** الحرف ، والصوت ، فتساق هذا المساق ؛ فإن الله تعالى : قد تكلم بالقرآن المجيد ، وبجميع حروفه ، فقال : (الم) وقال : (المص) وقال : (ق) وكذلك جاء في الحديث « فينادي يوم القيامة بصوت يسمعه من بعد ، كما يسمعه من قرب » وفي الحديث « لا أقول(الم) حرف ، ولكن

ألف حــرف ، ولام حــرف ، وميم حــرف » فهؤلاء ، أي : الأشاعرة ، مـا فهموا من كـلام الله ، إلا ما فهمـوا من كلام المخلوقين ، فقالوا : إذا قلنا بالحرف ، أدى ذلك إلى القول بالجوارح ، واللهوات ؛ وكذلك : إذا قلنا بالصوت ، أدى ذلك إلى الحلق ، والحنجرة ، عملوا في هذا من التخبيط ، كما عملوا فيما تقدم من الصفات.

والتحقيق هو : أن الله تكلم بالحروف ، كما يليق بجلاله وعظمته ؛ فإنه قادر ، لا يحتاج إلى جوارح ، ولا إلى لهوات ؛ وكذلك : له صوت كما يليق به ، يسمع ، ولا يفتقر ذلك الصوت المقدس ، إلى الحلق والحنجرة ؛ كلام الله يليق به ، وصوته كما يليق به ؛ ولا ننفي الحروف والصوت عن كلامه ، لافتقارهما هنا إلى الجوارح ، واللهوات ، فإنهما في جناب الحق : لا يفتقران إلى ذلك ، وهذا ينشرح الصدر له ، ويستريح الإنسان به ، من التعسف والتكلف ؛ لا قوله : هذا عبارة عن ذلك.

فإن قيل : هذا الذي يقرأ القارىء ، هو عين قراءة الله ، وعين تكلمه به هو؟

قلنا : لا ، بل القارىء يؤدي كلام الله ؛ والكلام إنما ينسب إلى من قاله مبتدياً ، لا إلى من قاله مؤدياً مبلغاً ، ولفظ القاري في غير القرآن مخلوق ، وفي غير القرآن : لا يتميز اللفظ المؤدي ، عن الكلام المؤدى عنه ؛ ولهذا : منع

السلف ، عن قول : لفظي بالقرآن مخلوق ؛ لأنه يتميز ، كما منعوا عن قول : لفظي بالقرآن غير مخلوق ؛ فإن لفظ العبد في غير التلاوة مخلوق ، وفي التلاوة مسكوت عنه ، لئلا يؤدي الكلام في ذلك إلى القول بخلق القرآن ؛ وأما : ما أمر السلف بالسكوت عنه ، فيجب السكوت عنه ، انتهى من قول : بعض مشائخ الإسلام.

وسئل أيضاً : أبناء الشيخ ، وحمد بن ناصر ، عن الرؤية:

فأجابوا : وأما رؤية الله تعالى يوم القيامة ، فهي ثابتة عندنا ، وأجمع عليها أهل السنة والجماعة ، والدليل على ذلك : الكتاب والسنة ، والاجماع ؛ أما الكتاب ، فقوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) [القيامة : ٢٢ ، ٢٣] وقال المفسرون ، المعنى : أنها تنظر إلى الله عز وجل ، كرامة لهم من الله ، ومن أعظم ما يتنعم به أهل الجنة يوم القيامة ، كما ورد ذلك في الأحاديث عن رسول الله ﷺ ، وقال تعالى : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) [المطففين : ١٥] ووجه الدلالة ، من هذه الآية الكريمة : أن الله أخبر أن الكفار يحجبون عن الله ، فدل ذلك على أن ذلك خاص بهم ، وأن المؤمنين ليسوا كذلك ، بل يرون الله يوم القيامة ، والدليل الذي من القرآن قوله تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) [يونس : ٢٦] ، ثبت في صحيح مسلم ، من حديث صهيب

رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أن ذلك هو : « النظر إلى وجه الله » .

وأما قوله : (لا تدركه الأبصار) [الأنعام : ١٠٣] فمن أحسن الأجوبة فيها : جواب حبر الأمة ، وترجمان القرآن ، عبد الله بن عباس ــ لما قال : إن محمداً رأى ربه ــ فقال له السائل : أليس الله يقول :(لا تدركه الأبصار) ؟ فقال : (لا تدركه الأبصار) أي : لا تحيط به ، ألست ترى السماء ؟ قال : بلى ؛ قال : أفتدركها كلها ؟ قال : لا ؛ أو كما قال.

وأما قوله تبارك وتعالى لموسى :(لن تراني) الآية [الأعراف : ١٤٣] فذكر العلماء أن المراد لن تراني في الدنيا ؛ وأيضا : الآية دليل واضح على جوازها ، وإمكانها ، لأن موسى عليه السلام ، أعلم بالله من أن يسأله ما لا يجوز عليه ، أو يستحيل ، خصوصاً ما يقتضي الجهل ، ولذلك رد بقوله تعالى : (لن تراني) دون لن أرى ، ولن أريك ، ولن تنظر إلي ؛ فبذلك تبين لك ، أنها دالة على مذهب أهل السنة والجماعة ، القائلين بإثبات رؤية الله يوم القيامة ، ورادة لمذهب الجهمية ، والمعتزلة ، ومن تبعهم من أهل الأهواء ، والبدع .

وأما السنة : فثبت في الصحيحين ، والسنن ، والمسانيد ، من حديث جرير بن عبد الله ، أن رسول الله ﷺ قال ــ لما سأله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : « إنكم سترون

ربكم ، كما ترون القمر ليلة البدر ، لا تضامون في رؤيته » وكذلك ثبت ذلك ، في أحاديث متعددة ، عن رسول الله ﷺ ؛ وأما الإجماع ، فقد أجمع أهل السنة والجماعة على ذلك ، وقد حكى الإجماع غير واحد من العلماء ، والخلاف الذي وقع بين الصحابة في رؤية محمد ﷺ ربه ، إنما ذلك رؤيته في الدنيا ، فابن عباس وغيره أثبتها ، وعائشة تنفاها ، والله أعلم.

سئل الشيخ : عبد الله بن الشيخ محمد ، رحمهما الله ، عن رجلين تنازعا ، فقال أحدهما : إن الله كلم موسى تكليما ، وسمعته أذناه ، ووعاه قلبه ، وإن الله كتب التوراة بيده ، وناولها من يده إلى يده ؛ وقال الآخر : إن الله كلم موسى بواسطة ، وإن الله لم يكتب التوراة بيده ، ولم يناولها من يده إلى يده.

فأجاب : القائل إن الله كلم موسى تكليما ، كما أخبر في كتابه ، فمصيب ، وأما الذي قال : كلم موسى بواسطة ، فهذا ضال مخطىء ، بل نص الأئمة ، على أن من قال ذلك ، فإنه يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل ؛ فإن هذا إنكار لما قد علم بالاضطرار ، من دين الإسلام ، ولما ثبت بالكتاب ، والسنة ، والإجماع ، قال تعالى : ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب﴾ الآية [الشورى : ٥١] ففرق بين تكليمه من وراء حجاب ، كما كلم موسى ، وبين تكليمه بواسطة ، كما أوحى إلى غير موسى ، قال تعالى : ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيِّين من بعده﴾ إلى قوله : ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ [النساء : ١٦٣ ، ١٦٤].

والأحاديث بذلك كثيرة ، في الصحيحين ، والسنن ، وفي الحديث المحفوظ عن النبي ﷺ « التقى آدم وموسى ، قال آدم : أنت موسى ، الذي كلمك الله تكليما ، لم يجعل بينك وبينه رسولاً من خلقه » وسلف الأمة وأئمتها ، كفروا الجهمية ، الذين قالوا : إن الله خلق كلاماً ، في بعض الأجسام ، سمعه موسى ؛ وفسروا التكليم بذلك.

وأما قوله : « إن الله كتب التوراة بيده » فهذا قد روي في الصحيحين ، فمن أنكر ذلك ، فهو مخطىء ضال ؛ وإذا أنكره بعد معرفته بالحديث الصحيح ، فإنه يستحق العقوبة ؛ وأما قوله ناولها من يده إلى يده ؛ فهذا مأثور عن طائفة من التابعين ، وهو كذلك عند أهل الكتاب ، لكن لا أعلم هذا اللفظ مأثوراً عن النبي ﷺ ، فالمتكلم به إن أراد ما يخالف ذلك ، فقد أخطأ ، والله أعلم.

وسئل أيضاً : الشيخ عبد الله بن الشيخ ، رحمهما الله ، هل يتأكد الأخذ بالإجماع السكوتي ، عن الصحابة رضي الله عنهم . . . الخ؟.

فأجاب : الذي عليه أكثر الفقهاء ، من الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، والحنابلة ، أن الأمر إذا اشتهر بين الصحابة رضي الله عنهم ، فلم ينكره منهم أحد ، كان إجماعاً ، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه : إن الله نظر في قلوب العباد ، فوجد خيرهم أصحاب محمد ﷺ فاختارهم

لصحبة نبيه ﷺ فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، انتهى .

وباتباع السلف الصالح ، والأخذ بهديهم وسلوك طريقتهم ، والسكوت عما سكتوا عنه ، يزول عن المؤمن شبهات كثيرة ، وبدع وضلالات شهيرة ، أحدثها المتأخرون بعدهم ، كالكلام في تأويل آيات الصفات ، وأحاديثها ، بالتأويلات المستكرهة ، التي لم تعهد عن الصحابة ، والتابعين لهم بإحسان ، فإنهم سكتوا عن تفسير ذلك ، بالتأويلات الباطلة ؛ وقالوا : أمروها كما جاءت.

وقال : بعضهم في صفة الاستواء ، لما سأله سائل عن قوله : (الرحمن على العرش استوى) [طه : ٥] كيف استوى ؟ قال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، كما تواتر ذلك عن الإمام مالك رحمه الله ، وما أجاب به مالك رحمه الله في هذه المسألة ، هو جواب أهل السنة والجماعة ، في آيات الصفات وأحاديثها ، فيقال في النزول : النزول معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ؛ وهكذا يقال في سائر الصفات ، مثل المجيء ، واليد والوجه ، والمحبة ، والغضب والرضا ، وغير ذلك من الصفات الواردة في الكتاب والسنة.

وما أحسن ما جاء عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي

سلمة ، الماجشون ، أنه قال : عليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة ، فإن السنة إنما جعلت ليستن بها ، ويقتصر عليها ، وإن سنة من قدم ، قد علم ما في خلافها من الزلل ، والخطأ ، والحمق ، والتعمق ؛ فارض لنفسك ما رضوا به ، فإنهم عن علم وقفوا ، وببصرنا قد كفوا ، ولهم كانوا على كشفها أقوى ، وبتفصيلها أحرى ، وإنهم لهم السابقون ، وقد بلغهم عن نبيهم ما يجري من الاختلاف ، فلئن كان الهدى ما أنتم عليه ، لقد سبقتموهم إليه ، ولئن قلتم حدث بعدهم ، فما أحدثه ، إلا من اتبع غير سبيلهم ، ورغب بنفسه عنهم ، واختار ما نحته فكره ، على ما تلقوه من نبيهم ، وتلقاه عنهم من اتبعهم بإحسان ، ولقد وصفوا منه ما يكفي ، وتكلموا فيه بما يشفي ، فمن دونهم مقصر ، ومن فوقهم مفرط ، ولقد قصر دونهم أناس فجفوا ، وطمح آخرون فغلوا ، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم.

وله : أيضاً قدس الله روحه ، ونور ضريحه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ؛ الجواب ــ وبالله التوفيق ــ عن المبحث الأول عن آيات الصفات ، وأحاديثها ، التي اختلف فيها علماء الإسلام ، فنقول : الذي نعتقد وندين الله به ، هو مذهب سلف الأمة وأئمتها ، من الصحابة ، والتابعين لهم بإحسان ، من الأئمة الأربعة ، وأصحابهم ، رضي الله عنهم

أجمعين ، وهو : الإيمان بذلك ، والإقرار به ، وإمراره كما جاء ، من غير تشبيه ، ولا تمثيل ، ولا تعطيل ؛ قال الله تعالى : (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) [النساء : ١١٥].

وقد شهد الله تعالى لأصحاب نبيه ﷺ ومن تبعهم بإحسان بالإيمان ، فعلم قطعاً أنهم المراد بالآية الكريمة ، فقال تعالى : (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار) الآية [التوبة : ١٠٠] ، وقال تعالى : (لقد رضي الله عن المؤمنين) الآية [الفتح : ١٨].

فثبت بالكتاب لهم : أن من اتبع سبيلهم فهو على الحق ، ومن خالفهم فهو على الباطل ؛ فمن سبيلهم في الاعتقاد : الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه ، وسمى بها نفسه في كتابه وتنزيله ، أو على لسان رسوله ﷺ ، من غير زيادة عليها ، ولا نقصان منها ، ولا تجاوز لها ؛ ولا تفسير ، ولا تأويل لها ، بما يخالف ظاهرها ، ولا تشبيه بصفات المخلوقين ؛ ولا سمات المحدثين ، بل أقروها كما جاءت ، وردوا علمها إلى قائلها ، ومعناها إلى المتكلم بها ، صادق لا شك في صدقه ، فصدقوه ولم يعلموا حقيقة معناها ، فسكتوا عما لم يعلموه ، وأخذ ذلك الآخر عن الأول ، ووصى بعضهم بعضاً بحسن الاتباع ، والوقوف حيث

وقف أولهم ، وحذروا من التجاوز لها والعدول عن طريقهم ، وبينوا لنا سبيلهم ، ومذهبهم ، وحذرونا من اتباع طريق أهل البدع والاختلاف ، والمحدثات الذين قال الله فيهم : (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء) [الأنعام : ١٥٩] (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) [آل عمران : ١٠٥] ونرجوا أن يجعلنا الله تعالى ممن يقتدى بهم ، في بيان ما بينوه ، وسلوك الطريق الذي سلكوه.

والدليل على أن مذهبهم ما ذكرنا : أنهم نقلوا إلينا القرآن العظيم ، وأخبار رسول الله ﷺ نقل مصدق لها مؤمن بها ، قابل لها غير مرتاب فيها ، ولا شاك في صدق قائلها ، ولم يفسروا ما يتعلق بالصفات منها ، ولا تأولوه ، ولا شبهوه بصفات المخلوقين ، إذ لو فعلوا شيئاً من ذلك لنقل عنهم ؛ بل بلغ من مبالغتهم في السكوت عن هذا : أنهم كانوا إذا رأوا من يسأل عن المتشابه ، بالغوا في كفه وتأديبه ، تارة بالقول العنيف ، وتارة بالضرب ، وتارة بالاعراض الدال على شدة الكراهة لمسألته.

ولما سئل مالك بن أنس عن الاستواء كيف هو؟ فقيل له يا أبا عبد الرحمن (الرحمن على العرش استوى) [طه : ٥] كيف استوى؟ فأطرق مالك رحمه الله ، وعلاه الرحضاء ــ يعني : العرق ــ وانتظر القوم ما يجيء منه ، فرفع رأسه إليه ، فقال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان

به واجب ، والسؤال عنه بدِعة ، وأحسبك رجل سوء ، وأمر به فأخرج ، ومن أول الاستواء بالاستيلاء ، فقد أجاب بغير ما أجاب به مالك ، وسلك غير سبيله.

وهذا الجواب من مالك رضي الله عنه في الاستواء : شافٍ كافٍ ، في جميع الصفات ، مثل النزول ، والمجيء ، واليد ، والوجه ، وغيرها ؛ فيقال في النزول ، النزول معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ؛ وهكذا يقال في سائر الصفات ، إذ هي بمثابة الاستواء ، الوارد به الكتاب والسنة.

وثبت عن الربيع بن سليمان ، قال سألت الشافعي رضي الله عنه ، عن صفات الله تعالى ، فقال حرام على العقول أن تمثل الله تعالى ، وعلى الأوهام أن تحده ، وعلى الظنون أن تقطع ، وعلى النفوس أن تفكر ، وعلى الضمائر أن تعمق ، وعلى الخواطر أن تحيط ، وعلى العقول أن تعقل ، إلا ما وصف به نفسه ، على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام.

وثبت عن إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني أنه قال : إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة ، يصفون ربهم تبارك وتعالى بصفاته التي نطق بها كتابه وتنزيله ، وشهد له بها رسوله ﷺ ، على ما وردت به الأخبار الصحاح ، ونقله العدول الثقات ، ولا يعتقدون به تشبيهاً بصفات خلقه ، ولا يكيفونها تكييف المشبهة ، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ،

تحريف المعتزلة والجهمية ؛ وقد أعاذ الله : أهل السنة ، من التحريف ، والتكييف ، ومنَّ عليهم بالتفهيم والتعريف ، حتى سلكوا سبيل التوحيد ، والتنزيه ؛ وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه ، واكتفوا في نفي النقائص بقوله عز وجل : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) [الشورى : ١١] وبقوله : (لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد) [الإخلاص ٣ ، ٤].

وثبت عن الحميدي : شيخ البخاري ، وغيره ، من أئمة الحديث ، أنه قال : أصول السنة ، فذكر أشياء ، وقال : ما نطق به القرآن ، والحديث ، مثل : (وقالت اليهود يد الله مغلولة) [المائدة : ٦٤] ومثل : (والسموات مطويات بيمينه)[الزمر : ٦٧] وما أشبه هذا من القرآن والحديث ، لا نرده ، ولا نفسره ؛ ونقف على ما وقف عليه القرآن والسنة ، ونقول : (الرحمن على العرش استوى) [طه : ٥] ومن زعم غير هذا ، فهو جهمي.

فمذهب السلف رحمة الله عليهم : إثبات الصفات ، وإجراؤها على ظاهرها ، ونفى الكيفية عنها ، لأن الكلام في الصفات ، فرع على الكلام في الذات ، يحتذى فيه حذوه ، كما أن إثبات الذات ، إثبات وجود ، لا إثبات كيفية ، ولا تشبيه ، فكذلك الصفات ، وعلى هذا مضى السلف كلهم ، ولو ذهبنا نذكر ما اطلعنا عليه ، من كلام السلف في ذلك ، لطال الكلام جداً ؛ فمن كان قصده الحق ، وإظهار الصواب ،

اكتفى بما قدمناه ، ومن كان قصده الجدال ، والقيل والقال ، لم يزده التطويل إلا الخروج عن سواء السبيل ، والله الموفق.

وقد بعث الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ؛ وشهد له بأنه بعثه داعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً ، وأمره أن يقول : (هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) [يوسف : ١٠٨] ومن المحال في العقل والدين ، أن يكون السراج المنير ، الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور ، وأنزل معه الكتاب ، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وأمر الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من دينهم ، إلى ما بعث به من الكتاب والحكمة ، وهو يدعو إلى الله ، وإلى سبيله ، بإذن ربه على بصيرة.

وقد أخبر الله بأنه : قد أكمل له ولأمته دينهم ، وأتم عليهم نعمته ، محال مع هذا وغيره ، أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبساً مشتبهاً ، ولم يميز ما يجب لله من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وما يجوز عليه ، وما يمتنع عليه ، فإن معرفة هذا أصل الدين ، وأساس الهداية ، وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب ، وحصلته النفوس ، وأدركته العقول ، فكيف يكون ذلك الكتاب ، وذلك الرسول ، وأفضل خلق الله بعد النبيين ، لم يحكموا هذا الباب اعتقاداً ، وقولاً.

ومن المحال أيضاً : أن يكون النبي ﷺ قد علم أمته ،

كل شيء حتى الخراءة ، وقال : « تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك » وقال فيما صح عنه أيضاً : « ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم » وقال أبو ذر : لقد توفي رسول الله ﷺ ، وما طائر يقلب جناحيه في السماء ، إلا ذكر لنا منه علماً ؛ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ، فذكر به بدء الخلق ، حتى دخل أهل الجنة منازلهم ، وأهل النار منازلهم ، حفظ ذلك من حفظه ، ونسيه من نسيه ، رواه البخاري.

محال مع هذا : أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم وقلوبهم ، في ربهم ومعبودهم رب العالمين ، الذي معرفته غاية المعارف ، وعبادته أشرف المقاصد ، والوصول إليه غاية المطالب، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية ، وزبدة الرسالة الإلٓهية ، فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مسكة من إيمان وحكمة ! أن يظن أنه قد وقع من الرسول صلوات الله وسلامه عليه إخلال بهذا ! ثم إذا كان قد وقع ذلك منه ، فمن المحال أن يكون خير أمته ، وأفضل قرونها ، قصروا في هذا الباب ، زائدين فيه أو ناقصين عنه.

ثم من المحال أن تكون القرون الفاضلة ، القرن الذي بعث فيه الرسول ﷺ ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، كانوا غير عالمين ، وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين ؛

لأن ضد ذلك : إما لعدم العلم والقول ، وإما اعتقاد نقيض الحق ، وقول خلاف الصدق ، وكلاهما ممتنع ؛ أما الأول : فلأن من في قلبه أدنى حياة في طلب العلم ، أو همة في العبادة ، يكون البحث عن هذا الباب ، والسؤال عنه ، ومعرفة الحق فيه ، أكبر مقاصده ، وأعظم مطالبه ، وليست النفوس الزكية إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الباب ، وهذا أمر معلوم بالفطرة الوجدية ، فكيف يتصور مع قيام هذا المقتضى ، الذي هو أقوى المقتضيات ، أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة ، في مجموع عصورهم ، هذا ، لا يكاد يقع في أبلد الخلق ، وأشدهم إعراضاً عن الله ، وأعظمهم إكباباً على الدنيا ، وغفلة عن ذكر الله ؛ فكيف يقع في أولئك الفضلاء ، والسادة النجباء .

وأما : كونهم كانوا معتقدين فيه غير الحق ، أو قائلينه ؛ فهذا لا يعتقده مسلم ، عرف حال القوم ؛ ولا يجوز أيضاً : أن يكون الخالفون أعلم من السابقين ، كما قد يقوله بعض الأغبياء ، ممن لم يعرف قدر السلف ، بل : ولا عرف الله ورسوله ، والمؤمنين به ، حقيقة المعرفة ، المأمور بها ؛ من أن طريقة الخلف : أعلم وأحكم ؛ وطريقة السلف : أسلم ؛ فإن هؤلاء المبتدعة ، الذين يفضلون طريقة الخلف ، على طريقة السلف ، إنما أتوا من حيث ظنوا : أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان ، بألفاظ القرآن ، والحديث ، من غير فقه لذلك ؛ بمنزلة الأميين ، الذين قال الله فيهم : (ومنهم أميون

لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإنهم إلا يظنون) [البقرة : ٧٨] وأن طريقة الخلف ، هي : استخراج معاني النصوص ، المصروفة عن حقائقها ، بأنواع المجازات ، وغرائب اللغات.

فهذا الظن الفاسد : أوجب تلك المقالة ، التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر ، وقد كذبوا على طريقة السلف ، وضلوا في تصويب طريقة الخلف ، فجمعوا بين : الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم ، وبين الجهل والضلال : بتصويب طريقة الخلف ؛ وسبب ذلك : اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص ، بالشبهات الفاسدة ، التي شاركوا فيها أهل الجهل والضلال ، من الجهمية ، والمعتزلة ، والرافضة ، ومن سلك سبيلهم من الضالين ، فلما اعتقدوا : انتفاء الصفات في نفس الأمر ، وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى ، بقوا مترددين ، بين الإيمان باللفظ ، وتفويض المعنى ، وهي التي يسمونها طريقة السلف ، وبين صرف اللفظ إلى معان بنوع تكلف ؛ وصار هذا الباطل ، مركباً ، من فساد العقل ، والكفر بالسمع ؛ فإن النفي إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ، ظنوها بينات ، وبراهين قاطعات ، وهي شبهات وضلالات ، متناقضات ؛ والسمع : حرفوا فيه الكلم عن مواضعه.

فلما انبنى أمرهم على هاتين المقدمتين ، الكاذبتين ، الكفريتين ، كانت النتيجة : استجهال السابقين الأولين ، والتابعين لهم بإحسان ، واستبلاههم ؛ واعتقاد أنهم كانوا قوماً

أميين ، بمنزلة الصالحين من العامة ، لم يتبحروا في حقائق العلم ، ولم يتفطنوا لدقيق العلم الإلٓهي ، وأن الخلف الفضلاء ، حازوا قصب السبق في هذا كله ، وهذا القول إذا تدبره الإنسان ، وجده في نهاية الجهالة ، بل في غاية الضلالة ؛ كيف يكون هؤلاء المتأخرون ، لا سيما والاشارة بالخلف ، إلى ضرب من المتكلمين ، الذين كثر في باب الدين اضطرابهم ، وغلظ عن معرفة الله حجابهم ، وأخبر الواقف على نهايات إقدامهم ، بما انتهى إليه من مرامهم ، حيث يقول:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سن نادم

وأقروا على أنفسهم بما قالوه متمثلين به ، أو منشئين له ، فيما صنفوه من كتبهم ، كقول بعض رؤسائهم ، حيث يقول :

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقال

لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي عليلاً ، ولا تروي غليلاً ؛ ورأيت أقرب الطرق ، طريقة القرآن ، أقرأ في الإثبات (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) [فاطر : ١٠] (الرحمن على العرش

استوى) [طه : ٥] وأقرأ في النفي : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) [الشورى : ١١] (ولا يحيطون به علما) [طه : ١١٠] قال : ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي ؛ ويقول الآخر منهم : لقد خضت البحر الخضم ، وتركت أهل الإسلام وعلومهم ، وخضت في الذي نهوني عنه ، والآن : إن لم يتداركني ربي برحمته ، فالويل لفلان ، وها أنا أموت على عقيدة أمي ؛ ويقول الآخر منهم : أكثر الناس شكا عند الموت ، أرباب الكلام ، كيف يكون هؤلاء أعلم بالله وآياته ، من السابقين الأولين ؟!

ومن تأمل ما ذكرنا : علم أن الضلال ، والتهوك ، إنما استولى على كثير من المتأخرين ، بسبب نبذهم كتاب الله وراء ظهورهم ، وإعراضهم عما بعث الله به محمداً ﷺ ، من البينات والهدى ، وتركهم البحث عن طريق السابقين ، والتابعين لهم بإحسان ، والتماسهم علم معرفة الله ، ممن لم يعرف الله ، بإقراره على نفسه ، وشهادة الأمة على ذلك ؛ وإذا كان كذلك ، فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره ، وسنة رسول الله ﷺ من أولها إلى آخرها ؛ ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ، ثم عامة كلام سائر الأمة : مملوء بما هو إما نص ، وإما ظاهر ، في أن الله هو العلي الأعلى ، وهو فوق كل شيء ، وهو عال على كل شيء ، وأنه فوق العرش وأنه فوق السماء.

وقد فطر الله على ذلك جميع الأمم ، عربهم ،

وعجمهم ، في الجاهلية ، والإسلام ، إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته ؛ ثم عن السلف في ذلك ، من الأقوال ، ما لو جمع لبلغ مئين ، أو ألوفاً ؛ ثم ليس في كتاب الله ، ولا في سنة رسوله ﷺ ، ولا عن أحد من سلف الأمة ، لا من الصحابة ، ولا من التابعين لهم بإحسان ، حرف واحد ، يخالف ذلك ، لا نص ، ولا ظاهر ، ولم يقل أحد منهم : إن الله ليس في السماء ، ولا أنه ليس على العرش ، ولا أنه بذاته في كل مكان ، ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء ، ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا متصل ، ولا منفصل ، ولا أنه لا تجوز إليه الإشارة الحسية.

بل قد ثبت في الصحيح ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ جعل يقول : « ألا هل بلغت » ؟ فيقولون : نعم ، فيرفع إصبعه إلى السماء ، وينكبها إليهم ، ويقول : « اللهم اشهد » غير مرة ؛ فإن كان الحق فيما يقوله هؤلاء السالبون ، النافون للصفات ، الثابتة في الكتاب والسنة ، دون ما يفهم من الكتاب والسنة ، إما نصاً ، وإما ظاهراً ، لقد كان ترك الناس بلا كتاب ، ولا سنة ، أهدى لهم ، وأنفع على هذا التقدير ؛ بل كان وجود الكتاب ، والسنة ، ضرراً محضاً في أصل الدين ؛ فكيف يجوز على الله ، ثم على رسوله ، ثم على الأمة : أنهم يتكلمون دائماً بما هو نص ، أو ظاهر في خلاف الحق ؟!.

ثم الحق الذي يجب اعتقاده : لا يبوحون به ، ولا

يدلون عليه ، حتى يجيء أنباط الفرس ، وفروخ الفلاسفة ، فيبينون للأمة العقيدة الصحيحة ، التي يجب على كل مكلف ، أو فاضل : اعتقادها ! وهم مع ذلك أحيلوا في معرفتها ، على مجرد عقولهم ؛ وأن يدفعوا بمقتضى قياس عقولهم ، ما دل عليه الكتاب والسنة ، نصاً ، أو ظاهراً ؛ يا سبحان الله ! كيف لم يقل الرسول ﷺ يوماً من الدهر ، ولا أحد من سلف الأمة : هذه الأحاديث ، والآيات ، لا تعتقدوا ما دلت عليه ، لكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم، فإنه الحق ، وما خالفه فلا تعتقدوا ظاهره ، وانظروا فيها ، فما وافق قياس عقولكم ، فاعتقدوه ، وما لا ، فتوقفوا فيه ، أو انفوه ! .

ثم الرسول ﷺ قد أخبر أن أمته ستفترق ثلاثاً وسبعين فرقة ، فقد علم ما سيكون في أمته من الاختلاف ، ثم قال : « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا ، كتاب الله » وروي أنه قال في صفة الفرقة الناجية « هي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي » فهلا قال من تمسك بالقرآن ، أو بدلالة القرآن ، أو بمفهوم القرآن ، أو بظاهر القرآن ، في باب الاعتقاد فهو ضال ، وإنما الهدى رجوعكم إلى مقاييس عقولكم ، وما يحدثه المتكلفون منكم بعد القرون الثلاثة ؟! .

ثم أصل مقالة التعطيل للصفات ، إنما أخذت عن تلامذة اليهود ، والمشركين ، وضلال الصابئين ؛ فإن أول من حفظ عنه ، أنه قال هذه المقالة في الإسلام : الجعد بن درهم ، وأخذها عنه ، الجهم بن صفوان ، وأظهرها ، فنسبت مقالة

الجهمية إليه ؛ وقيل : إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان ، وأخذها أبان ، عن طالوت بن أخت لبيد ، بن الأعصم ، وأخذها طالوت ، عن لبيد بن الأعصم ، اليهودي ، الذي سحر النبي ﷺ ، وإذا كان أصل هذه المقالة ، مقالة التعطيل ، والتأويل ، مأخوذة من تلامذة المشركين ، والصابئين ، واليهود ، فكيف تطيب نفس مؤمن ، بل نفس عاقل : أن يسلك سبيل هؤلاء ، المغضوب عليهم ، والضالين ، ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم ، من النبيين ، والشهداء ، والصالحين ؟!.

وجماع الأمر : أن الأقسام الممكنة ، في آيات الصفات ، وأحاديثها : ستة أقسام ، كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة ؛ قسمان : يقولون تجرى على ظواهرها ، وقسمان يقولون : هي على خلاف ظواهرها ، وقسمان ، يسكتون ؛ أما الأولون ، فقسمان ، أحدهما : من يجريها على ظاهرها ، من جنس صفات المخلوقين ، فهؤلاء المشبهة ، وإليهم توجه الرد بالحق ؛ والثاني : من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى ، كما يجري اسم الله : العليم ، والقدير ؛ والرب ، والموجود ، والذات ، على ظاهرها اللائق بجلال الله فإن ظواهر هذه الصفات في حق المخلوقين ؛ إما جوهر محدث ؛ وإما عرض قائم ، كالعلم ، والقدرة ، والكلام ، والمشيئة ، والرحمة ، والرضا ، والغضب ، ونحو ذلك ، في حق العبد أعراض ؛ والوجه ، واليد والعين في حقه ، أجسام .

فإذا كان الله موصوفاً ، عند عامة أهل الإثبات ، بأن له علماً ، وقدرة ، وكلاماً ، ومشيئة ، وإن لم تكن أعراضاً ، يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين ، جاز أن يكون وجه الله ، ويداه ، ليست أجساماً ، يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين ؛ وهذا هو المذهب الذي حكاه الخطابي ، وغيره ، عن السلف ؛ وعليه يدل كلام جمهورهم ؛ وكلام الباقين لا يخالفه ، وهو أمر واضح لمن هداه الله ؛ فإن الصفات ، كالذات ، فكما أن ذات الله ثابتة حقيقية ، من غير أن تكون من جنس المخلوقات ، فصفاته ثابتة حقيقية ، من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقين ؛ فمن قال : لا أعقل علماً ويداً ، إلا من جنس العلم واليد المعهودة ، قيل له : فكيف تعقل ذاتاً من غير جنس ذوات المخلوقين ؟ .

ومن المعلوم : أن صفات كل موصوف ، تناسب ذاته ، وتلائم حقيقته ؛ فمن لم يفهم من صفات الرب الذي : (ليس كمثله شيء) إلا ما يناسب المخلوقين ، فقد ضل في عقله ودينه ، وما أحسن ما قال بعضهم : إذا قال لك الجهمي : كيف استوى ؟ أو كيف ينزل إلى سماء الدنيا ؟ أو كيف يداه ؟ ونحو ذلك ، فقل له : كيف هو في نفسه ؟ فإذا قال لا يعلم ما هو إلا هو ، وكنه الباري غير معقول للبشر ، فقل له : فالعلم بكيفية الصفة ، مستلزم للعلم بكيفية الموصوف ، فكيف يمكن أن يعلم كيفية صفة ، لموصوف ، لم تعلم كيفيته ؟ وإنما تعلم الذات ، والصفات ، من حيث الجملة ، على الوجه الذي

ينبغي ؛ بل هذه المخلوقات في الجنة ، قد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه ، أنه قال : ليس في الدنيا ما في الجنة إلا الأسماء ، وقد أخبر الله سبحانه أنه (لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين)[السجدة : ١٧] وقال النبي ﷺ : « يقول الله عز وجل : أعددت لعبادي الصالحين ، ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ».

فإذا كان نعيم الجنة ، وهو خلق من خلق الله تعالى ، كذلك ، فما الظن بالخالق سبحانه وتعالى ؟ وهذه الروح التي في بني آدم ، قد علم العاقل اضطراب الناس فيها ، وإمساك النصوص عن بيان كيفيتها ، أفلا يعتبر العاقل بها عن الكلام في كيفيته تعالى ؟ مع أنا نقطع أن الروح في البدن ، وأنها تخرج منه ، وتعرج إلى السماء ، وأنها تسلّ منه وقت النزع ، كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة.

وأما القسمان ، اللذان ينفيان ظاهرها ، أعني الذين يقولون : ليس لها في الباطن مدلول هو صفة لله تعالى ، وأن الله تعالى لا صفة له ثبوتية ، بل صفاته : إما سلبية ، وإما إضافية ، وإما مركبة منهما ؛ ويثبتون بعض الصفات ، وهي السبع ، أو الثمان ، أو الخمس عشرة ، على ما قد عرف من مذاهب المتكلمين ، من الأشعرية وغيرهم ، فهؤلاء قسمان : قسم يتأولونها ، ويعينون المراد ، مثل قولهم : استوى ، بمعنى : استولى ، أو بمعنى علو المكانة والقدر ، أو بمعنى ظهور نوره للعرش ، أو بمعنى انتهاء الخلق إليه ، إلى غير

ذلك من معاني المتكلمين ؛ وقسم يقولون : الله أعلم بما أراد بها ، لكنا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجة عما علمناه .

وأما القسمان الواقفان ، فقسم يقولون : يجوز أن يكون المراد بظاهرها اللائق بالله ، ويجوز أن لا يكون المراد صفة الله ، ونحو ذلك ؛ وهذه طريقة كثير من الفقهاء ، وغيرهم ؛ وقسم : يمسكون عن هذا كله ، ولا يزيدون على تلاوة القرآن ، وتلاوة الحديث ، معرضين بقلوبهم وألسنتهم ، عن هذه التقديرات كلها ؛ فهذه الأقسام الستة ، لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها.

والصواب في ذلك : القطع بالطريقة السلفية ؛ وهي : اعتقاد الشافعي ، ومالك ، والثوري ، والأوزاعي ، وابن المبارك ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وهي : اعتقاد المشائخ المقتدى بهم ، كالفضيل بن عياض ، وأبي سليمان الداراني ، وسهل بن عبد الله التستري ، وغيرهم ؛ فإنه ليس بين هؤلاء الأئمة نزاع في أصول الدين ، وكذلك أبو حنيفة رحمه الله ؛ واعتقاد هؤلاء ، هو ما كان عليه الصحابة ، والتابعون لهم بإحسان ؛ وهو : ما نطق به الكتاب ، والسنة ، في التوحيد ، والقدر ، وغير ذلك.

قال الشافعي رحمه الله ، في أول خطبة الرسالة : الحمد لله الذي هو كما وصف به نفسه ، وفوق ما يصفه به خلقه ، فبين رحمه الله ، أن الله تعالى يوصف بما وصف به نفسه في

كتابه ، وعلى لسان رسوله ﷺ ؛ وكذلك قال أحمد بن حنبل : لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، لا يتجاوز القرآن ، والحديث ؛ وقد ثبت في الصحيح ، أن رسول الله ﷺ قال للجارية « أين الله ؟ » قالت : في السماء ؛ قال : « من أنا ؟ » قالت : رسول الله ؛ قال : « أعتقها فإنها مؤمنة » وهذا الحديث رواه الشافعي ، ومالك ، وأحمد بن حنبل ، ومسلم في صحيحه ، وغيره.

وأهل السنة : يعلمون أن ليس معنى ذلك ، أن الله في جوف السماء ، وأن السماوات تحصره ، وتحويه ؛ فإن هذا لم يقله أحد من سلف الأمة وأئمتها ، بل هم متفقون على أن الله فوق سماواته ، على عرشه ، بائن من خلقه ، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ؛ وقد قال مالك بن أنس : إن الله في السماء ، وعلمه في كل مكان ؛ وقالوا لعبد الله بن المبارك : بماذا نعرف ربنا ؟ قال بأنه فوق سماواته ، على عرشه ، بائن من خلقه ؛ وقال أحمد بن حنبل كما قال هذا وهذا.

وقال الأوزاعي : كنا والتابعون ، متوافرون ، نقر بأن الله فوق عرشه ؛ ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته ؛ فمن اعتقد أن الله في جوف السماء ، محصور ، محاط به ؛ أو أنه مفتقر إلى العرش ، أو غير العرش من المخلوقات ؛ أو أن استواءه على عرشه كاستواء المخلوق على سريره ، فهو ضال

مبتدع جاهل ، ومن اعتقد أنه ليس فوق السماوات إلّه يعبد ، ولا على العرش رب يصلى له ويسجد ، فهو معطل فرعوني ، ضال مبتدع.

فإن فرعون كذب موسى ، في أن ربه فوق السماوات ، وقال : (يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب ، أسباب السموات فأطلع إلى إلّه موسى وإني لأظنه كاذباً) [غافر : ٣٦ ، ٣٧] ومحمد ﷺ صدق موسى ، في أن ربه فوق السماوات ، فإنه لما كان ليلة المعراج ، وعرج به إلى السماء ، وفرض عليه ربه خمسين صلاة ، ذكر أنه رجع إلى موسى ؛ وقال له : إرجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فرجع إلى ربه فخفف عنه عشراً ، ثم رجع إلى موسى فأخبره بذلك ، فقال ارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، وهذا الحديث في الصحاح ، فمن وافق فرعون ، وخالف موسى ، ومحمداً ﷺ ، فهو ضال ، ومن مثل الله بخلقه ، فهو ضال مشبه ، قال نعيم بن حماد : من شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ما وصف الله به نفسه ، ولا رسوله تشبيهاً ، انتهى.

ومن تكلم في الله ، وأسمائه ، وصفاته ، بما يخالف الكتاب والسنة ، فهو من الخائضين في آيات الله بالباطل ، وقد قال تعالى : (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) [الأنعام : ٦٨].

واعلم أن كثيراً من المصنفين : ينسب إلى أئمة الإسلام ، ما لم يقولوه ، فينسبون إلى الشافعي ، ومالك ، وأحمد ، وأبي حنيفة ، من الاعتقادات الباطلة ، ما لم يقولوه ؛ ويقولون لمن تبعهم ، هذا الذي نقوله : اعتقاد الإمام الفلاني ؛ فإذا طولبوا بالنقل الصحيح عن الأئمة ، تبين كذبهم في ذلك ، كما تبين كذب كثير من الناس ، فيما ينقلونه عن الرسول ﷺ ويضيفونه إلى سنته ، من البدع ، والأقوال الباطلة.

ومنهم من إذا طولب بتحقيق نقله ، يقول : هذا القول قاله العقلاء ، والإمام الفلاني لا يخالف العقلاء ، ويكون أولئك العقلاء من أهل الكلام ، الذين ذمهم الأئمة ، فقد قال الشافعي رحمه الله : حكمي في أهل الكلام ، أن يضربوا بالجريد والنعاد ، ويطاف بهم في القبائل والعشائر ، ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة ، وأقبل على الكلام ؛ فإذا كان هذا حكمه فيمن أعرض عنهما ، فكيف حكمه فيمن عارضهما بغيرهما ؟ وقال أبو يوسف ، صاحب أبي حنيفة : من طلب الدين بالكلام تزندق ، وقال أحمد بن حنبل : ما ارتدى أحد بالكلام فأفلح ؛ وقال : علماء الكلام زنادقة ؛ وكثير من هؤلاء ، قرأوا كتباً من كتب الكلام ، فيها شبهات أضلتهم ، ولم يهتدوا لجوابها ؛ فإنهم يجدون في تلك الكتب : أن الله لو كان فوق الخلق ، لزم التجسيم ، والتحيز ، والجهة ، وهم لا يعلمون حقائق هذه الألفاظ ، وما أراد بها أصحابها.

ومن اشتبه عليه ذلك ، أو غيره ، فليدع بما رواه مسلم

في صحيحه ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل ، يصلي يقول : « اللهم رب جبرائيل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك ، فيما كانوا فيه يختلفون ، إهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » فإذا افتقر العبد إلى الله ، ودعاه ، وأدمن النظر في كلام الله ، وكلام رسوله ، وكلام الصحابة ، والتابعين ، وأئمة المسلمين ، انفتح له الباب ، وتبين له الصواب ، بمشيئة الملك الوهاب ؛ وصلى الله على محمد .

سئل الشيخ : حمد بن ناصر بن معمر ، رحمه الله تعالى : ما قولكم أدام الله النفع بعلومكم ، في آيات الصفات ، والأحاديث الواردة في ذلك ، مثل قوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى)[طه : ٥]ومثل قوله : (يد الله فوق أيديهم)[الفتح : ١٠] وقول النبي ﷺ : « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا » وقوله ﷺ : « قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن » إلى غير ذلك مما ظاهره يوهم التشبيه ؛ فأفيدونا عن اعتقاد الشيخ : محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله تعالى ، في ذلك ؟ وكيف مذهبه ؟ ومذهبكم من بعده ؟ هل تمرون ماورد من ذلك على ظاهره ، مع التنزيه ؟ أم تؤلون ؟ وابسطوا الكلام على ذلك ، وأجيبوا جواباً شافياً ، تغنموا أجراً وافياً .

فأجاب بما نصه:

الحمد لله رب العالمين ، قولنا في آيات الصفات ، والأحاديث الواردة في ذلك ، ما قاله الله ورسوله ، وما قاله سلف الأمة وأئمتها ، من الصحابة ، والتابعين ، والأئمة الأربعة ، وغيرهم من علماء المسلمين ؛ فنصف الله تعالى ؛ بما وصف به نفسه في كتابه ، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ؛ بل نؤمن بأن الله سبحانه : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى : ١١] فلا ننفي عنه ما وصف به نفسه ، ولا نحرف الكلم عن مواضعه ، ولا نلحد في أسماء الله وآياته ، ولا نكيف ، ولا نمثل صفاته بصفات خلقه ؛ لأنه سبحانه لا سمي له ، ولا كفو له ؛ ولا ند له ، ولا يقاس بخلقه ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً ؛ فهو سبحانه : ليس كمثله شيء في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، بل يوصف بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ، من غير تكييف ولا تمثيل ، خلافاً للمشبهة ، ومن غير تحريف ولا تعطيل ، خلافاً للمعطلة.

فمذهبنا مذهب السلف ، إثبات بلا تشبيه ، وتنزيه بلا تعطيل ؛ وهو مذهب أئمة الإسلام ، كمالك ، والشافعي ، والثوري ، والأوزاعي ، وابن المبارك ، والإمام أحمد ، وإسحاق بن راهويه ، وهو اعتقاد المشائخ المقتدى بهم ،

كالفضيل بن عياض ، وأبي سليمان الداراني ، وسهل بن عبد الله التستري ، وغيرهم ، فإنه ليس بين هؤلاء الأئمة نزاع في أصول الدين ، وكذلك أبو حنيفة رضي الله عنه ، فإن الاعتقاد الثابت عنه ، موافق لاعتقاد هؤلاء ، وهو الذي نطق به الكتاب والسنة ؛ قال الإمام أحمد رحمه الله : لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ﷺ ، لا يتجاوز القرآن ، والحديث ، وهكذا مذهب سائرهم ، كما سننقل عباراتهم بألفاظها إن شاءالله تعالى.

ومذهب **شيخ الإسلام** : محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله تعالى ، هو ما ذهب إليه هؤلاء الأئمة المذكورون ، فإنه يصف الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ﷺ ، ولا يتجاوز القرآن ، والحديث ؛ ويتبع في ذلك سبيل السلف الماضين ، الذين هم أعلم هذه الأمة بهذا الشأن ، نفياً ، وإثباتاً ؛ وهم أشد تعظيماً لله ، وتنزيهاً له ، عما لا يليق بجلاله ، فإن المعاني المفهومة من الكتاب والسنة ، لا ترد بالشبهات ، فيكون ردها من باب تحريف الكلم عن مواضعه.

ولا يقال : هي ألفاظ لا تعقل معانيها ، ولا يعرف المراد منها ، فيكون ذلك مشابهة للذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني ، بل هي آيات بينات ، دالة على أشرف المعاني وأجلها ، قائمة حقائقها في صدور الذين أوتوا العلم والإيمان ، إثباتاً بلا تشبيه ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، كما قامت حقائق سائر صفات الكمال في قلوبهم كذلك.

فكان الباب عندهم باباً واحداً ، قد اطمأنت به قلوبهم ، وسكنت إليه نفوسهم ، فأنسوا من صفات كماله ، ونعوت جلاله ، بما استوحش منه الجاهلون المعطلون ، وسكنت قلوبهم إلى ما نفر منه الجاحدون ، وعلموا أن الصفات حكمها حكم الذات ، فكما أن ذاته سبحانه لا تشبه الذوات ، فصفاته لا تشبه الصفات ، فما جاءهم من الصفات عن المعصوم ، تلقوه بالقبول ، وقابلوه بالمعرفة ، والإيمان ، والإقرار ؛ لعلمهم بأنه سبحانه لا شبيه لذاته ، ولا لصفاته.

قال الإمام أحمد ـ لماسئل عن التشبيه : هو أن يقول : يد كيدي ، ووجه كوجهي ، فأما إثبات يد ليست كالأيدي ، ووجه ليس كالوجوه ، فهو كإثبات ذات ليست كالذوات ، وحياة ليست كغيرها من الحياة ، وسمع وبصر ليسا كالأسماع والأبصار ، وهو سبحانه : موصوف بصفات الكمال ، منزه عن كل نقص وعيب ؛ وهو سبحانه في صفات الكمال لا يماثله شيء ، فهو حي قيوم ، سميع بصير ، عليم خبير ، رؤوف رحيم (خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش) [السجدة : ٤] وكلم موسى تكليماً ، وتجلى للجبل فجعله دكاً.

لا يماثله شيء من الأشياء في شيء من صفاته ، فليس كعلمه علم أحد ، ولا كقدرته قدرة أحد ، ولا كرحمته رحمة أحد ، ولا كاستوائه استواء أحد ، ولا كسمعه وبصره ، سمع أحد ولا بصره ، ولا كتكليمه تكليم أحد ، ولا كتجليه تجلي

أحد ؛ بل نعتقد : أن الله جل اسمه في عظمته وكبريائه ، وحسن أسمائه ، وعلو صفاته ، ولا يشبه به شيء من مخلوقاته ، وأن ما جاء من الصفات مما أطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق ؛ فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي ، إذ صفات القديم ، بخلاف صفات المخلوق ، فكما أن ذاته لا تشبه الذوات ، فكذلك صفاته لا تشبه الصفات ، وليس بين صفاته وصفات خلقه إلا موافقة اللفظ.

والله سبحانه قد أخبر أن في الجنة لحماً ، ولبناً ، وعسلاً ، وماء ، وحريراً ، وذهباً ، وقد قال ابن عباس : ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء ؛ فإذا كانت المخلوقات الغائبة ، ليست مثل هذه الموجودة مع اتفاقها في الأسماء ، فالخالق جل وعلا ، أعظم علواً ومباينة لخلقه ، من مباينة المخلوق للمخلوق ، وإن اتفقت الأسماء.

وأيضاً : فإن الله سبحانه قد سمى نفسه ، حياً ، عليماً ، سميعاً ، بصيراً ، ملكاً رؤوفاً ، رحيماً ؛ وقد سمى بعض مخلوقاته حياً ، وبعضها عليماً ، وبعضها سميعاً ، بصيراً ، وبعضها رؤوفاً ، رحيماً ، وليس الحي ، كالحي ، ولا العليم ، كالعليم . ولا السميع ، كالسميع ، ولا البصير ، كالبصير ، ولا الرؤوف كالرؤوف ، ولا الرحيم ، كالرحيم.

قال الله سبحانه وتعالى : (الله لا إلـه إلا هو الحي القيوم) [البقرة : ٢٥٥] وقال : (يخرج الحي من الميت

ويخرج الميت من الحي) [الروم : ١٩] وقال : (وهو العليم الحكيم) [التحريم : ٢] وقال : (وبشروه بغلام عليم) [الذاريات : ٢٨] وقال الله تعالى : (إن الله كان سميعاً بصيرا) [النساء : ٥٨] وقال : (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيرا) [الإنسان : ٢] وقال تعالى : (إن الله بالناس لرءوف رحيم) [البقرة : ١٤٣] وقال تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) [التوبة : ١٢٨] وليس بين صفة الخالق والمخلوق مشابهة ، إلا في اتفاق الاسم.

وقد : **أجمع سلف الأمة** ، وأئمتها ، على أن الله سبحانه فوق سماواته ، على عرشه بائن من خلقه ، والعرش وما سواه ، فقير إليه ، وهو غني عن كل شيء ، لا يحتاج إلى العرش ، ولا إلى غيره ، ليس كمثله شيء ، لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ؛ فمن قال : إن الله ليس له علم ، ولا قدرة ، ولا كلام ، ولا يرضى ، ولا يغضب ، ولا استوى على العرش ، فهو معطل ملعون ، ومن قال علمه كعلمي ، أو قدرته كقدرتي ، أو كلامه مثل كلامي ، أو استواءه كاستوائي ، ونزوله كنزولي ، فإنه ممثل ملعون ، ومن قال هذا ، فإنه يستتاب ، فإن تاب ، وإلا قتل ، باتفاق أئمة الدين.

فالممثل يعبد صنماً ؛ والمعطل يعبد عدماً ؛ والكتاب والسنة ، فيهما الهدى والسداد ، وطريق الرشاد ، فمن اعتصم بهما هدي ، ومن تركهما ضل ، وهذا كتاب الله ، من أوله إلى

آخره ، وهذه سنة رسول الله ﷺ ، وهذا كلام الصحابة ، والتابعين ، وسائر الأئمة ، قد دل ذلك بما هو نص ، أو ظاهر ، في أن الله سبحانه فوق العرش ، مستو على عرشه ؛ ونحن نذكر من ذلك بعضه ، قال الله سبحانه وتعالى : (الرحمن على العرش استوى) [طه : ٥] وقال تعالى : (الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش) [السجدة : ٤].

وقد أخبر سبحانه : باستوائه على عرشه ، في سبعة مواضع من كتابه ، فذكر في سورة الأعراف ، ويونس ، والرعد ، وطه ، والفرقان ، وتنزيل السجدة ، والحديد ؛ وقال تعالى : (إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي) [آل عمران : ٥٥] وقال : (بل رفعه الله إليه) [النساء : ١٥٨] وقال : (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) [فاطر : ١٠] وقال : (ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور ، أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير) [الملك : ١٦ ، ١٧].

وأخبر عن فرعون أنه قال : (يا هامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب ، أسباب السموات فأطلع إلى إلّه موسى وإني لأظنه كاذباً) [غافر : ٣٦ ، ٣٧] ففرعون كذب موسى في قوله : إن الله في السماء ؛ وقال تعالى : (تنزيل من حكيم حميد) [فصلت : ٤٢] وقال : (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) [النحل : ١٠٢].

وتأمل قوله تعالى ، في سورة الحديد : (هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم) [الحديد : ٤] فقوله : (هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام) يتضمن : ابطال قول الملاحدة ، القائلين بقدم العالم ، وأنه لم يزل ، وأنه لم يخلقه بقدرته ومشيئته ، ومن أثبت عنهم وجود الرب ، جعله لازماً لذاته ، أزلاً وأبداً ، غير مخلوق ، كما هو قول ابن سينا ، وأتباعه الملاحدة .

وقوله تعالى : (ثم استوى على العرش) يتضمن : إبطال قول المعطلة ، الذين يقولون : ليس على العرش سوى العدم ، وأن الله ليس مستوياً على العرش ، ولا ترفع إليه الأيدي ، ولا تجوز الإشارة إليه بالأصابع إلى فوق ، كما أشار النبي ﷺ في أعظم مجامعه ، وجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكبها إلى الناس ، ويقول : « اللهم اشهد » وسيأتي الحديث إن شاء الله تعالى ؛ فأخبر في هذه الآية الكريمة : أنه على عرشه ، وأنه (يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها) ثم قال : (وهو معكم أينما كنتم) فأخبر أنه مع علوه على خلقه ، وارتفاعه ، ومباينته لهم ، معهم بعلمه أينما كانوا .

قال الإمام مالك : الله في السماء ، وعلمه في كل مكان ، لا يخلو منه شيء ، وقال نعيم بن حماد لما سئل عن

معنى هـذه الآية : (وهـو معكم أينما كنتم) معنـاه : أنه لا يخفى عليه خافية بعلمه ، وسيأتي هذا ، مع ما يشابهه ، من كلام الإمام أحمد ، وأبي زرعة ، وغيرهما ، وليس معنى قوله تعالى : (وهو معكم أينما كنتم) أنه : مختلط بالخلق ، فإن هذا لا توجبه اللغة ، وهو خلاف ما أجمع عليـه سلف الأمة وأئمتها ، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق ، بل القمر آية من آيات الله ، من أصغر مخلوقاته ، هو موضوع في السماء ، وهو مع المسافر ، وغير المسافر أينما كان.

وهو سبحانه : فوق العرش ، رقيب على خلقه ، مهيمن عليهم ، مـطلع عليهم ، إلى غير ذلـك من معاني ربـوبيته ؛ وأخبر تعالى أنه ذو المعـارج تعرج الملائكة والروح إليه ، وأنه القاهر فوق عباده ، وأن ملائكته يخـافون ربهم من فـوقهم ؛ فكل هذا الكلام الذي ذكره الله ، من أنه فوق عباده ، على عـرشـه ، وأنـــه معنـا ، حق على حقيقتـــه ، لا يحتـاج إلى تحريف ، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة.

وهو سبحانـه ، قد أخبـر أنه قـريب من خلقه ، كقـوله تعالى : (وإذا سألك عبادي عنى فإني قريب) الآية [البقرة : ١٨٦] وقوله : (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس بـه نفسه ونحن أقــرب إليـه من حبــل الـوريــد) [قٓ : ١٦] وقـال النبي ﷺ : « إن الـذي تدعـونه أقـرب إلى أحـدكم من عنق راحلته » وقولـه تعالى : (مـا يكون من نجـوى ثلاثـة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر

إلا هو معهم أين ما كانوا) [المجادلة : ٧] وكل ما في الكتاب ، والسنة ، من الأدلة الدالة على قربه ، ومعيته ، لا ينافي ما ذكر من علوه ، وفوقيته ؛ فإنه سبحانه : علي في دنوه ، قريب في علوه ؛ وقد أجمع سلف الأمة ، على أن الله سبحانه وتعالى ، فوق سماواته ، على عرشه ، وهو مع خلقه بعلمه أينما كانوا ، يعلم ما هم عاملون ، وقال حنبل بن إسحاق ، قيل لأبي عبد الله : ما معنى : (وهو معكم أين ما كنتم) [الحديد : ٤] قال : علمه محيط بالكل ، وربنا على العرش بلا حد ، ولا صفة ، وسيأتي الكلام مع زيادة عليه ، من كلام الإمام أحمد ، وغيره ، إن شاء الله تعالى.

وأما الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في هذا الباب ، فكثيرة جداً ، منها ما رواه مسلم في صحيحه ، وأبو داود ، والنسائي ، وغيرهم ، عن معاوية بن الحكم السلمي ، قال : لطمت جارية لي ، فأخبرت رسول الله ﷺ ، فعظم ذلك علي ، فقلت يا رسول : أفلا أعتقها ؟ قال: « بلى ، ائتني بها » قال فجئت بها إلى رسول الله ﷺ فقال لها :(أين الله ؟ » فقالت : في السماء ، فقال : « فمن أنا ؟ » قالت أنت رسول الله ﷺ ، فقال : « أعتقها فإنها مؤمنة » وفي الحديث : مسألتان ؛ إحداهما : قول الرجل لغيره أين الله ؟ وثانيهما : قول المسؤول ، في السماء ، فمن أنكر هاتين المسألتين ، فإنما ينكر على الرسول ﷺ.

وفي صحيح البخاري ، عن أنس بن مالك رضي الله

عنه ، قال : كانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقـول : زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله من فوق سبع سماوات ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، قـال : قال رسول الله ﷺ : « لما خلق الله الخلق ، كتب كتاباً ، فهو عنده فـوق العـرش ، إن رحمتي تغلب غضبي » وفي لفظ آخـر : « كتب في كتابه على نفسه ، فهو موضوع عنده ، إن رحمتي تغلب غضبي » وفي لفظ : « فهو مكتوب عنده فـوق العرش » وهذه الألفاظ كلها في صحيح البخاري .

وفي صحيـح مسلم عن أبي موسى ، قـال : قـام فينـا رسول الله ﷺ بخمس كلمات ، فقال : « إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يـرفع إليـه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور ، لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » .

وفي الصحيحين ، عن أبي هـريرة ، أن رسـول الله ﷺ قـال : « يتعاقبـون فيكم ملائكـة بالليـل ومـلائكـة بـالنهـار ، ويجتمعون في صلاة الفجر ، وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين بـاتوا فيكم ، فيسـألهم الـرب وهـو أعلم بهم ، كيف تـركتم عبـادي ؟ فيقولـون : تـركنـاهم وهم يصلون ، وأتينـاهم وهم يصلون » .

وعن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من

اشتكى منكم أو اشتكى أخ له ، فليقل : ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك ، أمرك في السماء والأرض ، كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الأرض ، واغفر لنا ذنوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين ، أنزل رحمة من رحمتك ، وشفاء من شفائك ، على هذا الوجع فيبرأ » أخرجه أبو داود.

وفي الصحيحين في قصة المعراج ، وهي متواترة : وتجاوز النبي ﷺ السماوات ، سماء ، سماء ، حتى انتهى إلى ربه تعالى ، فقربه وأدناه ، وفرض عليه خمسين صلاة ، فلم يزل يتردد بين موسى وبين ربه ، ينزل من عند ربه إلى موسى ، فيسأله : كم فرض عليك ؟ فيخبره ، فيقول : ارجع إلى ربك فسله التخفيف.

وذكر البخاري في كتاب التوحيد ، من صحيحه ، حديث أنس ، حديث الاسراء ، وقال فيه : ثم علا به جبريل فوق ذلك ، بما لا يعلم إلا الله ، حتى جاوز سدرة المنتهى ، ودنا الجبار رب العزة ، فتدلى حتى كان قاب قوسين ، أو أدنى ، فأوحى إليه فيما أوحى : خمسين صلاة كل يوم وليلة ، ثم هبط حتى بلغ موسى ، فاحتبسه موسى ، فقال : يا محمد ، ماذا عهد إليك ربك ؟ قال عهد إلي خمسين صلاة كل يوم وليلة ، قال : إن أمتك لا تستطيع ذلك ، فارجع ، فليخفف عنك ربك ، فالتفت النبي ﷺ إلى جبريل كأنه يستشيره ، فأشار عليه جبريل : أن نعم إن شئت ، فعلا به إلى الجبار تبارك وتعالى ، فقال وهو في مكانه « يا رب خفف عنا » وذكر الحديث.

ولما حكم سعد بن معاذ في بني قريظة ، بأن تقتل مقاتلهم ، وتسبى ذريتهم ، وتغنم أموالهم ، قال النبي ﷺ : « لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة » وفي لفظ : « من فوق سبع سماوات » وأصل القصة في الصحيحين ، وهذا السياق لمحمد بن إسحاق في المغازي.

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد ، قال بعث علي بن أبي طالب إلى النبي ﷺ بذهيبة في أديم مقروض ، لم تحصل من ترابها ، قال فقسمها بين أربعة : بين عيينة بن حصن بن بدر ، والأقرع بن حابس ، وزيد الخيل ، والرابع إما علقمة ، وإما عامر بن الطفيل ، فقال رجل من أصحابه : كنا أحق بهذا من هؤلاء ، فبلغ النبي ﷺ فقال : « ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ؟ يأتيني خبر السماء صباحاً ومساء ».

وفي سنن أبي داود من حديث جبير بن مطعم ، قال جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله : هلكت الأنفس ، وجاع العيال ، وهلكت الأموال ، فاستسق لنا ربك ، فإنا نستشفع بالله عليك ، وبك على الله ، فقال النبي ﷺ : « سبحان الله ! سبحان الله !! » فما زال يسبح ، حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ، فقال : « ويحك ، أتدري ما الله ؟ إن شأنه أعظم من ذلك ، إنه لا يستشفع به على أحد من خلقه ، إنه لفوق سماواته على عرشه ، وإنه عليه لهكذا ، وإنه ليئط به اطيط الرحل بالراكب » وقد ساق الذهبي هذا الحديث ، في كتاب العلو ، من رواية محمد بن إسحاق ، ثم قال : هذا

حديث غريب جداً ؛ وابن إسحاق حجة في المغازي ، إذا أسند ؛ وله مناكير ، وعجائب ، فالله أعلم ، قال النبي ﷺ هذا ، أم لا ؟

والله عز وجل : ليس كمثله شيء ، جل جلاله ، وتقدست أسماؤه ، ولا إلّه غيره ؛ والأطيط الواقع بذات العرش ، من جنس الأطيط الحاصل في الرحل ، فذاك صفة للرحل وللعرش ، ومعاذ الله : أن نعده صفة الله عز وجل ، ثم لفظ الأطيط لم يأت به نص ثابت ، وقولنا في هذه الأحاديث : إنا نؤمن بما صح منها ، وبما اتفق السلف على إمراره وإقراره ، فأما ما في إسناده مقال ، واختلف العلماء في قبوله ، وتأويله ، فإنا لا نتعرض له بتقرير ، بل نرويه في الجملة ، ونبين حاله ، وهذا الحديث إنما سقناه لما فيه مما تواتر ، من علو الله على عرشه ، مما يوافق آيات الكتاب.

وفي سنن أبي داود ، ومسند الإمام أحمد ، من حديث العباس بن عبد المطلب ، قال : كنت جالساً بالبطحاء ، في عصابة ، فيهم رسول الله ﷺ فمرت سحابة ، فنظر إليها ، فقال : « ما تسمون هذه » قالوا : السحاب ، قال : « والمزن » قالوا والمزن ، قال : « والعنان » قالوا : والعنان ، قال : « هل تدرون بعد ما بين السماء والأرض ؟ » قالوا : لا ندري ، قال : « إن بعد ما بينهما إما واحدة وإما اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ، ثم السماء فوقها كذلك ، حتى عد سبع سماوات ، ثم فوق السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين السماء إلى

السماء ، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال ، بين أضلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء ، ثم على ظهورهم العرش ، أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ، ثم الله عز وجل فوق ذلك ، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم » .

وفي مسند الإمام أحمد ، من حديث أبي هريرة : أن رجلاً أتى النبي ﷺ بجارية سوداء أعجمية ، فقال يا رسول الله إن علي رقبة مؤمنة ، فقال لها رسول الله ﷺ « أين الله ؟ » فأشارت بأصبعها السبابة إلى السماء ، فقال لها « من أنا ؟ » فأشارت بأصبعها إلى رسول الله ﷺ وإلى السماء ، أي : أنت رسول الله ، فقال : « أعتقها فإنها مؤمنة » وفي جامع الترمذي ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

وفي جامع الترمذي أيضاً : عن عمران بن حصين ، قال : قال النبي ﷺ لأبيه حصين « كم تعبد اليوم إلٰهاً » قال : سبعة، ستة في الأرض ، وواحد في السماء ، قال : « فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك ؟ » قال الذي في السماء ، قال : « يا حصين : أما إنك لو أسلمت ، علمتك كلمتين ينفعانك » قال : فلما أسلم حصين ، قال : يا رسول الله ، علمني الكلمتين اللتين وعدتني ، قال : « قل اللهم ألهمني رشدي ، وقني شر نفسي » وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة

رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « والذي نفسي بيده ، ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه ، فتأبى عليه ، إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها ، حتى يرضى عنها » وفي حديث الشفاعة ، الطويل ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « فادخل على ربي تبارك وتعالى وهو على عرشه » وذكر الحديث ، وفي بعض ألفاظ البخاري : « فاستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه » وصح عن أبي هريرة ، بإسناد مسلم ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله ملائكة سيارة ، يتتبعون مجالس الذكر ، فإذا وجدوا مجلس ذكر جلسوا معهم ، فإذا تفرقوا صعدوا إلى ربهم » وأصل الحديث ، في صحيح مسلم ، ولفظه : « فإذا تفرقوا صعدوا إلى السماء ، فيسألهم الله عز وجل ، وهو أعلم بهم ، من أين جئتم ؟ » الحديث.

والأحاديث ، في هذا الباب : كثيرة جداً ، لا يتسع هذا الجواب لبسطها ، وفيما ذكرنا كفاية ، لمن هداه الله ، وألهمه رشده ؛ وأما من أراد الله فتنته ، فلا حيلة فيه ، بل لا تزيده كثرة الأدلة إلا حيرة وضلالاً ، كما قال تعالى :(وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً) [المائدة : ٦٤] وقال : (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً) [الإسراء : ٨٢] وقال جل ذكره : (يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً) [البقرة : ٢٦] وقال تبارك وتعالى : (وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً

إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون) [التوبة : ١٢٥] وقال سبحانه وتعالى : (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد) [فصلت : ٤٤].

والمقصود : أن نصوص الكتاب ، والسنة ، قد نطقت ؛ بل قد تواترت بإثبات علو الله على خلقه ، وأنه فوق سماواته ، مستو على عرشه ، استواء يليق بجلاله ، لا يعلم كيفيته إلا هو ، فإن قال السائل : كيف استوى على عرشه ؟ قيل له : كما قال ربيعة ، ومالك ، وغيرهما : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عن الكيفية بدعة ، وكذلك إذا قال : كيف ينزل ربنا ؟ قيل له : كيف هو ؟ فإذا قال : أنا لا أعلم كيفيته ، قيل : ونحن لا نعلم كيف نزوله ، إذ العلم بكيفية الصفة ، يستلزم العلم بكيفية الموصوف ، وهو فرع له ، فكيف تطالبني بكيفية استوائه على عرشه ، وتكليمه ، ونزوله ، وأنت لا تعلم كيفية ذاته ؟

وإذا كنت تقر بأن له ذاتا حقيقة ، ثابتة في نفس الأمر ، مستوجبة لصفات الكمال ، لا يماثلها شيء ، فاستواؤه ، ونزوله ، وكلامه ، ثابت في نفس الأمر ، ولا يشابهه فيها استواء المخلوقين ، وكلامهم ، ونزولهم ، فإنه ليس كمثله شيء ، لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، فإذا كان له ذات حقيقة ، لا تماثل الذوات ، فالذات متصفة بصفات

حقيقة ، لا تماثل سائر الصفات ، فإن الكلام في الصفات ، فرع على الكلام في الذات ، فإذا كانت ذاته لا تشبه ذوات المخلوقين ، فصفات الخالق لا تشبه صفات المخلوقين.

وكثيـر من الناس : يتـوهم في كثير من الصفـات ، أو أكثرها ، أو كلها ، أنها تماثل صفات المخلوقين ، ثم يريد أن ينفي ذلك الذي فهمه ، فيقع في محاذير ؛ منها : أنه مثل ما فهم من النصـوص بصفـات المخلوقين ، وظن أن مـدلـول النصوص ، هو التمثيل ؛ ومنها : أن ينفي تلك الصفات عن الله بلا علم ، فيكون معطلاً لما يستحقه الرب ، من صفات الكمال ، ونعوت الجـلال ، فيكـون قـد عـطل مـا أثبتـه الله ورسوله ، من صفات الإلّهية اللائق بجلال الله وعظمته.

ومنهـا : أن يصف الـرب بنقيض تلك الصفـات ، من صفات الجمادات ، وصفـات المعدومـات ، فيكون قـد عطل صفات الكمال ، التي يستحقها الرب ، ومثله بـالنقوصـات ، والمعدومات ؛ وعطل النصوص عما دلت عليه من الصفات ، وجعل مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات ، فجمع في الله ، وفي كلام الله من التعطيـل والتمثيل ، فيكـون ملحداً في أسمـائه وآياته ؛ ومثال ذلك : أن النصوص كلها قد دلت على وصف الإلّه تبارك وتعالى بالفوقية ، وعلوه على المخلوقات ، واستوائه على عرشه ، وليس في كتاب الله ، والسنة ، وصف له بأنه لا داخل العالم ، ولا خارجاً عنه ، ولا مباينه ، ولا مداخله.

فيظن المتوهم : أنه إذا وصف الله تعالى بالاستواء على العرش ، كان الاستواء كاستواء الإنسان ، على ظهر الفلك ، والأنعام ، كقوله : (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون. لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم) [الزخرف : ١٢ ، ١٣] فيخيل لهذا الجاهل بالله وصفاته ، أنه إذا كان مستوياً على العرش ، كان محتاجاً إليه ، كحاجة المستوى على الفلك والأنعام ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، بل هو غني عن العرش وغيره ، وكل ما سواه مفتقر إليه ، فكيف يتوهم أنه إذا كان مستوياً على العرش كان محتاجاً إليه ، تعالى الله عن ذلك وتقدس.

وأيضاً : فقد علم أن الله تعالى خلق العالم بعضه فوق بعض ، ولم يجعل عاليه مفتقر إلى سافله ، فالهواء فوق الأرض ، وليس مفتقراً إلى أن تحمله الأرض ، والسحاب أيضاً فوق الأرض ، وليس مفتقراً إلى أن تحمله ، والسماوات فوق الأرض ، وليست مفتقرة إلى حمل الأرض لها ، فالعلي الأعلى رب كل شيء ومليكه ، إذا كان فوق جميع خلقه ، كيف يجب أن يكون محتاجاً إلى عرشه ، أو خلقه ؟ أو كيف يستلزم علوه على خلقه ، هذا الافتقار ؟ وهو ليس يستلزم في المخلوقات ؛ وكذلك قوله : (ءَأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور) [الملك : ١٦] وقول النبي ﷺ « ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء » ؟ وقوله : في رقية المريض « ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك » فمن توهم من هذه

النصوص : أن الله في داخل السماوات ، فهو جاهل ، ضال ، باتفاق العلماء.

فلو قال القائل : العرش في السماء ، أو في الأرض ؟ لقيل : في السماء ؛ ولو قيل : الجنة في السماء ، أم في الأرض ؟ لقيل : في السماء ، ولم يلزم من ذلك أن يكون العرش داخل السماوات ، بل ولا الجنة ، فإن السماء يراد به العلو ، سواء كان فوق الأفلاك ، أو تحتها ، قال تعالى : (فليمدد بسبب إلى السماء) [الحج : ١٥] وقال : (وأنزلنا من السماء ماء طهوراً) [الفرقان : ٤٨] ولما كان قد استقر في نفوس المخاطبين ، أن الله هو العلي الأعلى ، كان المفهوم من قوله : (في السماء) أنه في العلو ، وأنه كان فوق كل شيء ، وكذا الجارية ، لما قال لها : « أين الله » قالت : في السماء ، إنما أرادت العلو ، مع عدم تخصيصه بالأجسام المخلوقة ، وحلوله فيها.

وإذ قيل : العلو ، فإنه يتناول ما فوق المخلوقات كلها ، فما فوقها كلها ، هو في السماء ، ولا يقتضي هذا أن يكون هناك ظرف وجودي يحيط بها ، إذ ليس فوق العالم إلا الله ، كما لو قيل : العرش في السماء ، كان المراد أنه عليها ، كما قال تعالى : (فسيروا في الأرض) [آل عمران : ١٣٧] وكما قال : (فسيحوا في الأرض) [التوبة : ٢] وقال عن فرعون : (ولأصلبنكم في جذوع النخل) [طه : ٧١].

وبالجملة ، فمن قال : إن الله في السماء ، وأراد أنه في جوف السماء ، بحيث تحصره وتحيط به ، فقد أخطأ ، وضل ضلالاً بعيداً ، وإن أراد بذلك : أن الله فوق سماواته ، على عرشه ، بائن من خلقه ، فقد أصاب ، وهـذا : اعتقاد شيـخ الإسلام ، محمد بن عبـد الوهـاب ، رحمه الله تعـالى ؛ وهو الـذي نطق بـه الكتاب ، والسنـة ، واتفق عليـه سلف الأمـة وأئمتها.

ومن لم يعتقد ذلك ، كان مكذبـاً الرسـل ، متبعاً غيـر سبيل المؤمنين ، بل يكون في الحقيقة معطلاً لربه ، نافيا له ؛ ولا يكـون لـه في الحقيقـة إلّـه يعبــده ، ولا رب يقصـده ، ويسأله ؛ وهذا قول الجهمية.

والله تعالى قد فطر العباد ، عـربهم ، وعجمهم ، على أنهم إذا دعوا الله توجهت قلوبهم إلى العلو ، ولهذا قال بعض العارفين : ما قال عارف قط : يا الله ، إلا وجد في قلبه قبل أن يتحـرك لسـانـه ، معنى طلب العلو ، لا يلتفت يمنـة ولا يسرة ، بل قد فطر الله على ذلـك جميع الأمم ، في الجـاهلية ، والإسـلام ؛ إلا من اجتالتـه الشياطين عن فـطرته ، قـال ابن قتيبـة : ما زالت الأمم عـربها ، وعجمهـا ، في جـاهليتهـا ، وإسلامها ، معترفة بأن الله في السماء ، أي على السماء.

فهو سبحانه : قد أخبر في كتابه ، وعلى لسان رسوله ﷺ بـأنه استـوى على عرشـه ، استواء يليق بجـلالـه ، ويـنـاسب

كبريائه ، وهو غني عن العرش ، وعن حملة العرش ، والاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، كما قالت أم سلمة ، وربيعة ، ومالك وهذا مذهب أئمة المسلمين ، وهو الظاهر من لفظ استوى ، عند عامة المسلمين ، الباقين على الفطرة السليمة ، التي لم تنحرف إلى تعطيل ، ولا إلى تمثيل.

وهذا هو الذي أراده يزيد بن هارون الواسطي المتفق على إمامته ، وجلالته وفضله ، وهو من أتباع التابعين ، حيث قال : من زعم ، أن الرحمن على العرش استوى ، خلاف ما يقر في نفوس العامة ، فهو جهمي ، فإن الذي أقره الله في فطر عباده ، وجبلهم عليه : أن ربهم فوق سماواته.

وقد جمع العلماء في هذا الباب ، مصنفات كباراً وصغاراً ، وسنذكر بعض ألفاظهم في آخر هذه الفتوى ، إن شاء الله تعالى ، وليس في كتاب الله ، ولا سنة رسول الله ، ولا عن أحد من سلف الأمة ، لا من الصحابة ، ولا من التابعين ، ولا عن أئمة الدين حرف واحد ، يخالف ذلك ، ولم يقل أحد منهم قط : إن الله ليس في السماء ولا أنه ليس على العرش ، ولا أنه في كل مكان ، ولا أنه داخل العالم ولا خارجه ، ولا متصل ، ولا منفصل ، ولا أنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع ، ونحوها ، بل قد ثبت في الصحيح ، عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ، أن النبي ﷺ لما

خطب خطبته العظيمة ، يوم عرفات ، في أعظم مجمع حضره رسول الله ﷺ جعل يقول : « اللهم هل بلغت » فيقولون نعم ، فيرفع اصبعه إلى السماء وينكبها إليهم ويقول : « اللهم اشهد » وقد تقدمت الإشارة إلى هذا الحديث.

واعلم أن كثيراً من المتأخرين ، يقولون : هذا مذهب السلف ، في آيات الصفات ، وأحاديثها ، إقرارها على ما جاءت ، مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد ، وهذا لفظ مجمل ، فإن قول القائل : ظاهرها غير مراد ، يحتمل أنه أراد بالظاهر ، نعوت المخلوقين ، وصفات المحدثين ، فلا شك : أن هذا غير مراد ؛ ومن قال : هذا ، فقد أصاب ، لكن أخطأ في إطلاق القول أن هذا ظاهر النصوص ، فإن هذا ليس هو الظاهر ، فإن إيماننا بما ثبت من نعوته ، كإيماننا بالذات المقدسة ، إذ الصفات تابعة للموصوف ، فنعقل وجود الباري ، وننزه ذاته المقدسة عن الأشباه ، من غير أن نتعقل الماهية ؛ فكذلك القول في صفاته : نؤمن بها ، ونعقل وجودها ، ونعلمها في الجملة ، من غير أن نتعقلها ، أو نشبهها ، أو نكيفها ، أو نمثلها بصفات خلقه ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فلا نقول : إن معنى اليد ، القدرة ، ولا أن معنى الاستواء ، الاستيلاء ، ولا معنى نزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا ، نزول رحمته ، ونحو ذلك ، بل نؤمن بأنها صفات

حقيقة ، والكلام فيها كالكلام في الذات ، يحتذى فيه حذوه ، فإذا كانت الذات تثبت إثبات وجود ، لا إثبات كيفية ، فكذلك إثبات الصفات ، إثبات وجود لا إثبات كيفية .

ومن ظن أن نصوص الصفات ، لا يعقل معناها ، ولا يدري ما أراد الله ورسوله منها ، ولكن يقرؤها ألفاظاً لا معاني لها ، ويعلم أن لها تأويلاً ، لا يعلمه إلا الله ، وأنها بمنزلة (كهيعص ، حم ، عسق ، آلمص) وظن أن هذه طريقة السلف ، وأنهم لم يكونوا يعرفون حقائق الأسماء ؛ والصفات ، ولا يعلمون حقيقة قوله : (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه) [الزمر : ٦٧] وقوله : (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي)[ص : ٧٥] وقوله : (الرحمن على العرش استوى) [طه : ٥] ونحو ذلك ، فهذا الظان من أجهل الناس بعقيدة السلف .

وهذا الظن يتضمن استجهال السابقين الأولين ، من المهاجرين والأنصار ، وسائر الصحابة ، وأنهم كانوا يقرؤون هذه الآيات ، ويروون حديث النزول ، وأمثاله ، ولا يعرفون معنى ذلك ، ولا ما أريد به ، ولازم هذا الظن : أن الرسول ﷺ كان يتكلم بذلك ، ولا يعرف معناه ، فمن ظن أن هذه عقيدة السلف ، فقد أخطأ في ذلك خطأ بيناً ؛ بل السلف رضي الله عنهم أثبتوا لله حقائق الأسماء والصفات ، ونفوا عنه مماثلة المخلوقات ، فكان مذهبهم مذهباً بين مذهبين ، وهدى بين ضلالين ، خرج من مذهب المعطلين والمشبهين ، كما

خرج اللبن : (من بين فرث ودم لبنا خالصاً سائغاً للشاربين) [النحل : ٦٦].

وقالوا : نصف الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ﷺ ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ولا تمثيل ، بل طريقتنا إثبات حقائق الأسماء والصفات ، ونفى مشابهة المخلوقات ، فلا نعطل ، ولا نمثل ، ولا نؤول ؛ ولا نقول : ليس لله يدان ، ولا وجه ، ولا سمع ، ولا بصر ؛ ولا نقول : له يد كأيدي المخلوقين ، ولا أن له وجهاً كوجوههم ، ولا سمعاً وبصراً كأسماعهم وأبصارهم ، بل نقول : له ذات حقيقة ، ليست كالذوات ، وله صفات حقيقة لا مجازاً ، ليست كصفات المخلوقين ، فكذلك قولنا في وجهه ويديه ، وكلامه ، واستوائه .

وهو سبحانه قد وصف نفسه بصفات الكمال ، ونعوت الجلال ، وسمى نفسه بأسماء ، وأخبر عن نفسه بأفعال ؛ فسمى نفسه بـ (الرحمن الرحيم)، (الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر) [الحشر : ٢٢ ، ٢٣] إلى سائر ما ذكر من أسمائه الحسنى ؛ ووصف نفسه بما ذكره من الصفات ، كسورة الإخلاص ، وأول الحديد ، وأول طه ، وغير ذلك ، ووصف نفسه ، بأنه يحب ويكره ، ويمقت ، ويرضى ، ويغضب ، ويأسف ، ويسخط ، ويجيء ، ويأتي ، وأنه استوى على عرشه ، وأن له علماً وحياة ، وقدرة ، وإرادة ، وسمعاً ، وبصراً ، ووجهاً ، ويداً ، وأن له يدين ، وأنه فوق عباده ، وأن

الملائكة تعرج إليه ، وتنزل بالأمر من عنده ، وأنه قريب ، وأنه مع المحسنين ، ومع الصابرين ، ومع المتقين ، وأن السماوات مطويات بيمينه.

ووصفه رسوله ﷺ بأنه ينزل إلى السماء الدنيا ، وأنه يفرح ، ويضحك ؛ وأن قلوب العباد بين اصبعين من أصابعه ، وغير ذلك ، مما وصف به نفسه ، ووصفه به رسوله ﷺ ، وكل هذه الصفات : تساق مساقاً واحداً ، وقولنا فيها ، كقولنا في صفة العلو ، والاستواء ، فيجب علينا الإيمان بكل ما نطق به الكتاب ، والسنة ، من صفات الرب جل وعلا ، ونعلم أنها صفات حقيقة ، لا تشبه صفات المخلوقين ، فكما أن ذاته لا تشبه الذوات ، فصفاته لا تشبه الصفات ، فلا نمثل ، ولا نعطل ، وكل ما أخبر الله به وأخبر به رسوله ، فيجب الإيمان به ، سواء عرفنا معناه ، أو لم نعرفه ، وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الأمة ، وأئمتها ، مع أن عامته ، منصوص عليه في الكتاب والسنة.

وأما ما تنازع فيه المتأخرون ، نفياً وإثباتاً ، فليس على أحد ، بل ولا له : أن يوافق أحداً على إثبات لفظ ، أو نفيه ، حتى يعرف مراده ؛ فإن أراد حقاً قبل منه ، وإن أراد باطلاً ، رد عليه ، وإن اشتمل كلامه على حق ، وباطل ، لم يقبل مطلقاً ، ولم يرد جميع معناه ، بل يوقف اللفظ ، ويفسر المعنى ، كما تنازع الناس في الجهة ، والتحيز ، وغير ذلك ، فيقول بعض الناس : ليس في جهة ؛ ويقول آخر : بل هو في

جهة ؛ فإن هذه الألفاظ مبتدعة ، في النفي ، والإثبات ؛ وليس على أحدهما دليل من الكتاب ، ولا من السنة ، ولا من كلام الصحابة ، والتابعين ، ولا أئمة الإسلام ؛ فإن هؤلاء لم يقل أحد منهم ، إن الله سبحانه وتعالى في جهة ؛ ولا قال : إن الله ليس في جهة ، ولا قال هو متحيز ، ولا قال : ليس بمتحيز.

والناطقون بهذه الألفاظ ، يريدون معنى صحيحاً ، وقد يريدون معنى فاسداً ؛ فإذا قال : إن الله في جهة ؛قيل له : ما تريد بذلك ؟ أتريد أنها تحصره ، وتحيط به ؟ أم تريد أمراً عدمياً ، وهو ما فوق العالم ؟ فإنه ليس فوق العالم شيء من المخلوقات ؛ فإن أردت الجهة الوجودية ، وجعلت الله محصوراً في المخلوقات ، فهذا باطل ؛ وإن أردت أن الله تعالى فوق المخلوقات ، بائن عنها ، فهذا حق ، وليس في ذلك : أن شيئاً من المخلوقات حصره ، ولا أحاط به ، ولا علا عليه ؛ بل هو العالي عليها ، المحيط بها.

وقد قال تعالى : (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) [الزمر : ٦٧] وفي الصحيح عن النبي ﷺ : « إن الله يقبض الأرض يوم القيامة ، ويطوي السماوات بيمينه ، ثم يهزهن ، فيقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض » فمن تكون جميع المخلوقات بالنسبة إلى قبضته تعالى في هذا الصغر والحقار كيف تحيط به وتحصره ، ومن قال : إن الله ليس في جهة ؛ قيل له : ما تريد بذلك ؟ فإن أراد بذلك : أنه ليس فوق

السماوات رب يعبد ، ولا على العرش إلـه يصلى لـه ، ويسجد ، ومحمد لم يعرج بذاته إليه ؛ فهذا معطل ، وإن قال : مرادي بنفي الجهة ، أنه لا تحيط به المخلوقات ، فقد أصاب ، ونحن نقول به.

وكذلك من قال : إن الله متحيز ، إن أراد ، أن المخلوقات تحوزه ، وتحيط به ، فقد أخطأ ، وإن أراد أنه محتاز عن المخلوقات ، بائن عنها ، عال عليها ، فقد أصاب ؛ ومن قال : إنه ليس بمتحيز ، إن أراد أن المخلوقات لا تحوزه ، فقد أصاب ، وإن أراد بذلك أنه ليس ببائن عنها ، بل هو لا داخل العالم ، ولا خارجه ، فقد أخطأ ؛ فإن الأدلة كلها ، متفقة على أن الله فوق مخلوقاته ، عال عليها ، فقد فطر الله على ذلك الأعراب ، والصبيان ، كما فطرهم على الإقرار بالخالق تعالى ، ولهذا قال عمر بن عبد العزيز : عليك بدين الأعراب ، والصبيان ؛ أي : عليك بما فطرهم الله عليه ، فإن الله فطر عباده على الحق ، كما في الصحيح عن النبي ﷺ : «كل مولود يولد على الفطرة» الحديث.

فصل:

وأما قوله تعالى : (يد الله فوق أيديهم) [الفتح : ١٠] فاعلم أن لفظ اليد جاء في القرآن على ثلاثة أنواع مفرد ، كهذه ، وكقوله :(بيده الملك) [الملك : ١] وجاء مثنى ، كقوله : (بل يداه مبسوطتان) [المائدة : ٦٤] وكقوله : (ما

منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) [ص : ٧٥] وجاء مجموعاً ، كقوله : (عملت أيدينا) [يس : ٧١] فحيث ذكر اليد مثناة ، أضاف الفعل إلى نفسه بضمير الإفراد ، وعدى الفعل بالباء إليها ، فقال : (خلقت بيدي) وحيث ذكرها مجموعة ، أضاف العمل إليها ولم يعد الفعل بالباء ، فلا يحتمل (ما خلقت بيدي) من المجاز ما يحتمله (عملت أيدينا) فإن كل أحد يفهم من قوله : عملت أيدينا ، ما يفهمه من قوله : عملنا ، وخلقنا ، كما يفهم من قوله : (بما كسبت أيديكم) [الشورى : ٣٠] .

وأما قوله : (خلقت بيدي) فلو كان المراد منه مجرد الفعل ، لم يكن لذكر اليد ـ بعد نسبة الفعل إلى الفاعل ـ معنى ، فكيف وقد دخلت الباء ، فالفعل قد يضاف إلى يد ذي اليد ، والمراد الإضافة إليه ، كقوله : (بما كسبت أيديكم) وأما إذا أضيف إليه الفعل ، ثم عدى بالباء إلى يده مفردة ، أو مثناة ، فهو ما باشرته يده. ولهذا قال عبد الله بن عمرو بن العاص : إن الله لم يخلق بيده إلا ثلاثاً : خلق آدم بيده ؛ وغرس جنة الفردوس بيده ، وكتب التوراة بيده ، فلو كانت اليد هي القدرة ، لم يكن لها اختصاص بذلك ، ولا كانت لآدم فضيلة بذلك على شيء مما خلق بالقدرة.

وقد صح عنه ﷺ « أن أهل الموقف يأتون آدم ، فيقولون : أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من

روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء » فذكروا أربعة أشياء كلها خصائص ، وكذلك قال آدم لموسى عليهما السلام ، في محاجته له : « اصطفاك الله بكلامه ، وخط لك الألواح بيده » وفي لفظ آخر « كتب الله لك التوراة بيده » وهو من أصح الأحاديث ، وكذلك في الحديث المشهور « إن الملائكة قالوا يا رب : خلقت بني آدم ، يأكلون ، ويشربون ، وينكحون ، ويركبون ، فاجعل لهم الدنيا ، ولنا الآخرة ، فقال الله : لا أجعل صالح من خلقت بيدي ، ونفخت فيه من روحي ، كمن قلت له كن فكان ».

وأيضاً : فإنه لو كان قوله (خلقت بيدي) مثل قوله : (عملت أيدينا) لكان آدم ، والأنعام سواء ؛ وأهل الموقف ، قالوا : « أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده » يعلمون لآدم تخصيصاً ، وتفضيلاً ، بكونه مخلوقاً باليدين ؛ وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ : « يقبض الله سماواته بيده اليمنى ، والأرض بيده الأخرى » وقال ﷺ : « يمين الله ملأى ، لا يغيضها نفقة » الحديث ؛ وفي صحيح مسلم ، في أعلى أهل الجنة منزلة « أولئك الذين غرست كرامتهم بيدي ، وختمت عليها » وقال عبد الله بن الحارث ، قال النبي ﷺ : « خلق الله ثلاثة أشياء بيده ، خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس الفردوس بيده ، ثم قال : وعزتي لا يسكنها مدمن الخمر ، ولا ديوث ».

وفي الصحيح عنه ﷺ : « تكون الأرض يوم القيامة خبزة

واحدة ، يتكفاها الجبار ، كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر ، نزلاً لأهل الجنة » وفي الصحيح مرفوعاً : « إن الله يبسط يده بالليل ، ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ، ليتوب مسيء الليل » وفي الصحيح أيضاً مرفوعاً : « المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور ، عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين » وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خلق الله آدم ، ثم مسح ظهره بيمينه ، ثم استخرج ذريته منه ، قال : خلقت هؤلاء للجنة ، وبعمل أهل الجنة يعملون » الحديث ؛ وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « ما تصدق أحد بصدقة من كسب طيب ــ ولا يقبل الله إلا طيباً ــ إلا أخذها الرحمن بيمينه ، فتربو في كف الرحمن ، حتى تكون أعظم من الجبل » متفق على صحته.

وقال نافع ، عن ابن عمر ، سألت ابن أبي مليكة ، عن يد الله ، أواحدة ؟ أم اثنتان ؟ فقال ، اثنتان ، وقال عبد الله بن عباس : ما السماوات السبع ، والأرضون السبع ، وما فيهما في يد الله ، إلا كخردلة في يد أحدكم ، وقال ابن عمر ، وابن عباس : أول شيء خلق الله القلم ، فأخذه بيمينه ، وكلتا يديه يمنى ، فكانت الدنيا وما فيها من عمل معمول ، في بر ، وبحر ، ورطب ، ويابس ، فأحصاه عنده ؛ وقال ابن وهب ، عن أسامة عن ابن عمر : أن النبي ﷺ قرأ على المنبر (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه)

[الزمر : ٦٧] قال : « مطوية في كفه يرمى بها ، كما يرمي الغلام بالكرة » وهذه النصوص التي ذكرنا ، هي غيض من فيض ، وفيما ذكرنا كفاية ، لمن هداه الله (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) [النور: ٤٠].

فصل:

في ذكر بعض ما ورد عن الصحابة ، والتابعين ، وأتباع التابعين ، في مسألة علو الرب تبارك وتعالى على خلقه ، وأنه على عرشه المجيد ، فوق سماواته ، روى ابن أبي شيبة ، عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ، قال : لما قبض رسول الله ﷺ ، قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : يا أيها الناس إن كان محمد إلٰهكم الذي تعبدون ، فإن إلٰهكم قدمات ، وإن كان إلٰهكم الذي في السماء ، فإن إلٰهكم لم يمت ، ثم تلا : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) الآية [آل عمران : ١٤٤] وروى البخاري في تاريخه ، عن ابن عمر ، أن أبا بكر قال : من كان يعبد محمداً ، فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله ، فإن الله في السماء حي لا يموت ، وروى ابن أبي شيبة ، عن قيس ، قال : لما قدم عمر الشام ، استقبله الناس ، وهو على بعير ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، لو ركبت برذوناً يلقاك عظماء الناس ، ووجوههم ، فقال عمر رضي الله عنه : ألا أراكم ههنا ؟ إنما الأمر من ههنا ، وأشار بيده إلى السماء.

وروى **عثمان بن سعيد الدارمي** : أن امرأة لقيت عمر بن الخطاب ، وهو يسير مع الناس ، فاستوقفته ، فوقف لها ، ودنا منها ، وأصغى لها ، حتى انصرفت ، فقال رجل ، يا أمير المؤمنين ، حبست رجالاً من قريش ، على هذه العجوز ، قال : ويلك ! أتدري من هذه؟ قال : لا ، قال : هذه امرأة ، سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات ، هذه خولة بنت ثعلبة ، والله لو لم تنصرف مني إلى الليل ، ما انصرفت ، حتى تقضي حاجتها ، إلا أن تحضرني صلاة ، فأصليها ثم ارجع إليها ، حتى تقضي حاجتها ؛ وقال ابن عبد البر ، في كتاب الاستيعاب ، روينا من وجوه صحيحة : أن عبد الله بن رواحة ، رضي الله تعالى عنه ، مشى إلى أمة له ، فنالها ، فرأته امرأته ، فجحدها ؛ فقالت : إن كنت صادقاً فاقرأ القرآن ، فإن الجنب لا يقرأ القرآن ، فقال:

شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة شداد ... ملائكة الإله مسومينا

فقالت : آمنت بالله ، وكذبت عيني ؛ وكانت لا تحفظ القرآن ؛ وروى الدارمي ، بإسناده عن ابن مسعود ، قال : العرش فوق الماء ، والله فوق العرش ، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم ، قال الحافظ الذهبي : رواه عبد الله بن الإمام أحمد ، وابن المنذر ، والطبراني ، وأبو الشيخ ، واللالكائي ،

والبيهقي ، وابن عبد البر ، وإسناده صحيح .

وروى الأعمش ، عن خيثمة ، عن عبد الله ، إن العبد ليهم بالأمر من التجارة ، حتى إذا استيسرت له ، نظر الله إليه من فوق سبع سماوات ، فيقول للملك : اصرفه عنه ، فيصرفه عنه ، وقال عبد الله بن عباس : تفكروا في كل شيء ، ولا تفكروا في ذات الله ، فإن بين السماوات السبع إلى كرسيه سبعة أنوار ، والله فوق ذلك ، ورواه عبد الله بن الإمام أحمد ؛ وروى الدارمي : أن ابن عباس قال لعائشة ، حين استأذن عليها ، وهي تموت : وأنزل الله براءتك من فوق سبع سماوات ؛ وروى الدارمي ، عن نافع ، قال قالت عائشة : وأيم الله لو كنت أحب قتله لقتلته ـ يعني عثمان ـ وقد علم الله فوق عرشه أني لا أحب قتله.

وفي الصحيحين : أن زينب كانت تفتخر على أزواج رسول الله ﷺ ، تقول : زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله من فوق سبع سماوات ، وقد تقدم ذلك ؛ وفي لفظ لغيرها ، كانت تقول : زوجني الرحمن من فوق عرشه ، كان جبرائيل السفير بذلك ، وأنا ابنة عمتك.

وقال علي بن الأقمر : كان مسروق إذا حدثته عائشة ، قال حدثتني الصديقة ، بنت الصديق ، حبيبة حبيب الله ، المبرأة من فوق سبع سماوات ؛ وقال قتادة ، قالت بنو

إسرائيل : يا رب أنت في السماء ، ونحن في الأرض ، فكيف لنا أن نعرف رضاك ، وغضبك ؟ قال : « إذا رضيت عليكم استعملت عليكم خياركم ، وإذا غضبت استعملت عليكم أشراركم » رواه الدارمي.

وقال سليمان التيمي : لو سئلت أين الله ؟ لقلت في السماء ؛ وقال كعب الأحبار ، قال الله عز وجل في التوراة : أنا الله فوق عبادي ، وعرشي فوق جميع خلقي ، وأنا على عرشي ، أدبر أمور عبادي ، لا يخفى علي شيء من أعمالهم ؛ وقال مقاتل ، في قوله تعالى : ﴿ ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ﴾ [المجادلة : ٧] قال : بعلمه ، يعلم نجواهم ، ويسمع كلامهم ، وهو فوق عرشه ، وعلمه معهم ؛ وقال الضحاك في الآية : هو الله على العرش ، وعلمه معهم.

وقال عبيد بن عمير : ينزل الرب شطر الليل ، إلى السماء الدنيا ، فيقول : هل من سائل فأعطيه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ حتى إذا كان الفجر ، صعد الرب عز وجل ، أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد ؛ وقال الحسن : ليس شيء عند ربك من الخلق ، أقرب من إسرافيل ، وبينه ، وبينه سبعة حجب ، كل حجاب منها مسيرة خمسمائة عام ، وإسرافيل دون هؤلاء ، ورأسه من تحت العرش ، ورجلاه في تخوم السابعة.

وروى البيهقي ، بإسناد صحيح إلى الأوزاعي ، قال : كنا والتابعون متوافرون ، نقول : إن الله تعالى جل ذكره فوق

عـرشه ، ونؤمن بمـا وردت به السنـة من صفاتـه ؛ وقال أبـو عمر بن عبد البر ، في التمهيد : علماء الصحابة ، الذين حمل عنهم التأويل ، قالوا في تأويل قوله تعـالى : (ما يكـون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم) الآية [المجادلة : ٧] هو : على العرش وعلمه في كل مكان ؛ وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله.

وروى أبـو بكـر الخـلال ، في كتـاب السنـة ، عن الأوزاعي ، قـال : سئـل مكحـول والـزهـري ، عن تفسير الأحاديث ، فقالا : أمروها كمـا جاءت ؛ وروي أيضـاً : عن الوليد بن مسلم ، قـال سألت الأوزواعي ، ومـالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، والليث بن سعد ، عن الأخبار التي جاءت في الصفات ، فقالوا : أمروها كما جاءت ؛ وفي رواية ، فقالوا : أمروها كما جاءت بلا كيف.

فقولهم رضي الله عنهم : أمروها كما جاءت ، رد على المعطلة ؛ وقولهم : بلا كيف ، رد على الممثلة ؛ والزهري ، ومكحول ، هما أعلم التابعين في زمانهم ، والأربعة الباقون ، هم أئمة الدنيا في عصر تابعي التابعين ؛ فمالك إمام الحجاز ، والأوزاعي إمام أهل الشام ، والليث إمام أهل مصر ، وسفيان الثوري إمام أهل العراق.

وقال الأوزاعي : عليك بـآثار من سلف ، وإن رفضـك الناس ، وإياك وآراء الرجال ، وإن زخرفوه لك بالقول ، وقال

سفيان الثوري في قوله :(وهو معكم أينما كنتم) [الحديد : ٤] قال : علمه ؛ وروى الخلال بإسناد كل رجاله أئمة ، عن سفيان بن عيينة ، قال سئل ربيعة بن عبد الرحمن ، عن قوله : (الرحمن على العرش استوى) [طه : ٥] كيف استوى ؟ قال الإستــواء غيـر مجهــول ، والكيف غيـر معقــول ، ومن الله الـرسالـة ، وعلى الرسـول البلاغ ، وعلينـا التصديق ؛ وهـذا الكلام مروي عن مالك ، تلميذ ربيعة ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

وقال عبد الرحمن بن مهدي : إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن الله كلم مــوسى ، وأن يكــون على العــرش ، أرى أن يستتابوا ، فإن تابوا وإلا ضربتم أعناقهم ؛ وابن مهدي هذا ، هـو الذي قـال فيه علي بن المـديني : لو حلفت بين الـركن والمقـام ، إني ما رأيت أعلم منـه لحلفت ، وروى ابن أبي حاتم ، عن سعيد ابن عامر الضبعي ، أنه ذكر عنده الجهمية ، فقال : هم أشر قولاً من اليهود والنصارى ، وقد أجمـع أهل الأديان ، مع المسلمين ، على أن الله على العرش ، وقالـوا هم : ليس على العرش شيء.

وقـال عباد بن العـوام ــ أحد أئمـة الحـديث بـواسط ــ كلمت بشراً المريسي ، وأصحابه ، فرأيت آخر كلامهم : ليس على العرش شيء ؛ أرى والله أن لا يناكحوا ، ولا يوارثوا ؛ وقـال : علي بن عاصم ، شيـخ الإمام أحمـد : احـذروا من

المريسي ، وأصحابه ، فإن كلامهم الزندقة ، وأنا كلمت أستاذهم ، فلم يثبت أن في السماء إلّهاً ؛ وقال حماد بن زيد : الجهمية إنما يحاولون ، أن يقولوا : ليس في السماء شيء ؛ وكان من أشد الناس على الجهمية ؛ وقال وهب بن جرير : إياكم ورأي جهم ، وأصحابه ، فإنهم يحاولون أن ليس في السماء شيء ؛ وما هو إلا من وحي إبليس ، وما هو إلا الكفر.

وقال عبد العزيز بن يحيى الكناني ، صاحب الشافعي ، له كتاب في الرد على الجهمية ، قال فيه : باب قول الجهمي ، في قول الله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) زعمت الجهمية أن معنى استوى استولى ؛ قال ، فيقال له : هل يكون خلق من خلق الله ، أتت عليه مدة ، ليس بمستول عليه ؟ فإذا قال : لا ؛ قيل له : فمن زعم ذلك فهو كافر ؛ ويقال له : يلزمك أن تقول : إن العرش أتت عليه مدة ، ليس الله بمستول عليه ، وذلك لأنه أخبر سبحانه وتعالى ، أنه خلق العرش ، قبل السماوات والأرض ، ثم استوى عليه بعد خلقهن ، فيلزمك أن تقول : المدة التي كان العرش ، قبل خلق السماوات والأرض ، ليس الله بمستول عليه فيها ؛ ثم ذكر كلاماً طويلاً في تقرير العلو ، والاحتجاج عليه.

وقال عبد الله ، بن الزبير الحميدي شيخ البخاري : وما نطق به القرآن ، والحديث ، مثل قوله : (بل يداه مبسوطتان) [المائدة : ٦٤] ومثل قوله : (والسموات مطويات بيمينه)

[الزمر : ٦٧] وما أشبه هذا ، من القرآن ، والحديث ، لا نزيد فيه ، ولا نفسره ، ونقف على ما وقف عليه القرآن ، والسنة ، ونقول : (الرحمن على العرش استوى) ومن زعم غير هذا ، فهو مبطل جهمي.

وروى ابن أبي حاتم ، قال جاء بشر بن الوليد ، إلى أبي يوسف ، فقال : تنهاني عن الكلام ، وبشر المريسي ، وعلي الأحول ، وفلان يتكلمون ؟ فقال : وما يقولون ؟ قال يقولون : إن الله في كل مكان ؛ فبعث أبو يوسف ، وقال : علي بهم ، فانتهوا إليهم ، وقد قام بشر ، فجيء بعلي الأحول ، والشيخ الآخر ، فنظر : أبو يوسف إلى الشيخ ، فقال : لو أن فيك موضع أدب لأوجعتك ؟ وأمر به إلى الحبس ، وضرب علياً الأحول ، وطوف به ، وقد استتاب أبو يوسف ، بشراً المريسي ، لما أنكر أن يكون الله فوق عرشه ؛ وهي قصة مشهورة ، ذكرها ابن أبي حاتم ، وغيره ، وأصحاب أبي حنيفة المتقدمون على هذا.

وقال محمد ابن الحسن : اتفق الفقهاء كلهم ، من المشرق إلى المغرب ، على الإيمان بالقرآن ، والأحاديث ، التي جاءت بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل ، من غير تفسير ، ولا وصف ، ولا تشبيه ؛ فمن فسر شيئاً من ذلك ، فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ ، وفارق الجماعة كلهم ؛ فإنهم لم يصفوا ، ولم يفسروا ؛ ولكن آمنوا

بما في الكتاب ، والسنة ، ثم سكتوا ؛ فمن قال بقول جهم ، فقد فارق الجماعة ، لأنه وصفه بصفة لا شيء.

وقال محمد أيضاً ، في الأحاديث التي جاءت « إن الله يهبط إلى السماء الدنيا » ونحو هذه الأحاديث ، قد رواها الثقات ، فنحن نؤمن بها ، ولا نفسرها ، ذكر ذلك عنه أبو القاسم اللالكائي ؛ وقال سفيان بن عيينة ، وقد سئل عن حديث : « إن الله يحمل السماوات على أصبع » وحديث : « القلب بين أصبعين من أصابع الرحمن » فقال سفيان : هي كما جاءت نقربها ، ونحدث بها بلا كيف ؛ وذكر ابن أبي حاتم بإسناده عن الأصمعي ، قال قدمت امرأة جهم ، فقال رجل عندها : الله على عرشه ، فقالت : محدود على محدود ؛ فقال الأصمعي : هذه كافرة بهذه المقالة ، أما هذا الرجل ، وامرأته ، فما أولاهما بأن : (سيصلى ناراً ذات لهب، وامرأته حمالة الحطب) [المسد : ٣ ، ٤] وقال إسحاق بن راهويه ، إمام أهل المشرق ، نظير أحمد ، وقيل له ، ما تقول في قوله تعالى :(ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) [المجادلة : ٧] قال حيث ما كنت ، فهو أقرب إليك من حبل الوريد ، وهو بائن من خلقه ؛ ثم قال : وأعلى شيء في ذلك ، وأثبته قوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) وروى الخلال ، في كتاب السنة ، قال قال إسحاق بن راهويه ، قال الله : (الرحمن على العرش استوى) [طه : ٥] إجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى ، ويعلم كل شيء أسفل الأرض السابعة ، في

قعور البحار ، وفي كل موضع ، كما يعلم ما في السماوات السبع ، وما دون العرش ، أحاط بكل شيء علما.

وقال قتيبة بن سعيد ، هذا قول أئمة الإسلام ، والسنة والجماعة : نعرف ربنا بأنه في السماء السابعة ، على عرشه ، كما قال : (الرحمن على العرش استوى) وقتيبة هذا أحد أئمة الإسلام ، وحفاظ الحديث ؛ وقال عبد الوهاب الورّاق : من زعم أن الله ها هنا ، فهو جهمي خبيث ؛ إن الله فوق العرش ، وعلمه محيط بالدنيا والآخرة ، صح ذلك عنه ؛ وهو الذي قال فيه الإمام أحمد ، وقد قيل له من نسأل بعدك ؟ فقال عبد الوهاب ، وقال خارجة بن مصعب : الجهمية كفار ، أبلغ نساءهم أنهن طوالق لا يحللن لهم ، ثم تلا (طه) إلى قوله : (الرحمن على العرش استوى) [طه : ١ - ٥].

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم : سألت أبي ، وأبا زرعة ، عن مذهب أهل السنة ، في أصول الدين ، وما أدركا عليه العلماء ، في جميع الأمصار ، وما يعتقدون من ذلك ؟ فقال: أدركنا العلماء في جميع الأمصار ، حجازاً وعراقاً ، ومصراً وشاما ، ويمنا ، فكان مذهبهم : أن الله تبارك وتعالى على عرشه ، بائن من خلقه ، كما وصف نفسه ، وعلى لسان رسوله ﷺ ، بلا كيف ، وأحاط بكل شيء علماً.

وقال أبو زرعة أيضاً : هو على العرش استوى ، وعلمه في كل مكان ، من قال غير هذا ، فعليه لعنة الله ؛ وقال

علي بن المديني ، الذي سماه البخاري : سيد المسلمين ؛ وقيل : ما تقول الجماعة في الاعتقاد ؟ فقال : يثبتون الكلام ، والرؤية ، ويقولون : إن الله على العرش استوى ؛ فقيل له : ما تقول في قوله تعالى : (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) ؟ فقال : اقرأ أول الآية ، يعني : بالعلم ، لأن أول الآية : (ألم تر أن الله يعلم).

وقال عبد الله بن المبارك : نعرف ربنا ، بأنه فوق سبع سماوات ، على العرش استوى ، بائن من خلقه ؛ لا نقول كما قالت الجهمية ؛ رواه عنه الدارمي ، والحاكم ، والبيهقي ، بأصح إسناد ؛ وصح عن ابن المبارك أيضاً أنه قال : إنا لنستطيع أن نحكي كلام اليهود ، والنصارى ، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية ؛ وقال نعيم بن حماد ، الخزاعي ، الحافظ ، في قوله تعالى : (وهو معكم أينما كنتم) معناه : أنه لا يخفى عليه خافية بعلمه ، ثم تلا قوله تعالى : (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) الآية ؛ وقال محمد بن إسماعيل ـ البخاري ـ سمعت نعيم بن حماد يقول : من شبه الله بخلقه ، فقد كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه ، فقد كفر ؛ وليس ما وصف به نفسه ، ولا رسوله ، تشبيهاً.

فصـل :

في ذكر أقوال : الأئمة الأربعة رضي الله عنهم.

ذكر قول الإمـام : أبي حنيفة ، رضي الله عنـه ، روى البيهقي ، في كتـاب الصفـات ، عن نعيم بن حمـاد ، قـال سمعت نوح بن أبي مريم يقول : كنت عند أبي حنيفة ، أول ما ظهر ، إذ جاءته امرأة من ترمذ ، كانت تجالس جهماً ، فدخلت الكوفة ، فأظنني أقلٍ ما رأيت عليها عشرة آلاف نفس ، فقيل لها : إن ههنا رجـلا ، قد نـظر في المعقول ، يقـال له أبـو حنيفة ؛ فأتته ، فقالت : أنت الذي تعلم الناس المسائل ، وقد تركت دينك ، أين إلٓهك الذي تعبد ؟ فسكت عنها ، ثم مكث سبعة أيام لا يجيبها ، ثم خرج إلينا ، وقد وضع كتاباً : إن الله عز وجل في السماء ، دون الأرض ؛ فقال لـه رجل : أرأيت قول الله تعالى : (وهو معكم أينما كنتم) قال هو كما تكتب إلى الرجل ، إني معك ، وأنت غائب عنه ؛ ثم قال البيهقي : لقد أصاب أبو حنيفة رحمه الله ، فيما نفى عن الله عز وجل ، من الكون في الأرض ، وأصاب فيما ذكر من تأويل الآية ، واتبع مطلق السمع ، بأن الله تعالى في السماء.

وفي كتاب الفقه الأكبر ، المشهور ، المروي بالأسانيد ،

عن أبي مطيع ، الحكم بن عبد الله ، البلخي ، قال : سألت أبا حنيفة ، عمن يقول : لا أعرف ربي ، في السماء أو الأرض ؟ قال : قد كفر ؛ إن الله تعالى يقول : (الرحمن على العرش استوى) وعرشه فوق سماواته ، فقلت إنه يقول ، أقول : إنه على العرش ، ولكنه قال : لا أدري العرش في السماء ، أم في الأرض ؟ قال إذا أنكر أنه في السماء ، فقد كفر ، لأن الله تعالى في أعلى عليين ، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل ؛ وفي لفظ : سألت أبا حنيفة ، عمن يقول : لا أعرف ربي ، في السماء ، أو في الأرض ؟ قال قد كفر ، لأن الله تعالى يقول : (الرحمن على العرش استوى) وعرشه فوق سماواته ، روى هذا شيخ الإسلام ، أبو إسماعيل الأنصاري ، في كتاب : الفاروق ؛ وقال الإمام : أبو محمد ، موفق الدين بن قدامة ، بلغني عن أبي حنيفة رحمه الله ، أنه قال : من أنكر أن الله عز وجل في السماء ، فقد كفر .

فتأمل هذا الكلام المشهور ، عن أبي حنيفة عند أصحابه ، أنه كفّر الواقف ، الذي يقول : لا أعرف ربي في السماء ، أو في الأرض ؛ فكيف يكون حكم الجاحد النافي ، الذي يقول : ليس في السماء ، ولا في الأرض ؟ واحتج أبو حنيفة على كفره ، بقوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) [طه : ٥] بين أن الله فوق السماوات ، فوق العرش ، فقال : وعرشه فوق سماواته ، وبين بهذا ، أن قوله : (على العرش استوى) فوق العرش ، ثم أردف ذلك ، بكفر

من توقف ، في كون العرش ، في السماء ، أو في الأرض ؛ قال : لأنه أنكر أن يكون الله في السماء ، وأن الله في أعلى عليين ، وأنه يدعى من أعلى ، لا من أسفل.

وذكر أصحاب أبي حنيفة من بعده ، كأبي يوسف ، ومحمد ، كما قدمنا ، ما روينا عنهم ، وكذلك هشام بن عبد الله ، كما روى ابن أبي حاتم ، وشيخ الإسلام ، بإسنادهما أن هشام بن عبيد الله ، صاحب محمد بن الحسن ، قاضي الري ، حبس رجلاً في التجهّم ، فتاب ، فجيء به ليمتحنه ، فقال : الحمد لله على التوبة ، فامتحنه هشام ، فقال : أتشهد أن الله على عرشه ، بائن من خلقه ؟ فقال أشهد أن الله على عرشه ، ولا أدري ما بائن من خلقه ؛ فقال ردوه إلى الحبس ، فإنه لم يتب ؛ وسيأتي كلام الطحاوي ، إن شاء الله تعالى.

وفي الفقه الأكبر أيضاً ، عن أبي حنيفة : لا يوصف الله بصفات المخلوقين ، ولا يقال إن يده قدرته ، ولا نعمته ، لأن فيه إبطال الصفة ، وهو قول أهل القدر ، والإعتزال ؛ ولكن يده صفته بلا كيف ؛ وقال في الفقه الأكبر (يد الله فوق أيديهم) [الفتح : ١٠] ليست كأيدي خلقه ، وهو خالق الأيدي جل وعلا ، ووجهه ليس كوجوه خلقه ، وهو خالق كل الوجوه ، ونفسه ليست كنفوس خلقه ، وهو خالق النفوس (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) [الشورى : ١١] وقال في الفقه الأكبر ، أيضاً : وله تعالى يد ، ووجه ، ونفس ، بلا كيف ،

ذكرها الله تعالى في القرآن ، وغضبه ، ورضاه ، وقضاه ، وقدرته ، من صفاته تعالى ، بلا كيف ، ولا يقال : غضبه ، عقابه ؛ ولا رضاه ، ثوابه ، انتهى.

ذكر قول الإمام : مالك بن أنس ، إمام دار الهجرة ، رضي الله عنه ، قال عبد الله بن نافع ، قال مالك بن أنس : الله في السماء ، وعلمه في كل مكان ، لا يخلو منه شيء ، رواه عبد الله ، بن الإمام أحمد ، وروى أبو الشيخ الأصبهاني ، وأبو بكر البيهقي ، عن يحيى بن يحيى ، قال كنا عند مالك بن أنس ، فجاءه رجل ، فقال يا أبا عبد الله : (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى ؟ فاطرق مالك برأسه ، حتى علاه الرحضاء ، ثم قال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، ولا أراك إلا مبتدعا ، فأمر به أن يخرج ، وتقدم عن شيخه ربيعة ، مثل هذا الكلام.

فقول ربيعة ، ومالك : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، موافق لقول الباقين ، أمروها كما جاءت بلا كيف ، فإنما نفوا الكيفية ، ولم ينفوا حقيقة الصفة ؛ ولو كان القوم آمنوا باللفظ المجرد ، من غير فهم لمعناه ، على ما يليق بالله ، لما قالوا الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، ولما قالوا أمروها بلا كيف ، فإن الاستواء حينئذٍ ، لا يكون معلوماً ، بل مجهولاً ، بمنزلة حروف المعجم ؛ وأيضاً : فإنه لا يحتاج إلى نفي الكيفية ، إذا لم يفهم من اللفظ معنى ،

وإنما يحتاج إلى نفي الكيفية ، إذا أثبتت الصفات ؛ وأيضاً : فإن من ينفي الصفات ، لا يحتاج أن يقول بلا كيف ، فلو كان مذهب السلف ، نفي الصفات في نفس الأمر ، لما قالوا بلا كيف ؛ فمن قال : إن الله ليس على العرش ، لا يحتاج أن يقول بلا كيف.

وأيضاً ، فقولهم : أمّروها كما جاءت ، يقتضي إبقاء دلالتها ، على ما هي عليه ، فإنها جاءت ألفاظاً ، دالة على معان ، فلو كانت دلالتها منفية ، لكان الواجب ، أن يقال : أمروا لفظها ، مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد ، أو يقال: أمروا لفظها ، مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة ، وحينئذ فلا تكون قد أمرت كما جاءت ، ولا يقال حينئذ ، بلا كيف ، إذ نفى الكيف عما ليس بثابت ، لغو من القول.

قال الذهبي ، بعد ما ذكر كلام مالك ، وربيعة الذي قدمناه : وهذا قول أهل السنة قاطبة ، أن كيفية الاستواء لا نعقلها ، بل نجهلها ، وأن استواءه معلوم ، كما أخبر به في كتابه ، وأنه كما يليق به ، ولا نتعمق ، ولا نتحذلق ، ولا نخوض في لوازم ذلك ، نفياً ، ولا إثباتاً ، بل نسكت ، ونقف ، كما قد وقف السلف ، ونعلم : أنه لو كان له تأويل ، لبادر إليه الصحابة ، والتابعون ، ولما وسعهم إقراره ، وإمراره ، والسكوت عنه ؛ ونعلم يقيناً مع ذلك أن الله جل جلاله ، لا مثل له في صفاته ، ولا في استوائه ، ولا في

نزوله ، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً ؛ وقد تقدم ما رواه الوليد بن مسلم ، عن مالك ، بما أغنى عن إعادته ، وقال أبو حاتم الرازي ، حدثني ميمون بن يحيى ، البكري ، قال ، قال مالك : من قال القرآن مخلوق ، يستتاب ، فإن تاب وإلا ضربت عنقه .

ذكر قول الإمام : محمد بن إدريس الشافعي ، رضي الله عنه .

روى شيخ الإسلام : أبو الحسن المكاري ، عن أبي شعيب ، وأبي ثور ، كلاهما عن محمد بن إدريس ، رحمه الله ، قال : القول في السنة ، التي أنا عليها ، ورأيت عليها الذين رأيتهم ، مثل سفيان ، ومالك ، وغيرهما ، الإقرار : بشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن الله على عرشه في سمائه ، يقرب من خلقه كيف شاء ؛ وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء ؛ وذكر سائر الإعتقاد .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال سمعت الشافعي ، يقول ، وقد سئل عن الصفات ، وما يؤمن به ، فقال : لله أسماء ، وصفات ، جاء بها كتابه ، وأخبر بها نبيه أمته ، لا يسع أحداً من خلق الله ، قامت عليه الحجة ردها ، لأن القرآن نزل بها ، وصح عن رسول الله ﷺ القول بها ، فيما روى عنه العدول ، فإن خالف أحد ذلك ، بعد ثبوت الحجة عليه ، فهو كافر ؛ وأما قبل ثبوت الحجة عليه ،

فمعذور بالجهل ؛ لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ، ولا بالرؤية والفكر ؛ ولا يكفر بالجهل بها أحد ، إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها .

ونثبت هذه الصفات ، وننفي عنها التشبيه ، كما نفى سبحانه التشبيه عن نفسه ، فقال : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) [الشورى : ١١] وصح عن الشافعي ، أنه قال : خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، حق قضاها الله في سمائه ، وجمع عليها قلوب عباده ؛ انتهى ؛ ومعلوم أن المقضي في الأرض ، والقضاء فعله سبحانه ، المتضمن لمشيئته وقدرته ؛ وقال في خطبة رسالته : الحمد لله الذي هو كما وصف به نفسه ، وفوق ما يصفه به خلقه .

ذكر قول الإمام : أحمد بن حنبل رضي الله عنه .

قال الخلال ، في كتاب السنة : حدثنا يوسف بن موسى ، قال أخبرنا عبد الله بن أحمد ، قلت لأبي : ربنا تبارك وتعالى ، فوق السماء السابعة ، على عرشه ، بائن من خلقه ، وقدرته ، وعلمه بكل مكان ، قال : نعم ، لا يخلو شيء من علمه ؛ قال الخلال ، وأخبرني الميموني ، قال سألت أبا عبد الله ، عمن قال : إن الله ليس على العرش ؛ فقال : كلامهم كله يدور على الكفر .

وقال حنبل ، قيل لأبي عبد الله ، ما معنى قوله : (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) [المجادلة : ٧]

وقـوله : (وهـو معكم) [الحديـد : ٤] قال : علمـه محيط بالكل ، وربنا على العرش بلا حد ، ولا صفة (وسع كرسيه السموات والأرض) [البقرة : ٢٥٥] وقال أبو طالب ، سألت أحمد عن رجل قال : إن الله معنا ، وتـلا : (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) قال يأخذون بآخر الآية ، ويدعون أولها ، هلا قرأت عليه (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات) بالعلم معهم ، وقال في سورة (قٓ) ، (ونعلم ما توسوس به نفسـه ونحن أقـرب إليـه من حبـل الـوريـد) [قٓ : ١٦] وقـال المروذي : قلت لأبي عبد الله ، إن رجلاً يقول : أقول كما قال الله : (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) أقول هذا ، ولا أجاوزه إلى غيره ؛ فقال أبو عبد الله : هذا كلام الجهمية ، قلت فكيف تقول : (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم) ؟ قال علمه في كل مكان ، وعلمه معهم ، وقال أول الآية ، يدل على أنه علمه ؛ وقال في موضع آخر ، وأن الله عز وجل على عرشه ، فوق السماء السابعـة ، يعلم مـا تحت الأرض السفلى ، وأنه غيـر مختلط بشيء من خلقه ، هو تبارك وتعالى ، بائن من خلقه ، وخلقه بائنون منه.

وقال في كتاب الرد على الجهمية ، الذي رواه الخلال ، وقال : كتب هذا الكتاب ، من خط عبد الله بن الإمام أحمد ، وكتبه عبد الله من خط أبيه ، قال فيه : باب بيان ما أنكـرت الجهمية ، أن يكون الله على العرش ؛ وقد قال : (الرحمن على العرش استوى) قلنا لهم : ما أنكرتم أن يكون الله على

العرش ؟ فقالوا : هو تحت الأرض السابعة ، كما هو تحت العرش ، وفي السماوات ، وفي الأرض ؛ قال أحمد ، فقلنا قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ، ليس فيها من عظمة الرب شيء ، أجسامكم ، وأجوافكم ، والحشوش ، والأماكن القذرة ، ليس فيها شيء من عظمته ؛ وقد أخبرنا الله عز وجل ، أنه في السماء ، فقال : (ءَأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض) الآيتين [الملك : ١٦ ، ١٧] وقال : (إليه يصعد الكلم الطيب) [فاطر : ١٠] (إني متوفيك ورافعك إلي) [آل عمران : ٥٤] (بل رفعه الله إليه) [النساء : ١٥٨].

وقال أيضاً ، في الكتاب المذكور ، ومما أنكرت الجهمية الضلال : أن الله على العرش ، وقد قال تعالى :(الرحمن على العرش استوى) [طه : ٥] وقال : (ثم استوى على العرش) [الأعراف : ٥٤] ثم ساق أدلة القرآن ، ثم قال ، ومعنى قوله : (وهو الله في السموات وفي الأرض) [الأنعام : ٣] يقول : هو إلّه من في السماوات ، وإلّه من في الأرض ، وهو على العرش ، وقد أحاط علمه بما دون العرش ، لا يخلو من علمه مكان ، ولا يكون علم الله في مكان دون مكان ، وذلك لقوله تعالى : (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما) [الطلاق : ١٢].

قال الإمام أحمد : ومن الاعتبار في ذلك ، لو أن رجلاً

كان في يده ، قدح من قوارير ، وفيه شيء ، كان ابن آدم ، قد أحاط بالقدح ، من غير أن يكـون ابن آدم في القدح، فـالله سبحانه ـ وله المثل الأعلى ـ قد أحاط بجميع ما خلق علما ، من غيـر أن يكون في شيء ممـا خلق ؛ قال : ممـا تـأولت الجهمية ، من قول الله تعالى : (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) فقالوا : إن الله معنا ، وفينا ؛ فقلنا لهم : قطعتم الخبر من أوله ، لأن الله افتتح الخبر بعلمه ، وختمه بعلمه .

قال أحمد : وإذا أردت أن تعلم ، أن الجهمي كـاذب على الله ، حين زعم أنه في كل مكان ، ولا يكون في مكان دون مكان ؛ فقل له : أليس شيئاً ؟ فيقول : نعم ؛ فقل له : فحين خلق الشيء ، خلقه في نفسه ، أو خارجاً عن نفسه ؟ فإنه يصير إلى أحد ثلاثة أقاويل : إن زعم أن الله خلق الخلق في نفســه كفر ، حين زعم أن الجن والإنس ، والشيـاطين ، وإبليس في نفسه ؛ وإن قال : خلقهم خارجاً عن نفسه ، ثم دخل فيهم ، كفر أيضاً ، حين زعم أنه دخل في كل مكان ، وحش ، وقذر ؛ وإن قال : خلقهم خارجاً عن نفسه ، ثم لم يدخل فيهم ، رجع عن قوله أجمع ، وهو قول أهل السنة.

قال أحمد : وقلنا للجهمية ، حين زعمتم أن الله في كل مكـان ، أخبرونـا عن قول الله عـز وجل : (فلمـا تجلى ربه للجبـل جعله دكـاً) [الأعـراف : ١٤٣] أكـان في الجبـل بزعمكم ؟ فلو كان فيه كما تزعمون ، لم يكن تجلى له ؛ بل كان سبحـانه على العـرش ، فتجلى لشيء ، لم يكن فيه ، ورأى

الجبل شيئاً ما رآه قط قبل ذلك ، انتهى كلام الإمام أحمد ، الذي نقلناه من كتاب الرد على الجهمية.

وروى الخلال ، عن حنبل ، قال : قال أبـو عبد الله ــ يعني أحمد ــ نؤمن أن الله على العرش بلا كيف ، بلا حد ، ولا صفة يبلغها واصف ، أو يحـده حاد ؛ وصفـات الله له ، ومنه ، وهو كما وصف نفسه ، لا تدركه الأبصـار بحد ، ولا غاية.

وقال حنبل أيضاً ، سألت أبـا عبد الله ، عن الأحـاديث التي تروى : « إن الله سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا » « وإن الله يرى في الآخرة » ، « وإن الله يضع قدمـه » وأشباه هـذه الأحاديث ؛ فقال أبو عبد الله : نؤمن بها ، ونصدق ، ولا نرد منها شيئاً ، ونعلم : أنما جاء به الرسول حق ، ولا نرد على الله قوله ، ولا يوصف بأكثر مما وصف به نفسه ، بلا حد ولا غـاية (ليس كمثله شيء وهـو السميع البصيـر) [الشـورى : ١١].

وقال حنبل في موضع آخـر ، عن أحمد : ليس كمثله شيء في ذاتـه ، كما وصف نفسـه ؛ قـد أجمـل الله الصفـة لنفسه ، فحد لنفسـه صفة ، ليس يشبـه شيئاً ؛ وصفـاته غيـر محدودة ، ولا معلومة ، إلا بما وصف به نفسه ، قال : فهـو (سميع بصير) [الحج : ٦١ ، ٧٥] بلا حد ، ولا تقدير ، ولا يبلغ الـواصفون صفتـه ، ولا نتعدى القـرآن والحـديث ،

فنقول كما قال ، ونصفه بما وصف نفسه ، ولا نتعدى ذلك ، ونؤمن بالقرآن كله ، محكمه ومتشابهه ، ولا نزيل صفة من صفاته لشناعة شنعت ، وما وصف به نفسه ، من كلام ، ونزول ، وخلوة بعبده يوم القيامة ، ووضع كنفه عليه ، فهذا كله ، يدل على أن الله سبحانه يرى في الآخرة ، والتحديد في هذا كله بدعة ، والتسليم فيه بغير صفة ، ولا حد إلا بما وصف به نفسه ، سميع ، بصير ، لم يزل متكلماً ، عليم ، غفور(عالم الغيب والشهادة) [التغابن : ١٨] (علام الغيوب) [المائدة : ١٠٩].

فهذه صفات ، وصف بها نفسه ، لا تدفع ، ولا ترد ، وهو على العرش بلا حد ، كما قال تعالى : (ثم استوى على العرش) ، (ليس كمثله شيء) وهو (خالق كل شيء) [الأنعام : ١٠٢] وهو : سميع بصير ، بلا حد ، ولا تقدير ؛ ولا نتعدى القرآن ، والحديث ، تعالى الله عما تقول الجهمية ، والمشبهة ؛ قلت له : المشبهة ما تقول ؟ قال : من قال بصر ، كبصري ، ويد كيدي ، وقدم كقدمي ، فقد شبه الله بخلقه ، انتهى ؛ وكلام الإمام أحمد رحمه الله في هذا كثير ، فإنه امتحن بالجهمية ، رضي الله عنه ؛ وعن إخوانه من أئمة الدين.

فصل:

قد بينا فيما تقدم : عقيدة شيخ الإسلام ، محمد بن عبد الوهاب ، أسكنه الله الفردوس يوم المآب ، وبينا عقيدته هو ، وأتباعه ، عقيدة السلف الماضين ، من الصحابة والتابعين ، وسائر أئمة الدين ، الذين رفع الله منارهم في العالمين ، وجعل لهم لسان صدق في الآخرين.

فشيخنا رحمه الله ، وأتباعه : يصفون الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ﷺ ، ولا يتجاوزون القرآن ، والحديث ، لأنهم متبعون ، لا مبتدعون ، ولا يكيفون ، ولا يشبهون ، ولا يعطلون ، بل يثبتون جميع ما نطق به الكتاب ، من الصفات ، وما وردت به السنة) مما رواه الثقات ، يعتقدون أنها صفات حقيقة ، منزهة عن التشبيه ، والتعطيل ، كما أنه سبحانه له ذات حقيقة ، منزهة عن التشبيه ، والتعطيل ، فالقول عندهم في الصفات ، كالقول في الذات ؛ فكما أن ذاته : ذات حقيقة ، لا تشبه الذوات ، فصفاته : صفات حقيقة ، لا تشبه الصفات ؛ وهذا هو اعتقاد سلف الأمة ، وأئمة الدين ؛ وهو مخالف لاعتقاد المشبهين ، واعتقاد المعطلين ، فهو كالخارج : (من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين) [النحل : ٦٦] فهو وسط بين طرفين ، وهدى بين ضلالتين ، وحق بين باطلين.

فلما قررنا عقيدتنا ، في أول الجواب ، وأوردنا على ذلك الأدلة ، من الكتاب ، والسنة ، أتبعنا ذلك ، بفصل ذكرنا فيه بعض ما ورد ، عن الصحابة ، والتابعين ، وتابعيهم ، يؤيد ما ذكرناه ، ويحقق ما قلناه ، لأنهم مصابيح الدين ، وقدوة العالمين ؛ وهم أهل اللغة الفصحاء ، واللسان العربي ؛ فإن الصحابة رضي الله عنهم ، قد شاهدوا نزول القرآن ، ونقلوه إلينا ، وفسروه ؛ فهم قد تلقوا ذلك عن نبيهم ﷺ ، وتلقاه عنهم التابعون ؛ فتعلموا من الصحابة ألفاظ القرآن ، ومعانيه ؛ فنقلوا عنهم تأويله ، كما نقلوا تنزيله ؛ ونقلوا الأحاديث الواردة في الصفات ، ولم يتأولوها كما تأولها النفاة ، بل أثبتوها صفات حقيقة لرب العالمين ، منزهة عن تعطيل المعطلين ، وتشبيه المشبهين ؛ فإن الصحابة رضي الله عنهم : أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ؛ وهم : سادات الأمة ، وكاشفوا الغمة ؛ فالمسلمون بهديهم يهتدون ، وعلى منهاجهم يسلكون.

ثم إنا لما نقلنا كلام الصحابة ، والتابعين ، وتابعيهم ، أتبعناه بفصل ، ذكرنا فيه كلام الأئمة الأربعة ، أئمة المذاهب المتبعة ، ليتبين صحة ما قلناه ، وما إليهم نسبناه ، ويعلم من كان قصده الحق : أن الأئمة على عقيدة واحدة مجمعون ، وللسلف الصالح متبعون.

فلما تبين ما قلناه ، واتضح ماقررناه : أحببت أن أختم هذا الجواب ، بفصل أذكر فيه بعض ما قاله العلماء بعدهم ، ليعلم الواقف على هذا الجواب ، أن هذا الاعتقاد ، الذي ذكرناه ، هو اعتقاد أهل السنة والجماعة قاطبة ، متقدميهم ، ومتأخريهم ؛ لأن : إجماعهم حجة قاطعة ، لا تجوز مخالفته ، فكيف وقد شهدت له النصوص القرآنية ، والسنة النبوية ؛ وقد قال تعالى : (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى ونصله جهنم وساءت مصيرا) [النساء : ١١٥].

فصل:

قال : الإمام ، حافظ الشرق ، وشيخ الإسلام : عثمان بن سعيد الدارمي ، في كتاب النقض على بشر المريسي ، قال الذهبي ، وهو مجلد سمعناه من أبي حفص القواس ، قال فيه : وقد اتفقت الكلمة من المسلمين ، على أن الله فوق عرشه ، فوق سماواته ، لا ينزل قبل يوم القيامة إلى الأرض ، ولم يشكّوا أنه ينزل يوم القيامة ، ليفصل بين عباده ، ويحاسبهم ، وتشقق السماوات لنزوله ، فلما لم يشك المسلمون أن الله لا ينزل إلى الأرض ، قبل يوم القيامة ، لشيء من أمور الدنيا ، علموا يقنياً أنما يأت الناس من العقوبات ، إنما هو أمره وعذابه ، كقوله : (فأتى الله بنيانهم من القواعد) [النحل : ٢٦] وإنما هو : أمره ، وعذابه ، انتهى من هذا الكتاب.

قال وقد ذكر الحلول ، وحكى هذا المذهب : إنـزاه لله من السوء عن مذهب من يقول به ؛ هو بكماله، وجماله، وعظمته، وبهائه ، فوق عرشه ، فوق سماواته ، فوق جميع الخـلائق ، في أعلى مكـان ، وأظهر مكـان ؛ حيث لا خلق هناك ، ولا إنس ، ولا جـان ، أي الحزبين أعلم بـالله ؟ وأشد تعـظيمـاً وإجلالاً له ؟ وقال في هذاالكتاب : علمه بهم محيط ، وبصره فيهم نافذ ، وهو بكماله فوق عرشه ، ومع بعد المسافة بينـه وبين الأرض ، يعلم ما في الأرض.

وقال في موضع آخر : والقـرآن كلام الله ، وصفـة من صفاته ، خرج منه كما شاء أن يخرج ، والله بكلامه ، وعلمه ، وقدرته ، وسلطانه ، وجميع صفاته غير مخلوق ؛ وهو بكماله على عرشه ؛ وقال في موضع آخر : وقد ذكر حديث البراء بن عازب الطويل ، في شأن الروح ، وقبضها ، وفيه : « فتصعد روحه ، حتى تنتهي إلى السماء السابعة » وذكر الحديث ، ثم قال ، وفي قوله : (لا تفتح لهم أبواب السماء) [الأعراف : ٤٠] دلالة ظاهرة : أن الله فوق السماء ، لأنه لو لم يكن فوق السماء ، لما عـرج بالأرواح والأعمـال ، ولما أغلقت أبـواب السماء عن قوم ، وفتحت لآخرين ؛ وقال في موضع آخـر ، ولكنـا نقـول : رب عـظيم ، وملك كبيـر ، نـور السمـاوات والأرض ، وإلـه السمـاوات والأرض ، على عـرشٍ مخلوق عظيم ، فوق السماء السابعة ، دون ما سواها من الأماكن ؛ من لم يعرفه بذلك ، كان كافراً به ، وبعرشه.

قال: وقد اتفقت كلمة المسلمين، والكافرين ، على أن الله في السماء ، وعرفوه بذلك ، إلا المريسي وأصحابه ، حتى الصبيان ، الذين لم يبلغوا الحنث ؛ وساق حديث حصين « كم تعبد ؟ قال ستة في الأرض ، وواحداً في السماء » فقال النبي ﷺ : « من الذي تعده لرغبتك ورهبتك ؟ قال الذي في السماء » وقال أيضاً : في قول رسول الله ﷺ للجارية : « أين الله ؟ » فيه تكذيب لمن يقول هو في كل مكان ، وإن الله لا يوصف بـ « أين » بل يستحيل أن يقال : أين هو ؟ والله فوق سماواته ، بائن من خلقه ؛ فمن لم يعرفه بذلك ، لم يعرف إلٓهه الذي يعبده ؛ هذا كله ، كلام عثمان بن سعيد في كتابه المذكور ؛ وهو قال فيه ، أبو الفضل القراب : ما رأيت مثل عثمان بن سعيد ، ولا رأى عثمان مثل نفسه ؛ أخذ الأدب عن ابن الأعرابي ، والفقه عن البويطي ، والحديث عن يحيى بن معين ، وعلي بن المديني ، وأثنى عليه أهل العلم.

وقال الإمام الحافظ : أبو عيسى الترمذي ، في جامعه ، لما روى حديث أبي هريرة ، وهو حديث منكر ، قاله الذهبي « لو أدلى أحدكم بحبل ، لهبط على الله » قال معناه : لهبط على علم الله ، قال : وعلم الله ، وقدرته ، وسلطانه ، في كل مكان ، وهو على العرش ، كما وصف نفسه في كتابه ، وقال في حديث أبي هريرة ، إن الله يقبل الصدقة ، ويأخذها بيمينه ، قال غير واحد من أهل العلم ، في هذا الحديث ، وما

يشبهه من الصفات ، ونزول الرب تبارك وتعالى ، إلى سماء الدنيا ، قالوا : ثبتت الروايات في هذا ، ونؤمن به ، ولا نتوهم ، ولا نقول كيف ؛ هكذا روي عن مالك ، وابن عيينة ، وابن المبارك ؛ قالوا في هذه الأحاديث : أمروها بلا كيف ؛ وهكذا قول أهل العلم ، من أهل السنة والجماعة.

وأما الجهمية : فأنكرت هذه الروايات ؛ وقالوا : هذا تشبيه ، وفسروها على غير ما فسرها أهل العلم ؛ وقالوا : إن الله لم يخلق آدم بيده ، وإن معنى اليد ههنا النعمة ؛ وقال إسحاق ابن راهويه : إنما يكون التشبيه ، إذا قال : يد كيدي ، أو مثل يدي ، أو سمع كسمعي ، فهذا التشبيه ؛ وأما إذا قال ، كما قال الله ، يد ، وسمع ، وبصر ، ولا يقول : كيف ؛ ولا يقول : مثل سمع ، وكسمع ، فهذا لا يكون تشبيهاً ؛ قال الله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) [الشورى : ١١] هذا كله كلام الترمذي.

وقال الإمام أبو جعفر ، محمد بن جرير ، الطبري ، في كتاب صريح السنة ، وحسب امرىء أن يعلم : أن ربه هو الذي على العرش استوى ، فمن تجاوز إلى غير ذلك ، فقد خاب وخسر ؛ وقال في تفسيره الكبير ، في قوله تعالى : (ثم استوى على العرش) [الأعراف : ٥٤] قال : علا وارتفع ؛ وقال في قوله تعالى : (ثم استوى إلى السماء) [البقرة : ٢٩] عن الربيع بن أنس ، أنه يعني : ارتفع ؛ وقال في قوله

عز وجل : ﴿ وقال فرعون يا هامان ابن لي صـرحاً لعلي أبلغ الأسباب ، أسباب السمٰوات فأطلع إلى إلٰه موسى وإني لأظنه كاذباً ﴾ [غافر : ٣٦ ، ٣٧] يقول : وإني لأظن موسى كاذباً ، فيمـايقول ، ويـدعى أن لـه ربـاً في السمـاء ، أرسله إلينـا ؛ وتفسيره هذا مشحون بأقوال السلف ، على الإثبات.

وقال في كتاب التبصير ، في معالم الدين ، القول فيما أدرك علمه من الصفات خبراً ، وذلك نحو إخباره أنـه سميع بصيـر ، وأن لـه يـدين ، بقـولـه : ﴿ بـل يـداه مبسـوطتـان ﴾ [المائدة : ٦٤] وأن له وجهاً ، بقوله : ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكـرام ﴾ [الـرحمن : ٢٧] وأن لـه قـدمـاً بقـول النبي ﷺ « حتى يضع رب العزة فيها قدمه » وأنه يضحـك ، بقوله : « لقى الله وهـو يضحك إليـه » وأنه يهبط إلى سمـاء الدنيا ، بخبر النبي ﷺ بذلك ، وأن له اصبعاً ، بقوله ﷺ : « ما من قلب إلا وهو بين اصبعين من أصابع الرحمن » فإن هذه المعاني ، التي وصفت ، ونظائرها ، مما وصف الله به نفسه ، ورسوله ، مما لا يثبت حقيقة علمه بالفكر ، والرويَّة ، لا نكفر بالجهل بها أحداً ، إلا بعد انتهائها ؛ ذكر هذا الكلام عنه أبو يعلى ، في كتاب : إبطال التـأويل ؛ ومن أراد معـرفة أقـوال السلف ، التي حكاها عنهم في تفسيره ، فليطالع كلامه ، عند تفسير قولـه تعالى : ﴿ فلمـا تجلى ربه للجبـل ﴾ [الأعراف : ١٤٣] وقوله : ﴿ استوى على العرش ﴾ وقوله : ﴿ تكاد السموات يتفطرن من فوقهن ﴾ [الشورى : ٥].

وقال إمام الأئمة : أبو بكر ، محمد بن إسحاق بن خزيمة ، من لم يقر بأن الله على عرشه استوى ، فوق سبع سماوات ، بائن من خلقه ، فهو كافر ، يستتاب ، فإن تاب وإلا ضربت عنقه ، وألقي على مزبلة ، لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة ، وأهل الذمة.

ذكر قول إمام الشافعية في وقته : أبو العباس بن سريج ، رضي الله عنه ؛ ذكر أبو القاسم : سعد بن علي بن محمد ، الزنجاني ، في جوابات المسائل ، التي سئل عنها بمكة ، فقال : الحمد لله أولاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً ، وعلى كل حال ، وصلى الله على محمد المصطفى ، وعلى الأخيار الطيبين من الأصحاب والآل ، سألت ـ أيدك الله بتوفيقه ـ بيان ما صح لدي من مذهب السلف ، وصالحي الخلف ، في الصفات الواردة في الكتاب ، والسنة ؟ فاستخرت الله ، وأجبت عنه بجواب بعض الأئمة الفقهاء ، وهو : أبو العباس بن سريج ، رحمه الله ، وقد سئل مثل هذا السؤال.

فقال : أقول وبالله التوفيق : حرام على العقول أن تمثل الله ، وعلى الأوهام أن تحده ، وعلى الظنون أن تقع ، وعلى الضمائر أن تعمق ، وعلى النفوس أن تفكر ، وعلى الأفكار أن تحيط ، وعلى الألباب أن تصف ، إلا بما وصف به نفسه في كتابه ، أو على لسان رسوله ﷺ ؛ وقد صح ، وتقرر ، واتضح ، عند جميع أهل الديانة ، والسنة والجماعة ، من السلف الماضين ، والصحابة والتابعين ، من الأئمة المهديين ، الراشدين ، المشهورين ، إلى زماننا هذا ، أن جميع الآي

الواردة عن الله في ذاته ، وصفاته ، والأخبار الصادقة الصادرة عن رسول الله ﷺ في صفاته ، التي صححها أهل النقل : يجب على المرء المسلم ، الإيمان بكل واحد منه كما ورد ، وتسليم أمره إلى الله كما أمر ، وذلك مثل قوله سبحانه : (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) [البقرة : ٢١٠] وقوله : (وجاء ربك والملك صفاً صفا) [الفجر : ٢٢] وقوله : (الرحمن على العرش استوى) [طه : ٥] وقوله : (والأرض جميعا قبضته يوم القيٰمة والسمٰوات مطويات بيمينه) [الزمر : ٦٧].

ونظائرها مما نطق به القرآن ، كالفوقية ، والنفس ، واليدين ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، والعين ، والنظر ، والإرادة ، والرضا ، والغضب ، والمحبة ، والكراهة ، والعناية ، والقرب ، والبعد ، والسخط ، والإستحياء ، والدنو كقاب قوسين أو أدنى ، وصعود الكلام الطيب إليه ، وعروج الملائكة والروح إليه ، ونزول القرآن منه ، وندائه الأنبياء ، وقوله للملائكة ، وقبضه ، وبسطه ، وعلمه ، ووحدانيته ، وقدرته ، ومشيئته ، وصمدانيته ، وفردانيته ، وأوليته ، وآخريته ، وظاهريته ، وباطنيته ، وحياته ، وبقائه ، وأزليته ، ونوره ، وتجليه ، والوجه ، وخلق آدم بيده ، ونحو قوله : (ءَأمنتم من في السماء) [الملك : ١٦] وسماعه من غيره وسماع غيره منه ، وغير ذلك من صفاته المذكورة في كتابه المنزل.

وجميع ما لفظ به : المصطفى من صفاته ، كغرس جنة الفردوس بيده ، وشجرة طوبى بيده ، وخط التوراة بيده ، والضحك ، والتعجب ، ووضعه القدم ، وذكر الأصابع ، والنزول كل ليلة إلى سماء الدنيا ، وكغيرته ، وفرحه بتوبة العبد ، وأنه ليس بأعور ، وأنه يعرض عما يكره ، ولا ينظر إليه ، وأن كلتا يديه يمين ، وحديث القبضتين ، وله كل يوم كذا ؛ وكذا نظره في اللوح المحفوظ ، وأنه يوم القيامة يحثو ثلاث حثيات من حثياته ، فيدخلهم الجنة.

وحديث القبضة ، التي يخرج بها من النار قوماً ، لم يعملوا خيراً قط ، وحديث : « إن الله خلق آدم على صورته » وفي لفظ : « على صورة الرحمن » وإثبات الكلام بالحرف والصوت ، وكلامه للملائكة ، ولآدم ، ولموسى ، ومحمد ، وللشهداء ، وللمؤمنين عند الحساب ، وفي الجنة ، ونزول القرآن إلى سماء الدنيا ، وكون القرآن في المصاحف ، وما أذن الله لشيء إذنه لنبي يتغنى بالقرآن ، وصعود الأقوال ، والأعمال ، والأرواح إليه ، وحديث معراج الرسول ﷺ ببدنه ونفسه ، وغير هذا مما صح عنه ﷺ ، من الأخبار المتشابهة ، الواردة في صفات الله سبحانه ، ما بلغنا ، وما لم يبلغنا ، مما صح عنه ، اعتقادنا فيه ، وفي الآي المتشابه في القرآن : أن نقبلها ، ولا نردها ، ولا نتأولها بتأويل المخالفين ، ولا نحملها على تشبيه المشبهين ، ولا نزيد عليها ، ولا ننقص منها ، ولا نفسرها ، ولا نكيفها ، ولا نشير إليها بخواطر القلوب ، بل

نطلق ما أطلقه الله ، ونفسر ما فسره النبي ﷺ ، وأصحابه ، والتابعون ، والأئمة المرضيون ، من السلف ، المعروفين بالدين ، والأمانة.

ونجمع على ما أجمعوا عليه ، ونمسك عما أمسكوا عنه ، ونسلم الخبر لظاهره ، والآية لظاهرها ، لا نقول بتأويل المعتزلة ، والأشعرية ، والجهمية ، والملحدة ، والمجسمة ، والمشبهة ، والكرامية ، والمكيفة ؛ بل نقبلها بلا تأويل ، ونؤمن بها بلا تمثيل ، ونقول : الإيمان بها واجب ، والقول سنة ، وابتغاء تأويله بدعة ؛ هذا آخر كلام أبي العباس ، بن سريج ، الذي حكاه أبو القاسم ، الزنجاني ، في أجوبته.

ذكر قول الإمام الطحاوي، إمام الحنفية في وقته، في الحديث، والفقه، ومعرفة أقوال السلف.

قال في عقيدته المعروفة عند الحنفية: ذكر بيان اعتقاد أهل السنة، والجماعة، على مذهب فقهاء الملة: أبي حنيفة، وأبي يوسف، ومحمد، رضي الله عنهم.

نقول: في توحيد الله، معتقدين بتوفيق الله، أن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه، وأن القرآن كلام الله، منه بدا، بلا كيفية قولاً، وأنزله على نبيه وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة، ليس بمخلوق، فمن سمعه، وزعم أنه كلام البشر، فقد كفر؛ والرؤية لأهل الجنة حق، بغير إحاطة، ولا كيفية، وكل ما جاء في ذلك من الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا يثبت قدم الإسلام، إلا على ظهر التسليم والاستسلام، فمن رام ما حضر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه خالص التوحيد، وصحيح الإيمان؛ ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه ـ إلى أن قال: ـ والعرش، والكرسي، حق، كما بيّن في كتابه، وهو مستغن عن العرش، وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه، وذكر سائر الاعتقاد.

ذكر قول الإمام ، أبي محمد : عبـد الله بن سعيد ، بن كلاب ، إمام الطائفة الكلابية ، وكان من أعظم الناس إثباتـاً للصفـات ، والفوقيـة ، وعلو الله على عرشـه ، منكـراً لقـول الجهميـة ، وهـو أول من عـرف عنـه : إنكـار قيـام الأفعـال الإختيارية بذات الرب ، وأن القرآن معنى قائم بالذات ، وهو أربـع معان ؛ ونصـر طريقتـه : أبو العبـاس القلانسي ، وأبـو الحسن الأشعـري ، وخالفـه في بعض الأشياء ، ولكنـه على طريقه في إثبات الصفات ، والفوقية ، وعلو الله على عرشه ، كما سيأتي حكاية كلامه ، بألفاظه إن شاء الله تعالى.

حكى ابن فورك ، في كتابه المجرد ، فيمـا جمعه من كلام ابن كلاب ، أنه قال : وأخرج من النظر ، والخبر ، قول من قـال : لا هو في العـالم ، ولا خارجـاً منه ؛ فنفـاه نفيـاً مستوياً ، لأنه لو قيل له صفه بالعدم ، لما قدر أن يقول أكثر من هذا ؛ ورد أخبار الله أيضاً ، وقال في ذلك ما لا يجوز في نص ولا معقول ، ثم قال : ورسول الله ﷺ وهو صفوة الله من خلقه ، وخيرته من بريته ، أعلمهم بالـ « أين » واستصوب قول القـائل : إنـه في السماء ، وشهـد له بـالإيمان عنـد ذلـك ، وجهم بن صفوان وأصحابـه لا يجيزون : الـ « أين » ويحيلون القول به.

قال : ولو كان خطأ ، لكان رسول الله ﷺ أحق بالإنكار له ، وكان ينبغي أن يقول لها ، لا تقولي ذلك ، فتوهمي أنه محدود ، وأنه في مكان دون مكان ، ولكن قولي إنه في كل

مكان ، لأنه هو الصواب ، دون ما قلت ، كلّا ، فلقد أجازه رسول الله ﷺ مع علمه بما فيه ، وأنه من الإيمان ، بل الأمر الذي يجب به الإيمان لقائله ؛ ومن أجله شهد لها بالإيمان حين قالته ، وكيف يكون الحق في خلاف ذلك ؟! والكتاب ناطق بذلك ، وشاهد له.

وقد غرس في بنية الفطرة ، ومعارف الآدميين من ذلك ، ما لا شيء أبين منه ، ولا أوكد ، لأنك لا تسأل أحداً من الناس ، عربياً ولا عجمياً ، ولا مؤمناً ، ولا كافراً ، فتقول أين ربك ؟ إلا قال : في السماء ، أفصح ، أو أومى بيده ، أو أشار بطرفه ، إن كان لا يفصح ، ولا يشير إلى غير ذلك ؛ ولا رأينا أحداً إذا عَنَّ له الدعاء ، إلا رافعاً يده إلى السماء ، ولا وجدنا أحداً غير الجهمية ، يسأل عن ربه ، فيقول في كل مكان ، كما يقولون ، وهم يدعون أنهم أفضل الناس ، فتاهت العقول ، وسقطت الأخبار ، واهتدى جهم ، وخمسون رجلاً معه ، نعوذ بالله من مضلات الفتن ، انتهى كلامه.

ذكر قول الإمام : أبي الحسن الأشعري ، صاحب التصانيف ، إمام الطائفة الأشعرية ، قال في كتابه الذي سماه « اختلاف المصلين ، ومقالات الإسلاميين » فذكر فرق الخوارج ، والروافض ، والجهمية ، وغيرهم ـ إلى أن قال ـ ذكر مقالة أهل السنة ، وأصحاب الحديث ، جملة قولهم : الإقرار بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وبما جاء عن الله ،

وبما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ ، لا يردون من ذلك شيئاً ، وأن الله على عرشه كما قال : (الرحمن على العرش استوى) [طه : ٥] وأن له يدين بلا كيف كما قال : (لما خلقت بيدي) [ص : ٧٥] وكما قال : (بل يداه مبسوطتان) [المائدة : ٦٤] وأن أسماء الله لا يقال إنها غير الله ، كما قالت المعتزلة ، والخوارج .

وأقروا أن لله علما ، ولم ينفوا ذلك عن الله ، كما نفته المعتزلة ، ويقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق ، ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ : « أن الله ينزل إلى سماء الدنيا ، فيقول : هل من مستغفر » كما جاء الحديث ؛ ويقرون أن الله يجيء يوم القيامة ، كما قال : (وجاء ربك والملك صفاً صفا) [الفجر : ٢٢] وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء ــ إلى أن قال ــ فهذا جملة ما يأمرون به ، ويستعملونه ، ويروونه ، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول ، وإليه نذهب ، وما توفيقنا إلا بالله .

وذكر الاستواء في هذا الكتاب المذكور ، في باب : هل الباري تعالى ، في مكان دون مكان ؟ فقال : اختلفوا في ذلك على سبع عشرة مقالة ، منها : قال أهل السنة ، وأصحاب الحديث : إن الله ليس بجسم ، ولا يشبه الأشياء ؛ وأنه على العرش استوى ، كما قال : (الرحمن على العرش استوى) ولا نتقدم بين يدي الله بالقول ، بل نقول : استوى بلا كيف ، وإن له يدين ، كما قال : (لما خلقت بيدي) وإنه ينزل إلى سماء

الدنيا ، كما جاء في الحديث ، ثم قال : وقالت المعتزلة : استوى على عرشه ، بمعنى : استولى ، وتأولوا اليد ، بمعنى : النعمة ؛ وقوله : (تجري بأعيننا) [القمر : ١٤] أي : بعلمنا .

وقال أبو الحسن الأشعري ، في كتاب جمل المقالات : هذه حكاية جملة قول أصحاب الحديث ، وأهل السنة ؛ جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة : الإقرار بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وما جاء من الله ، وما تلقاه الثقات عن رسول الله ﷺ ، لا يردون شيئاً من ذلك ، وأن الله واحد أحد ، فرد صمد ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ؛ وأنه على عرشه ، كما قال : (الرحمن على العرش استوى) وأن له يدين بلا كيف ، كما قال : (لما خلقت بيدي) وكما قال : (بل يداه مبسوطتان) وأن له عينين ، بلا كيف ، كما قال : (تجري بأعيننا) وأن له وجهاً ، كما قال : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) [الرحمن : ٢٧] .

وأن القرآن : كلام الله غير مخلوق ، والكلام في الوقف ، واللفظ ، من قال بالوقف ، أو باللفظ ، فهو مبتدع عندهم ، لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ، ولا يقال غير مخلوق ، ويقولون : إن الله يرى بالأبصار يوم القيامة ، كما يرى القمر ليلة البدر ، يراه المؤمنون ، ولا يراه الكافرون ، لأنهم عن الله محجوبون ، ثم ساق بقية قولهم .

وقال في هذا الكتاب : وقالت المعتزلة : إن الله استوى

على عرشه ، بمعنى استولى ، هذا نص كلامه ؛ وقال في هذا الكتاب أيضاً : وقالت المعتزلة ، في قوله : (الرحمن على العرش استوى) يعني : استولى ، قال : وتأولت اليد ، بمعنى : النعمة ، وقوله : (تجري بأعيننا) أي : بعلمنا ؛ فالأشعري رحمه الله ، إنما حكى تأويل الإستواء بالإستيلاء ، عن المعتزلة ، والجهمية ، وصرح بخلافه ، وأنه خلاف قول أهل السنة.

وقال الأشعري أيضاً : في كتابه : « الإبانة في أصول الديانة » في باب الإستواء ، فإن قال قائل : ما تقولون في الإستواء ؟ قيل له : نقول : إن الله مستو على عرشه ، كما قال : (الرحمن على العرش استوى) وقال : (إليه يصعد الكلم الطيب) [فاطر : ١٠] وقال : (بل رفعه الله إليه) [النساء : ١٥٨] وقال حكاية عن فرعون : (يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات ، فأطلع إلى إلٓه موسى وإني لأنه كاذباً) [غافر : ٣٦ ، ٣٧] كذب موسى ، في قوله : إن الله فوق السماوات ، وقال عز وجل : (ءَأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور) [الملك : ١٦] فالسماوات فوقها العرش.

فلما كان العرش فوق السماوات قال: (ءَأمنتم من في السماء) لأنه مستوٍ على العرش الذي فوق السماوات ، وكل ما علا فهو سماء ،فالعرش ، أعلى السماوات ، وليس إذا قال : (ءَأمنتم من في السماء) يعني ، : جميع السماوات ؛

وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السماوات ؛ قال ورأينا المسلمين جميعاً ، يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء ، لأن الله مستو على العرش ، الذي هو فوق السماوات ، فلولا أن الله على العرش ، لم يرفعوا أيديهم نحو العرش ؛ وقد قال قائلون ـ من المعتزلة ، والجهمية ، والحرورية ـ إن معنى استوى : استولى ، وملك ، وقهر ، وأنه تعالى في كل مكان ، وجحدوا أن يكون على عرشه ، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة.

فلو كان كما قالوا ، كان لا فرق بين العرش ، وبين الأرض السابعة ، لأنه قادر على كل شيء ، وكذا لو كان مستوياً على العرش ، بمعنى : الإستيلاء ، لجاز أن يقال : هو مستو على الأشياء كلها ؛ ولم يجز عند أحد من المسلمين ، أن يقول : إن الله مستو على الأخلية ، والحشوش ؛ فبطل أن يكون الاستواء على العرش : الاستيلاء ، وذكر أدلة من الكتاب ، والسنة ، والعقل ، سوى ذلك ؛ وكتاب « الإبانة » من أشهر تصانيف أبي الحسن ، شهره الحافظ ابن عساكر ، واعتمد عليه ، ونسخه بخطه ، الإمام : محي الدين النواوي.

فانظر ـ رحمك الله ـ إلى هذا الإمام ، الذي ينتسب إليه الأشاعرة اليوم، لأنه إمام الطائفة المذكورة ، كيف صرح بأن عقيدته في آيات الصفات ، وأحاديثها ، اعتقاد أهل السنة ، والجماعة ، من الصحابة ، والتابعين ، وأئمة الدين ؛ ولم يحك تأويل الاستواء ، بالاستيلاء ، واليد ، بمعنى النعمة ،

والعين ، بمعنى العلم ، إلا عن المعتزلة ، والجهمية ؛ وصرح أنه خلاف قوله ، لأنه خلاف قول أهل السنة ، والجماعة.

ثم تجد المنتسبين إلى عقيدة الأشعري ، قد صرحوا في عقائدهم ، ومصنفاتهم ، من التفاسير ، وشروح الحديث ، بالتأويل الذي أنكره إمامهم ، وبين أنه قول المعتزلة ، والجهمية ، وينسبون هذا الإعتقاد ، إلى الأشعري ، وهو قد أنكره ، ورده ، وأخبر أنه على غير عقيدة السلف ، من الصحابة ، والتابعين ، والأئمة بعدهم ؛ وأنه على عقيدة الإمام أحمد ، كما سيأتي لفظه ، بحروفه ، إن شاء الله.

وأعجب من هذا : أنهم يذكرون في مصنفاتهم، أن عقيدة السلف أسلم ، وعقيدة الخلف ، أعلم ، وأحكم ! فسبحان مقلب القلوب كيف يشاء ، كيف يجتمع في قلب من له عقل ، ومعرفة ، أن الصحابة أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأنهم الذين شاهدوا التنزيل ، وعلموا التأويل ، وأنهم أهل اللغة الفصحاء ، واللسان العربي ، الذي نزل القرآن بلغتهم ، وأنهم الراسخون في العلم حقاً ، وأنهم متفقون على عقيدة واحدة ، لم يختلف في ذلك اثنان.

ثم التابعون بعدهم : سلكوا سبيلهم ، واتبعوا طريقهم ، ثم الأئمة الأربعة ، وغيرهم ، مثل الأوزاعي ، والسفيانين ، وابن المبارك ، وإسحاق ، وغيرهم من أئمة الدين ، الذين رفع الله قدرهم بين العالمين ، وجعل لهم لسان صدق في الآخرين ، كل هؤلاء على عقيدة واحدة مجمعون ، ولكتاب

ربهم ، وسنة نبيهم متبعون.

ثم بعد معرفته لهذا ، وإقراره ، يقوم في قلبه أن عقيدة الخلف أعلم ، وأحكم من طريقة السلف ؟! فسبحان من يحول بين المرء وقلبه ، فيهدي من يشاء بفضله ، ويضل من يشاء بعدله (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) [الأنبياء : ٢٣].

وكيف يكون الخالفون أعلم من السابقين ؟! بل من زعم هذا ، فهو لم يعرف قدر السلف ؛ بل ولا عرف الله ورسوله ، والمؤمنين ، حقيقة المعرفة المطلوبة ؛ فإن هؤلاء الذين يفضلون طريقة الخلف ، إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف ، هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن ، والحديث ، من غير فقه لذلك ، بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم : (لا يعلمون الكتاب إلا أماني) [البقرة : ٧٨] وأن طريقة الخلف ، هي استخراج معاني النصوص ، المصروفة عن حقائقها ، بأنواع الإحتمالات ، وغرائب اللغات ؛ فهذا الظن الفاسد ، أوجب تلك المقالة ، كما قدمناه ؛ وقد كذبوا على طريقة السلف ، وضلوا في تصويب طريقة الخلف ، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف ، وبين الجهل والضلال ، بتصويب طريقة الخلف.

وكيف يكون الخلف أعلم بالله وأسمائه وصفاته ، وأحكم في باب ذاته وآياته ، من السابقين الأولين ؟! من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، من أهل العلم والإيمان ، الذين هم أعلام الهدى ، ومصابيح الدجا ؟ فنسأل الله أن لا

يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، وأن يهب لنا ، ولإخواننا المسلمين من لدنه رحمة ، إنه هو الوهاب.

وإنما ذكرنا هذا ، في أثناء كلام أبي الحسن الأشعري ، لأن أهل التأويل اليوم ، الذين أخذوا بطريقة الخلف ، ينتسبون إلى عقيدة الأشاعرة ، فيظن من لا علم عنده ، أن هذا التأويل : طريقة أبي الحسن الأشعري ، وهو رضي الله عنه ، قد صرح بأنه على طريقة السلف ، وأنكر على من تأول النصوص ، كما هو مذهب الخلف ؛ وذكر أن التأويل : مذهب المعتزلة ، والجهمية.

قال الإمام الذهبي ، في كتاب العلو ، قال الأستاذ أبو القاسم القشيري ، سمعت أبا علي الدقاق ، يقول : سمعت زاهر بن أحمد الفقيه ، يقول : مات الأشعري رحمه الله ، ورأسه في حجري ، فكان يقول شيئاً في حال نزعه : لعن الله المعتزلة ، موّهوا ، ومخرقوا.

وقال الحافظ : أبو القاسم ابن عساكر ، في كتاب « تبيين كذب المفتري ، فيما نسب إلى الأشعري » فإذا كان أبو الحسن رحمه الله ، كما ذكر عنه ، من حسن الإعتقاد ، مستصوب المذهب ، عند أهل المعرفة والإنتقاد ، موافقه في أكثر ما يذهب إليه أكابر العباد ، ولا يقدح في مذهبه ، غير أهل الجهل والعناد ، فلا بد أن يحكى عنه معتقده ، على وجهه بالأمانة ، ليعلم حاله في صحة عقيدته في الديانة.

فاسمع ما ذكره في كتابه : الإبانة ، فإنه قال : الحمد لله

الواحد العزيز ، الماجد المتفرد بالتوحيد ، المتمجد بالتمجيد ، الذي لا تبلغه صفات العبيد ، وليس له مثل ولا نديد ، وساق خطبة رد فيها على المعتزلة ، والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة ، وبين فيها مخالفة المعتزلة ، لكتاب الله وسنة رسوله ، وإجماع الصحابة ـ إلى أن قال ـ فإن قال قائل : قد أنكرتم قول المعتزلة ، والقدرية ، والجهمية ، والحرورية ، والرافضة ، والمرجئة ، فعرفونا قولكم ، الذي به تقولون ، وديانتكم التي بها تدينون ؟

قيل له : قولنا الذي به نقول ، وديانتنا التي بها ندين : التمسك بكتاب الله ، وسنة نبيه ﷺ ، وما روي عن الصحابة ، والتابعين ، وأئمة الحديث ؛ ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان عليه : أحمد بن حنبل ، نضر الله وجهه ، قائلون ، ولمن خالف قوله ، مجانبون ، لأنه الإمام الفاضل ، والرئيس الكامل ، الذي أبان الله به الحق ، عند ظهور الضلال ، وأوضح به المنهاج ، وقمع به بدعَ المبتدعين ، وزيغ الزائغين ، وشك الشاكين ؛ فرحمة الله عليه من إمام مقدم ، وكبير مفهم ، وعلى جميع أئمة المسلمين.

وجملة قولنا : أنا نقر بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وما جاء من عند الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ ، لا نرد من ذلك شيئاً ، وأن الله إلّه واحد أحد ، فرد صمد ، لا إلّه غيره ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله ؛ وأن الجنة حق ، والنار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ،

وأن الله يبعث من في القبور ؛ وأن الله تعالى مستو على عرشه ، كما قال : (الرحمن على العرش استوى) وأن له وجهاً ، كما قال : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) [الرحمن : ٢٧] وأن له يدين ، كما قال :(بل يداه مبسوطتان) [المائدة : ٦٤] وأن له عينين بلا كيف ، كما قال : (تجري بأعيننا) [القمر : ١٤] وأن من زعم : أن اسم الله غيره ، كان ضالاً ، وأن لله علماً ، كما قال : (أنزله بعلمه) [النساء : ١٦٦].

ونثبت لله قدرة ، ونثبت له السمع ، والبصر ، ولا ننفي ذلك ، كما نفته المعتزلة ، والخوارج ، والجهمية ؛ ونقول : إن كلام الله عز وجل غير مخلوق ، وأنه لا يكون شيء في الأرض ، من خير ، أو شر ، إلا ما شاء الله ، وأن أعمال العباد مخلوقة لله ، مقدرة له ، كما قال : (والله خلقكم وما تعملون) [الصافات : ٩٦] وأن الخير ، والشر ، بقضاء الله وقدره ؛ ونقول : إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأن من قال بخلق القرآن ، كان كافراً ، وندين أن الله يرى بالأبصار يوم القيامة ، كما يرى القمر ليلة البدر ، يراه المؤمنون ، كما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ ؛ ونقول : إن الكافرين ـ إذا رآه المؤمنون ـ هم عنه محجوبون ، كما قال الله : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) [المطففين : ١٥].

ونقول : إن الإسلام أوسع من الإيمان ، وليس كل إسلام إيماناً ، وندين أن الله تعالى مقلب القلوب ، وأن القلوب

بين أصبعين من أصابعه ، وأنه يضع السماوات على أصبع ، والأرضين على أصبع ، كما جاءت الرواية عن رسول الله ﷺ ، وأن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ؛ ونصدق جميع الروايات ، التي رواها أهل النقل ، من النزول إلى سماء الدنيا ، وأن الرب يقول : « هل من سائل ؟ هل من مستغفر ؟ » وسائر ما نقلوه ، وأثبتوه ، خلافاً لما قاله أهل الزيغ والتضليل ؛ ولا نبتدع في دين الله بدعة لم يأذن الله بها ، ولا نقول على الله ما لا نعلم.

ونقول : إن الله يجيء يوم القيامة ، كما قال : (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) [الفجر : ٢٢] وأن الله يقرب من عباده كيف شاء ، كما قال : (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) [قٓ : ١٦] وكما قال : (ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى) [النجم : ٨ ، ٩] ـ إلى أن قال ـ ونرى مفارقة كل داعية إلى بدعة ، ومجانبة أهل الأهواء ، ونحتج لما ذكرناه من قولنا ، وما بقي منه ، باباً ، باباً ، وشيئاً ، شيئاً.

ثم قال ابن عساكر : فتأملوا رحمكم الله هذا الاعتقاد ، ما أوضحه وأبينه ، واعترفوا بفضل هذا الإمام ، الذي شرحه ، وبينه ، انتهى ؛ قال شمس الدين الذهبي رحمه الله : فلو انتهى أصحابنا المتكلمون ، إلى مقالة أبي الحسن ، ولزموها ، لأحسنوا ، ولكنهم خاضوا كخوض حكماء الأوائل في الأشياء ، ومشوا خلف المنطق ، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ذكر قول أبي الحسن : علي بن مهدي ، الطبراني ،

المتكلم ، تلميذ الأشعري ، قال في كتاب مشكل الآيات له ، في باب قوله : (الرحمن على العرش استوى).

اعلم أن الله فوق السماء ، فوق كل شيء ، مستو على عرشه بمعنى أنه عال عليه ، ومعنى الاستواء : الاعتلاء ، كما تقول العرب : استويت على ظهر الدابة ، واستويت على السطح ، بمعنى علوته ؛ واستوت الشمس على رأسي ، واستوى الطير على قمة رأسي ، بمعنى علا في الجو ، فوجد فوق رأسي ؛ فالقديم جل جلاله ، عال على عرشه ، يدلك على أنه في السماء ، عال على عرشه ، قوله : (ءَأَمنتم من في السماء) [الملك : ١٦] وقوله : (يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي) [آل عمران : ٥٥] وزعم البلخي : أن استواء الله على العرش ، هو الاستيلاء عليه ، مأخوذ من قول العرب : استوى بشر على العراق. . . . . أي استولى عليها.

قال : ويدل على أن الاستواء ـ هاهنا ـ ليس بالاستيلاء ، لأنه لو كان كذلك ، لم يكن ينبغي أن يخص العرش بالاستيلاء عليه ، دون سائر خلقه ، إذ هو مستول على العرش ، وعلى الخلق ، ليس للعرش مزية على ما وصفته ؛ فبان بذلك فساد قوله ؛ ثم يقال له أيضاً : إن الاستواء ، ليس هو الاستيلاء ، الذي هو من قول العرب : استوى فلان ، أي : استولى ، إذا تمكن بعد أن لم يكن متمكناً ، فلما كان الباري عز وجل لا يوصف بالتمكن ، بعد أن لم يكن متمكناً ؛ لم يصرف معنى الاستواء ، إلى الاستيلاء.

ثم قال ، فإن قيل : ما تقولون في قوله : (ءَأمنتم من في السماء) ؟ قيل له : معنى ذلك أنه فوق السماء على العرش ، كما قال : (فسيحوا في الأرض) [التوبة : ٢] بمعنى على الأرض ، وقال : (ولأصلبنكم في جذوع النخل) [طه : ٧١] فإن قيل : ما تقولون في قول الله تعالى : (وهو الله في السموات وفي الأرض) [الأنعام : ٣] قيل له : إن بعض القراء ، يجعل الوقف في (السماوات) ثم يبتدىء : (وفي الأرض يعلم سركم) وكيفما كان ، فلو أن قائلاً قال : فلان بالشام والعراق ، ملك ، لدل على أن ملكه بالشام والعراق ، لا أن ذاته فيهما.

ذكر قول الإمام الزاهد : أبي عبد الله ، ابن بطة ، قال في كتاب : الإبانة ــ وهو ثلاثة مجلدات ــ باب الإيمان بأن الله على عرشه ، بائن من خلقه ، وعلمه محيط بخلقه.

أجمع المسلمون : من الصحابة ، والتابعين ، على أن الله على عرشه ، فوق سماواته ، بائن من خلقه ؛ فأما قوله : (وهو معكم) [الحديد : ٤] فهو كما قالت العلماء ، واحتج الجهمي ، بقوله : (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) [المجادلة : ٧] فقال : معنا ، وفينا ؛ وقد فسر العلماء أن ذلك علمه ؛ ثم قال تعالى في آخرها : (إن الله بكل شيء عليم).

ثم إن ابن بطة سرد بأسانيده ، أقوال من قال إنه علمه ،

فذكره عن الضحاك ، والثوري ، ونعيم بن حماد ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ؛ وكان ابن بطة ، من كبار الأئمة رضي الله عنه ؛ سمع من البغوي وطبقته ، وتوفي سنة سبع وثمانين وثلاثمائة.

ذكر قول الإمام : أبي محمد بن أبي زيد القيرواني ، شيخ المالكية في وقته ، قال في أول رسالته المشهورة ، في مذهب الإمام مالك : وأنه تعالى فوق عرشه المجيد ، بذاته ، وأنه في كل مكان بعلمه ، قال الإمام أبو بكر : محمد بن وهب ، المالكي ، شارح رسالة ابن أبي زيد ، لما ذكر قوله ـ وأنه فوق عرشه المجيد ـ معنى ، فوق ، وعلى ، واحد عند جميع العرب ؛ ثم ساق الآيات ، والأحاديث ـ إلى أن قال ـ وقد تأتي لفظة « في » في لغة العرب ، بمعنى فوق ، كقوله : (فامشوا في مناكبها) [الملك : ١٥] (ءَأمنتم من في السماء) [الملك : ١٧] قال أهل التأويل ، يريد فوقها ؛ وهو قول مالك ، مما فهمه عن التابعين ، مما فهموه عن الصحابة ، مما فهموه عن النبي ﷺ : أن الله في السماء ، يعني فوقها ؛ فكذلك قال الشيخ أبو محمد ، إنه فوق عرشه ؛ ثم بين أن علوه فوق عرشه ، إنما هو بذاته ، بائن عن جميع خلقه ، بلا كيف ، وهو بكل مكان بعلمه ، لا بذاته ، فلا تحويه الأماكن ، لأنه أعظم منها ، انتهى كلام الشارح.

وذكر ابن أبي زيد في كتابه « المفرد في السنة » تقرير

العلو ، واستواء الرب على العرش بذاته ، وقرره أتم تقرير ؛ وقال في مختصر المدونة : وأنه تعالى فوق عرشه بذاته ، فوق سماواته دون أرضه.

قال الحافظ الذهبي ، لما ذكر قول ابن أبي زيد ، وأنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته : قد تقدم مثل هذه العبارة ، عن أبي جعفر بن أبي شيبة ، وعثمان بن سعيد الدارمي.

وكـذلك أطلقهـا يحيـى بن عمار ، واعظ سجستـان في رسالته ، والحافظ أبو نصر السجزي في كتاب الإبانة له ، فإنه قال : وأئمتنا ، كالثوري ، ومالك ، والحمادين ، وابن عيينة ، وابن المبارك ، والفضيل ، وأحمد ، وإسحاق ، متفقون على أن الله فوق العرش بذاته ، وأن علمه بكل مكـان ؛ وكذلـك أطلقها ابن عبد البر ، وكذا عبارة شيخ الإسلام : أبي إسماعيل الأنصـاري ، فإنـه قال في أخبـار شتى : إن الله في السمـاء السابعة ، على العرش بنفسه ، وكذا قال أبو الحسن الكرجي ، الشافعي ، تلك القصيدة:

عقـائـدهم : أن الإلّـه بـذاتـه على عرشه مع علمه بالغوائب

وعلى هذه القصيدة مكتوب بخط العلامة ، تقي الدين ابن الصلاح : هذه عقيدة أهل السنة ، وأصحاب الحديث ؛ وكذا أطلق هذه اللفظة : أحمد بن ثابت الطرقي الحافظ ، والشيخ عبد القادر الجيلي ، والفتى عبد العزيـز القحيطي ، وطـائفة ؛ والله تعالى خالق كل شيء ، ومدبر الخلائق بذاته ، لا معين

ولا موازر ؛ وإنما أراد ابن أبي زيد ، وغيره : التفرقة بين كونه معنا ، وبين كونه فوق العرش ، فهو معنا بالعلم ، وهو على العرش ، كما أعلمنا حيث يقول : (الرحمن على العرش استوى) وقد تلفظ بالكلمة المذكورة : جماعة من العلماء، كما قدمنا ، وبلا ريب أن فضول الكلام تركه من حسن الإسلام ؛ وكان ابن أبي زيد ، من العلماء العاملين بالمغرب ، وكان يلقب بمالك الصغير ، وكان غاية في معرفة الأصول ، وقد نقموا عليه في قوله بذاته ، فليته تركه ، انتهى كلام الذهبي .

ذكر قول القاضي : أبي بكر ابن الطيب ، الباقلاني ، الأشعري .

قال في كتابه : التمهيد في أصول الدين ــ وهو من أشهر كتبه ــ فإن قال قائل : فهل تقولون إن الله في كل مكان ؟ قلنا : معاذ الله ، بل هو مستو على عرشه ، كما أخبر في كتابه ، فقال : (الرحمن على العرش استوى) وقال : (ءَأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض) ولو كان في كل مكان ، لكان في جوف الإنسان ، وفي فمه ، وفي الحشوش ، والمواضع القذرة ، التي يرغب عن ذكرها ، تعالى الله عن ذلك .

ثم قال في قوله تعالى : (وهو الذي في السماء إلٓه وفي الأرض إلٓه) [الزخرف : ٨٤] المراد : أنه إلٓه عند أهل السماء ، وإلٓه عند أهل الأرض ، كما تقول العرب : فلان

نبيل ، مطاع في المصرين ؛ أي : عند أهلهما ، وليس يعنون أن ذات المذكور ، بالحجاز ، والعراق ، موجودة ؛ وقوله : (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) [النحل : ١٢٨] يعني : بالحفظ ، والنصر ، والتأييد ؛ ولم يرد أن ذاته معهم ، تعالى ؛ وقوله : (إنني معكما أسمع وأرى) [طه : ٤٦] محمول على هذا التأويل ؛ وقوله : (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) [المجادلة : ٧] يعني أنه عالم بهم، وبما خفي من سرهم ، ونجواهم .

وهذا إنما يستعمل كما ورد به القرآن ، فلذلك لا يجوز أن يقال ، قياساً على هذا : إن الله بالقيروان ، ومدينة السلام ، ودمشق ، وإنه مع الثور ، والحمار ، وإنه مع الفساق ، ومع المصعدين إلى حلوان ، قياساً على قوله : (إن الله مع الذين اتقوا) فوجب: التأويل على ما وصفنا أولاً، ولا يجوز أن يكون معنى استوائه على العرش ، هو استيلاؤه ، كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق ....

لأن الإستيلاء ، هو القدرة ، والقهر ؛ والله تعالى لم يزل قادراً، قاهراً ؛ وقوله: (ثم استوى) يقتضي : استفتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن ، فبطل ما قالوه.

ثم قال : **باب** ، فإن قال قائل : ففصِّلوا لنا صفات ذاته ، من صفات أفعاله ، لنعرف ذلك ؛ قيل له : صفات

ذاته ، هي التي لم يزل ، ولا يزال موصوفاً بها ، وهي : الحياة ، والقدرة ، والإرادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، والبقاء ، والوجه ، واليدان ، والعينان ، والغضب ، والرضاء ؛ وصفات فعله ، هي : الخلق ، والرزق ، والعدل ، والإحسان ، والتفضل ، والإنعام ، والثواب ، والعقاب ، والحشر ، والنشر ؛ وكل صفة كان موجوداً قبل فعله لها ؛ ثم ساق الكلام في الصفات.

وقال في كتاب الله : الذب عن أبي الحسن الأشعري ، كذلك في قولنا ، في جميع المروى عن رسول الله ﷺ ، في صفات الله ؛ إذ صح من إثبات اليدين ، والوجه ، والعينين ؛ ونقول : إن الله يأتي يوم القيامة في ظلل من الغمام ، وإنه ينزل إلى السماء الدنيا ، كما في الحديث ، وإنه مستو على عرشه ـ إلى أن قال ـ وقد بينا دين الأئمة ، وأهل السنة : أن هذه الصفات ، تمر كما جاءت ، بغير تكييف ، ولا تحديد ، ولا تجنيس ، ولا تصوير ، كما روي عن الزهري ، عن مالك ، في الاستواء ، فمن تجاوز هذا ، فقد تعدى ، وابتدع ، وضل ؛ انتهى.

قال الحافظ شمس الدين الذهبي ـ لما ذكر كلامه هذا ـ فهذا : نص هذا الإمام ، وأين مثله في تبحره ، وذكائه ، وتبصره بالملل ، والنحل ؟ فلقد امتلأ الوجود ، بقوم لا يدرون ما السلف ، ولا يعرفون إلا السلب ، ونفي الصفات ، وردها ،

صم ، بكم ، غتم ، عجم ، يدعون إلى العقل ، ولا يكونون على النقل ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ذكر قول الإمام أبي عمر : محمد بن عبد الله الأندلسي ، الطلمنكي ، المالكي.

قال في كتاب الأصول ـ وهو مجلدان ـ أجمع المسلمون من أهل السنة : أن الله استوى على عرشه بذاته ؛ وقال في هذا الكتاب أيضاً ، أجمع أهل السنة : أن الله على العرش على الحقيقة ، لا على المجاز ؛ ثم ساق بسنده عن مالك ، قوله : الله في السماء ، وعلمه في كل مكان ؛ ثم قال في هذا الكتاب : وأجمع المسلمون من أهل السنة ، على أن معنى قوله : ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾[الحديد : ٤] ونحو ذلك من القرآن ، أن ذلك علمه ؛ فإن الله فوق السماوات بذاته ، مستو على عرشه كيف شاء ، هذا لفظه في كتابه.

فانظر : إلى حكاية إجماع المسلمين ، من أهل السنة ، على أن الله استوى على عرشه بذاته ، وأطلق هذه اللفظة ، غير واحد من أئمة السنة ، وحكاها كثير من العلماء عن الأئمة الكبار ، كما تقدم عن الحافظ أبي نصر السجزي ، وغيره ؛ فكيف نقموها على ابن أبي زيد وحده ؟ لما ذكرها في رسالته ؟! كما ذكره الذهبي ؛ وكان الطلمنكي هذا من كبار الحفاظ ، وأئمة القراء بالأندلس ، عاش بضعا وثمانين سنة ، وتوفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة.

ذكر قول شيخ الإسلام، أبي عثمان: إسماعيل بن عبد الرحمن، النيسابوري، الصابوني، قال في رسالته في السنة:

ويعتقد أصحاب الحديث، ويشهدون: أن الله فوق سبع سماواته، على عرشه، كما نطق به كتابه، وعلماء الأمة، وأعيان الأئمة، من السلف، لم يختلفوا أن الله على عرشه، وعرشه فوق سماواته، وإمامنا الشافعي، احتج في المبسوط، في مسألة اعتاق الرقبة المؤمنة في الكفارة، بخبر معاوية بن الحكم، فسأل رسول الله ﷺ الأمة السوداء، ليعرف أمؤمنة أم لا، فقال لها: «أين ربك؟» فأشارت إلى السماء، إذ كانت أعجمية، فقال: «أعتقها فإنها مؤمنة» حكم بإيمانها، لما أقرت بأن ربها في السماء، وعرفت ربها بصفة العلو، والفوقية؛ كان الصابوني هذا: فقيهاً، محدثاً، وصوفياً، واعظاً، كان: شيخ نيسابور في زمانه، له تصانيف حسنة، سمع من أصحاب ابن خزيمة، والسراج، وتوفي سنة: تسع وأربعين، وأربعمائة.

ذكر قول الإمام، العالم العلامة، حافظ المغرب، إمام السنة في زمانه، أبي عمر: يوسف بن عبد الله، بن عبد البر، النمري، الأندلسي، صاحب، التمهيد، والاستذكار، والتصانيف النفيسة.

قال: في كتاب التمهيد، في شرح الحديث الثامن لابن

شهاب : حديث النـزول هذا ، صحيـح الإسناد ، لا يختلف أهل الحديث في صحته ؛ وفيه دليل على أن الله عز وجل في السماء على العرش ، من فـوق سبع سمـاوات ، كما قـالت الجمـاعـة ، وهـو حجتهم على المعتـزلـة ، والجهميـة ، في قولهم : إن الله في كل مكان ، وليس على العرش ؛ والدليل على صحة ما قاله أهل الحق في ذلك ، قوله تعالى : (الرحمن على العـرش استـوى) وقــولـه : (ءَأمنتم من في السمـــاء) ومعنى : (من في السمـاء) يعني على العرش ، وقـد تكون (في) بمعنى (على) ألا تـرى إلى قـولــه : (فسيحـوا في الأرض) أي : على الأرض ، وكذلك قوله : (ولأصلبنكم في جـذوع النخل) [طـه : ٧١] وهذا يعضـده قولـه : (تعـرج المـلائكة والـروح إليه) [المعـارج : ٤] وما كـان مثله في الآيـات ، وهـذه الآيـات كلهـا واضحـات ، في إبـطال قـول المعتزلة .

وأما دعواهم المجاز في الاستواء ، وقـولهم في تأويـل استوى : استولى ، فلا معنى له ، لأنه غير ظاهر في اللغة ، ومعنى الاستيلاء ، في اللغة : المغالبة ، والله لا يغلبه أحد ، ومن حق الكلام أن يحمل على الحقيقة ، حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز ، إذ لاسبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا ، إلا على ذلك ، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مـدع ، ما ثبت شيء من العبادات ، وجل الله أن يخاطب الأمة إلا بما تفهمه العـرب ، من معهـود مخـاطبـاتهـا ، ممـا يصـح معنـاه عنـد

السامعين.

والإستـــواء معلوم في اللغـة مفهـــوم ، وهـــو : العلو ، والإرتفاع على الشيء ، والاستقرار ، والتمكن فيه ، قال أبـو عبيدة في قوله : (الرحمن على العرش استوى) قال : علا ، وتقول العرب : استويت فوق الدابة ، واستويت فوق البيت ، وقال غيره : استوى ، أي : استقر ، واحتج بقوله : (ولما بلغ أشـــده واستـوى) [القصص : ١٤] أي : انتهى شبـــابـــه ، واستقـر ، فلم يكن في شبابـه مزيـد ؛ قـال ابن عبـد البـر : والاستواء الاستقـرار في العلو ، وبهذا خاطبنا الله عز وجل ، فقال : (لتستووا على ظهوره) الآية [الزخرف : ١٣] وقال : (فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك) [المؤمنون : ٢٨] وقال : (واستوت على الجودى) [هود : ٤٤].

وأمـا من نزع منهم ، بحـديث يرويـه عبـد الله بن داود الـواسطي ، عن إبـراهيم بن عبـد الصمـد ، عن عبـد الله بـن مجاهد عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله : (الرحمن على العـرش استوى) استـولى على جميع بـريته ، فـلا يخلو منه مكان.

فالجواب : أن هذا حديث منكـر ، ونقلته مجهـولون ، ضعفـاء ؛ فأمـا عبد الله بن داود الـواسطي ، وابن مجـاهـد ، فضعيفان ، وإبراهيم بن عبد الصمد مجهول لا يعرف ؛ وهم لا يقبلون أخبار الآحاد العدول ، فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل

هذا الحديث لو عقلوا ؟! أما سمعوا قول الله تعالى : (وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب، أسباب السموات فأطلع إلى إلّه موسى وإني لأظنه كاذباً) [غافر : ٣٦ ، ٣٧] فدل على أن موسى عليه السلام ، كان يقول : إلّهي في السماء ، وفرعون يظنه كاذباً.

فإن احتج بقوله : (وهو الذي في السماء إلّه وفي الأرض إلّه) [الزخرف : ٨٤] وبقوله : (وهو الله في السموات وفي الأرض) [الأنعام : ٣] وبقوله : (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) [المجادلة : ٧] زعموا أن الله في كل مكان بنفسه ، وبذاته ، تبارك اسمه وتعالى جده.

قيل لهم : لا خلاف بيننا وبينكم ، وبين سائر الأمة : أنه ليس في الأرض دون السماء بذاته ، فوجب حمل هذه الآيات ، على المعنى الصحيح المجمع عليه ، وذلك : أنه في السماء إلّه معبود أهل السماء ، وفي الأرض إلّه معبود أهل الأرض ، وكذا قال أهل العلم بالتفسير ، وظاهر التنزيل ، يشهد أنه على العرش ؛ فالاختلاف في ذلك ساقط ، وأسعد الناس به من ساعده الظاهر ؛ وأما قوله في الآية الأخرى : (وفي الأرض إلّه) فالإجماع والإتفاق ، قد بين أن المراد بأنه معبود أهل الأرض ، فتدبر هذا فإنه قاطع.

ومن الحجة أيضاً : في أنه عز وجل على العرش ، فوق السماوات السبع ، أن الموحدين أجمعين ، من العرب

والعجم ، إذا كربهم أمر ، ونزلت بهم شدة ، رفعوا وجوههم إلى السماء ، ونصبوا أيديهم رافعين لها ، مشيرين بها إلى السماء ، يستغيثون الله ربهم تبارك وتعالى ؛ هذا أشهر وأعرف ، عند الخاصة والعامة ، من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته ؛ وقد قال ﷺ للأمة السوداء : « أين الله ؟ » فأشارت إلى السماء ، ثم قال لها : « من أنا ؟ » قالت رسول الله ، قال : « فأعتقها ، فإنها مؤمنة » فاكتفى رسول الله ﷺ منها برفعها رأسها إلى السماء.

قال : وأما احتجاجهم ، بقوله : (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) فلا حجة لهم في ظاهر هذه الآية ، قال : هو على العرش ، وعلمه في كل مكان ، وذكر سنيد عن الضحاك في هذه الآية ، قال : هو على العرش ، وعلمه معهم أينما كانوا ؛ قال : وبلغني عن سفيان الثوري مثله ؛ وقال عبد الله بن مسعود : ما بين السماء والأرض ، مسيرة خمسمائة عام ، وما بين كل سماء إلى أخرى ، مسيرة خمسمائة عام ، وما بين السماء السابعة إلى الكرسي ، مسيرة خمسمائة عام ، وما بين الكرسي إلى الماء ، مسيرة خمسمائة عام ، والعرش فوق الماء ، والله تبارك وتعالى على العرش ، يعلم أعمالكم ؛ وقد ذكر هذا الكلام ، أو قريباً منه ، في كتاب الإستذكار.

وقال أبو عمر أيضاً : أجمع علماء الصحابة والتابعين ، الذين حمل عنهم التأويل ، قالوا في تأويل قوله تعالى : (ما

يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) هو على العرش ، وعلمه في كل مكان ؛ وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله ، وقال أيضاً : أهل السنة مجمعون ، على الإقرار بالصفات ، الواردة في الكتاب ، والسنة ، وحملها على الحقيقة ، لا على المجاز ، إلا أنهم لم يكيفوا شيئاً من ذلك.

وأما الجهمية ، والمعتزلة ، والخوارج ، فكلهم ينكرها ، ولا يحمل منها شيئاً على الحقيقة ؛ ويزعمون : أن من أقر بها مشبه ؛ وهم عند من أقر بها نافون للمعبود ؛ قال الحافظ الذهبي : صدق والله ، فإن من تأول سائر الصفات ، وحمل ما ورد منها على مجاز الكلام ، أداه ذلك السلب إلى تعطيل الرب ، وأن يشابه المعدوم ، ولقد كان أبو عمر بن عبد البر ، من بحور العلم ، ومن أئمة الأثر ، قلَّ أن ترى العيونُ مثله ؛ واشتهر فضله في الأقطار ، مات سنة ثلاث وستين وأربعمائة ، عن ست وسبعين سنة.

ذكر قول الإمام ، أبي القاسم : عبد الله بن خلف ، المقري ، الأندلسي :

قال في شرح الملخص ـ لما ذكر حديث النزول ـ وفي هذا الحديث : دليل على أنه تعالى في السماء على العرش ، فوق سبع سماوات ، من غير مماسة[1] ولا تكييف ، كما قال أهل العلم ، ودليل قولهم ، قوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) [طه : ٥] وقوله : (ثم استوى على العرش)

---

(١) لفظ المماسة مبتدع، لم يرد بنفيه ولا إثباته كتاب ولا سنة.

[الأعـراف : ٥٤] وقـولـه : (ليس لـه دافـع ، من الله ذي المعارج) [المعارج : ٢ ، ٣] والعـروج هو الصعـود ؛ قال مـالك بن أنس : الله عـز وجل في السمـاء ، وعلمه في كـل مكان ، لا يخلو من علمه مكان ؛ يريد بقوله : في السماء ، أي : على السمـاء ــ إلى أن قال ــ وكـل ما قـدمت : دليل واضح ، في إبطال قول من قال بالمجاز ، في الإستواء ؛ وأن الإستـواء ، بمعنى الإستيلاء ؛ لأن الإستيـلاء في اللغـة بعـد المغالبة ، والله لا يغالبه أحد ؛ ومن حق الكلام : أن يحمل على حقيقته ، حتى تتفق الأمة على أنه أريد به المجاز ، إذ لاسبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك ؛ وإنما يوجه كلام الله إلى الأشهر ، والأظهـر ، من وجوهـه ، ما لم يمنع ادعاء ذلك ، ما يجب التسليم له ؛ ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ، ما ثبت شيء من العبادات ، وجلَّ الله أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها ، مما يصـح معناه عنـد السـامعين ؛ والإستـواء معلوم في اللغـة ، وهـو العلو والإرتفاع ، والتمكن في الشيء.

فإن احتج أحد عليه ، وقال : لو كـان كذلـك ، لأشبه المخلوقـات ، لأن مـا أحـاطت بـه الأمكنـة ، واحتـوت فهـو مخلوق ؛ قيـل : لا يلزم ذلك ، لأنـه تعـالى : (ليس كمثله شيء) ولأنه لا يقاس بخلقه ، كان قبل الأمكنة ؛ وقد صح في العقول ، وثبت بالدلائل : أنه كان في الأزل ، لا في مكان ، وليس بمعدوم ، فكيف يقاس على شيء من خلقه ؟! أو يجري

بينه وبينهم تمثيل ، أو تشبيه ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

فإن قال قائل : وصفنا ربنا ، بأنه كان في الأزل لا في مكان ، ثم خلق الله الأماكن ، فصار في مكان ؛ وفي ذلك إقرار منا ، بالتغيير ، والانتقال ، إذا زال عن صفته في الأزل ، صار في مكان دون مكان ، قيل له : وكذلك زعمت أنت ، أنه كان لا في مكان ، ثم صار في كل مكان ، فقد تغير عندك معبودك ، وانتقل من لا مكان ، إلى كل مكان ؛ فإن قال : إنه في الأزل في كل مكان ، كما هو الآن ؛ فقد أوجد الأشياء والأماكن معه في أزليته ، وهذا فاسد.

فإن قال : فهل يجوز عندك ، أن ينتقل من لا مكان في الأزل إلى مكان ؟! قيل له : أما الإنتقال ، وتغير الحال ، فلا سبيلٍ إلى إطلاق ذلك عليه ، لأن كونه في الأزل ، لا يوجب مكاناً ، وكذلك نقلته لا توجب مكاناً ، وليس هو في ذلك كالخلق ، ولكنا نقول : استوى من لا مكان ، ولا نقول انتقل ، وإن كان المعنى في ذلك واحد ؛ كما نقول : له عرش ، ولا نقول له سرير ؛ ونقول : هو الحليم ، ولا نقول هو العاقل ؛ ونقول : خليل إبراهيم ، ولا نقول صديق إبراهيم ؛ لأنا لا نسميه ، ولا نصفه ، ولا نطلق عليه ، إلا ما سمى به نفسه ، ولا ندفع ما وصف به نفسه ، لأنه دفع للقرآن.

ذكر قول الحافظ : أبي بكر الخطيب ، رحمه الله تعالى .

قال : أما الكلام في الصفات ، فمذهب السلف : إثباتها وإجراؤها على ظواهرها ، ونفي الكيفية والتشبيه عنها ، والكلام في الصفات ، فرع على الكلام في الذات ، ويحتذى في ذلك حذوه ومثاله ؛ فإذا كان إثبات رب العالمين معلوماً ، فإنما هو إثبات وجود ، لا إثبات تحديد وتكييف ، فكذلك إثبات صفاته ، إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد ، وتكييف ؛ فإذا قلنا : يد ، وسمع ، وبصر ، فإنما هو إثبات صفات أثبتها الله لنفسه ، ولا نقول إن معنى اليد : القدرة ، ولا أن معنى ، السمع ، والبصر : العلم ؛ ولا نقول : إنها جوارح وأدوات للفعل ، ولا تشبه بالأيدي ، والأسماع ، والأبصار ، التي هي جوارح ، ونقول : إنما وجب إثباتها ، لأن التوقيف ورد بها ؛ ووجب نفي التشبيه عنها ، لقوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ [الشورى : ١١] وقوله : ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ [الإخلاص : ٤] انتهى .

قال الحافظ الذهبي : المراد بظاهرها ، أي : لا باطن لألفاظ الكتاب ، والسنة ، غير ما وضعت له ؛ كما قال مالك وغيره : الاستواء معلوم ؛ وكذلك القول ، في السمع ، والبصر ، والكلام ، والإرادة ، والوجه ، ونحو ذلك ، هذه الأشياء معلومة ، فلا تحتاج إلى بيان وتفسير ، لكن الكيف في

جميعها ، مجهول عندنا ؛ قال : والمتأخرون من أهل النظر ، قالوا مقالة مولدة ، ما علمت أحداً سبقهم إليها ؛ قالوا : هذه الصفات ، تمر كما جاءت ولا تؤول ، مع اعتقاد : أن ظاهرها غير مراد.

فتفرع من هذا : أن الظاهر يعنى به أمران ؛ أحدهما : أنه لا تأويل غير دلالة الخطاب ، كما قال السلف : الاستواء معلوم ؛ وكما قال سفيان ، وغيره : قراءتها تفسيرها ، يعني أنها بينة معروفة ، واضحة في اللغة ، لا يبتغى بها مضائق التأويل ، والتحريف ؛ وهذا مذهب السلف ، مع اتفاقهم أنها لا تشبه صفات البشر بوجه ، إذ الباري لا مثل له في ذاته ، ولا في صفاته ؛ الثاني : أن ظاهرها ، هو الذي يتشكل في الخيال من الصفة ، كما يتشكل في الذهن من وصف البشر ، فهذا غير مراد ؛ فإن الله فرد صمد ليس له نظير ، وإن تعددت صفاته فإنها حق ، ولكنها ما لها مثل ولا نظير ، فمن الذي عاينه ونعته لنا ؟

والله إنا لعاجزون ، كالّون ، حائرون ، باهتون ، في حد الروح التي فينا ، وكيف تعرج كل ليلة ، إذا توفاها باريها ، وكيف يرسلها ، وكيف تنتقل بعد الموت ؟ وكيف حياة الشهيد المرزوق عند ربه بعد قتله ؟ وكيف حياة النبيين الآن ؟ وكيف شاهد النبي ﷺ أخاه موسى يصلي في قبره ؟ ثم رآه في السماء السادسة ، وحاوره ، وأشار إليه بمراجعة رب العالمين ، وطلب التخفيف منه ؟ وكيف ناظر موسى أباه آدم ؟ وحجه آدم بالقدر

السابق ؟ وبأن اللوم بعد التوبة وقبولها لا فائدة فيه ؟

وكـذلك نعجـز عن وصف هيئاتنـا في الجنـة، ووصف الحـور العين، فكيف بنا إذا انتقلنـا إلى الملائكـة وذواتهم، وكيفيتها، وأن بعضهم يمكنه أن يلتقم الدنيا في لقمـة ، مع رونقهم ، وحسنهم ، وصفاء جوهـرهم النوراني ؟ فـالله أعلى وأعظم ؛ وله المثل الأعلى ، والكمال المطلق ، ولا مثل له ، وأصلاً : (آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون) [آل عمران : ٥٢] انتهى كـلام الـذهبي ؛ تـوفي الخـطيب سنـة ثـلاث وستين وأربعمائة ، ولم يكن ببغداد مثله في معرفة هذا الشأن.

ذكـر قـول الإمـام ، عـالم المشـرق ، أبي المعـالي : عبد الملك بن عبد الله ، الجويني ، الشافعي.

قال في كتاب « الرسالة النظامية » اختلف مسالك العلماء في هذه الظواهر ، فرأى بعضهم : تأويلها ، والتزام ذلك في آي الكتاب ، وما يصح من السنن ؛ وذهب أئمة السلف إلى الإنكفـاف عن التأويـل ، وإجـراء الـظواهـر على مـواردهـا ، وتفويض معانيها إلى الرب عـز وجل ؛ والـذي نرتضيـه ديناً ، وندين الله به عقيـدة : اتباع سلف الأمـة ، والدليـل القاطـع السمعي في ذلك ، وأن إجماع الأمة حجة متبعـة ، فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغـاً ، أو محتومـاً ، لأوشك أن يكـون اهتمامهم بها ، فوق اهتمامهم بفروع الشريعة.

وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين ، على الاضراب عن

التأويل ، كان ذلك هو الوجه المتبع ، فلتجر آية الاستواء ، وآية المجيء ، وقوله : (لما خلقت بيدي) [ص : ٧٥] على ذلك ؛ قال الإمام أبو الفتح : محمد بن علي ، دخلنا على الإمام ، أبي المعالي الجويني ، نعوده في مرض موته ، فقال لنا : اشهدوا علي أني قد رجعت ، عن كل مقالة قلتها ، أخالف فيها ما قال السلف الصالح ؛ وإني أموت على ما تموت عليه عجائز نيسابور ؛ توفي إمام الحرمين ، سنة ثمان وسبعين ، وأربعمائة ، وله ستون سنة ، وكان من بحور العلم ، في الأصول والفروع ، يتوقد ذكاء.

ذكر قول الإمام الحافظ ، أبي القاسم : إسماعيل بن محمد بن الفضل ، التيمي ، الإصبهاني ، مصنف كتاب : « الترغيب والترهيب ».

قال في كتاب « الحجة » قال علماء السنة : إن الله عز وجل على عرشه ، بائن من خلقه ، وقالت المعتزلة : هو بذاته في كل مكان ؛ قال : وروي عن ابن عباس ، في تفسير قوله : (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) [المجادلة : ٧] قال : هو على عرشه ، وعلمه في كل مكان ، ثم ساق الآثار ؛ قال : وزعم هؤلاء ، أن معنى : (الرحمن على العرش استوى) أي ملكه ، وأنه لا اختصاص له بالعرش ، أكثر مما له بالأمكنة ، وهذا إلغاء لتخصيص العرش ، وتشريفه.

قال أهل السنة : استوى على العرش ، بعد خلق السماوات والأرض ، على ما ورد به النص ، وليس معناه : المماسة ، بل هو مستو على عرشه بلا كيف ، كما أخبر عن نفسه ؛ قال : وزعم هؤلاء ، أنه لا يجوز الإشارة إلى الله بالرؤوس ، والأصابع ، فإن ذلك يوجب التحديد ، وأجمع المسلمون ، على أن الله هو العلي الأعلى ، ونطق بذلك القرآن ، فزعم هؤلاء ، أن ذلك بمعنى : علو الغلبة ، لا علو الذات ؛ وعند المسلمين : إن لله علو الغلبة ، والعلو من سائر وجوه العلو ؛ لأن العلو صفة مدح ، فثبت أن لله تعالى علو الذات ، وعلو الصفات ، وعلو القهر ، والغلبة.

وفي منعهم ، الإشارة إلى الله تعالى من جهة الفوق ، خلاف لسائر الملل ؛ لأن جماهير المسلمين : وقع منهم الإجماع على الإشارة إلى الله ، من جهة الفوق في الدعاء والسؤال ؛ واتفاقهم بأجمعهم على ذلك حجة ؛ وقد أخبر عن فرعون أنه قال : (يا هامان ابن لي صرحاً لعلّي أبلغ الأسباب ، أسباب السموات فأطلع إلى إلَه موسى) [غافر : ٣٦ ، ٣٧] فكان فرعون ، قد فهم عن موسى ، أنه يثبت إلَهاً فوق السماء ، حتى رام بصرحه أن يطلع إليه ؛ واتهم موسى بالكذب في ذلك ؛ والجهمية : لا تعلم أن الله فوقها بوجود ذاته ، فهم أعجز فهماً من فرعون ، بل وأضل ؛ وقد صح عن النبي ﷺ أنه حكم بإيمان الجارية ، حين قالت : إن الله في السماء ، وحكم الجهمي بكفر من يقول ذلك ، انتهى كلام أبي

القاسم رحمه الله ، توفي سنة خمس وثلاثين وخمسمائة.

ذكر كلام الإمام العالم العلامة : أبي عبد الله القرطبي ، صاحب التفسير الكبير ، قال في تفسير قوله تعالى : (ثم استوى على العرش) [الأعراف : ٥٤] هذه مسألة : قد بينا فيها كلام العلماء ، في كتاب « الأسنى في شرح الأسماء الحسنى » وذكرنا فيها أربعة عشر قولاً ـ إلى أن قال ـ وقد كان السلف الأول ، رضي الله عنهم ، لا يقولون بنفي الجهة ، ولا ينطقون بذلك ، بل نطقوا هم والكافة ، بإثباتها لله تعالى ، كما نطق كتابه ، وأخبرت رسله ، ولم ينكر أحد من السلف الصالح ، أنه استوى على العرش حقيقة ، وخص عرشه بذلك لأنه أعظم المخلوقات ، وإنما جهلوا كيفية الاستواء ، فإنه لا تعلم حقيقته ، كما قال الإمام مالك : الاستواء معلوم ـ يعني في اللغة ـ والكيف مجهول ، والسؤال عن ذلك بدعة.

قال الحافظ الذهبي ، وقال القرطبي ، أيضاً في الاستواء : الأكثر من المتقدمين ، والمتأخرين المتكلمين ، يقولون : إذا وجب تنزيه الباري جل جلاله ، عن الجهة والتحيز ، فمن ضرورة ذلك ، ولواحقه اللازمة : أنه متى اختص بجهة ، أن يكون في مكان وحيز ، ويلزم على المكان والحيز ، الحركة والسكون للتحيز والتغير والحدوث ؛ هذا قول المتكلمين.

ثم قال الذهبي ، قلت : نعم ، هذا ما اعتمده نفاة

الرب عز وجل ، أعرضوا عن الكتاب ، والسنة ، وأقوال السلف ، وفطر الخلائق ؛ وإنما يلزم ما ذكروه في حق الأجسام ، والله تعالى لا مثل له ، ولازم صرائح النصوص حق ، ولكنا لا نطلق عبارة إلا بأثر.

ثم نقول : لا نسلم أن كون الباري على عرشه ، فوق السماوات ، يلزم منه أنه في حيز وجهة ، إذ ما دون العرش ، يقال فيه حيز وجهات ، وما فوقه فليس هو كذلك ، والله فوق عرشه ، كما أجمع عليه الصدر الأول ، ونقله عنهم الأئمة ، وقالوا ذلك رادِّين على الجهمية ، القائلين بأنه في كل مكان ، محتجين بقوله : (وهو معكم) فهذان القولان ، هما اللذان كانا في زمن التابعين ، وتابعيهم.

فأما القول الثالث ، المتولد بآخره بأنه تعالى ليس في الأمكنة ، ولا خارجاً عنها ، ولا فوق عرشه ، ولا هو متصل بالخلق ، ولا بمنفصل عنهم ، ولا ذاته المقدسة متميزة ، ولا بائنة عن مخلوقاته ، ولا في الجهات ، ولا خارجاً عن الجهات ، ولا ، ولا ، فهذا شيء لا يعقل ولا يفهم ، مع ما فيه من مخالفات الآيات ، والأخبار ، ففر بدينك ، وإياك وآراء المتكلمين ، وآمن بالله وما جاء عن الله على مراد الله ، وفوض أمرك إلى الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، انتهى كلام الذهبي.

ذكر قول الإمام محي السنة : أبي محمد ، الحسين بن مسعود البغوي ، صاحب معالم التنزيل ، قال عند قوله تعالى : (ثم استوى على العرش) قال الكلبي ، ومقاتل : استقر ؛ وقال أبو عبيدة : صعد ؛ وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء ؛ وأما أهل السنة ، فيقولون : الاستواء على العرش ، صفة الله بلا كيف ، يجب الإيمان به ، وقال في قوله تعالى : (ثم استوى إلى السماء) قال ابن عباس ، وأكثر المفسرين من السلف : ارتفع إلى السماء ، وقال في قوله : (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) [البقرة : ٢١٠] الأولى في هذه الآية ، وما شاكلها : أن يؤمن الإنسان بظاهرها ، ويكل علمها إلى الله ، ويعتقد أن الله منزه عن سمات الحدوث ، على ذلك مضت أئمة السلف ، وعلماء السنة ؛ وقال في قوله : (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) [المجادلة : ٧] بالعلم ؛ كان محي السنة ، من كبار أئمة مذهب الشافعي ، زاهداً ورعاً توفي سنة عشر وخمسمائة ، وقد قارب الثمانين.

قال الحافظ الذهبي ـ لما ذكر قول الكلبي ، ومقاتل المتقدم ـ لا يعجبني قوله : استقر ؛ بل أقول كما قال الإمام مالك : الإستواء معلوم ، انتهى كلامه رحمه الله ؛ وهذا الذي

حكاه البغوي ، عن الكلبي ومقاتل ، ذكره ابن جرير ، في قوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) قال : ارتفع وعلا ، وقال الشيخ : أبو العباس بن تيمية رحمه الله ، وقد علم : أن بين مسمى الاستواء ، والاستقرار ، والقعود ، فروقاً معروفة.

ذكر قول الإمام ، العالم العلامة ، الحافظ ، عماد الدين : إسماعيل بن عمر بن كثير ؛ قال : في تفسيره في سورة الأعراف ، وأما قوله : (ثم استوى على العرش) فللناس في ذلك المقام ، مقالات كثيرة جداً ، ليس هذا موضع بسطها ، وإنما نسلك في هذا المقام ، مذهب السلف الصالح : مالك ، والأوزاعي ، والثوري ، والليث بن سعد ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وغيرهم من أئمة المسلمين ، قديماً وحديثاً ، وهو : إمرارها كما جاءت ، من غير تكييف ، ولا تشبيه ، ولا تعطيل ؛ والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين ، منفي عن الله ، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه ؛ و (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير).

بل الأمر كما قال الأئمة ، منهم نعيم بن حماد الخزاعي ، شيخ البخاري : من شبه الله بخلقه فقد كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه ، ولا رسوله تشبيهاً ؛ فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة ، والأخبار الصحيحة ، على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى ، ونفى عن الله النقائص ، فقد سلك سبيل الهدى ، انتهى كلام الحافظ ابن كثير ، وفيما نقلناه من كلام الأئمة خير كثير ، ولو تتبعنا كلام العلماء في

هذا الباب ، لحصل منه مجلد كبير.

وقد أضربنا عن كلام الحنابلة صفحاً ، فلم ننقل منه إلا اليسير، لأنه قد اشتهر عنهم إثبات الصفات ، ونفي التكييفات ؛ فمذهبهم بين الناس مشهور ، وفي كتبهم مسطور ، وكلامهم في هذا الباب أشهر من أن يذكر ، وأكثر من أن يسطر ؛ ولهذا كان أهل البدع ، يسمونهم الحشوية ، لأنهم قد أبطلوا التأويل ، واتبعوا ظاهر التنزيل ، وخالفوا أهل البدع ، والتأويل ؛ وأما غيرهم من أهل المذاهب ، فكثير منهم ، قد خالفوا طريقة السلف ، وسلكوا مسلك الخلف ؛ فلهذا نقلنا كلام أئمة الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، وأئمة أهل الكلام ، كابن كلاب ، والأشعري ، وأبي الحسن بن مهدي ، والباقلاني ، ليعلم الواقف على ذلك ، أن هؤلاء الأئمة : متبعون للسلف ، يثبتون لله الصفات ، وينفون عنه مشابهة المخلوقات ، ويعرف أن هذا الاعتقاد ، الذي حكيناه عن شيخنا : محمد بن عبد الوهاب ، واتباعه ، هو الاعتقاد الحق ، الذي دل عليه الكتاب والسنة ، وكلام الصحابة ، وسائر الأمة.

فنحن لا نصف الله إلا بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ؛ لا نتجاوز القرآن ، والحديث ، وما تأوله السابقون الأولون تأولناه ، وما أمسكوا عنه أمسكنا عنه ؛ ونعلم أن الله سبحانه ، ليس كمثله شيء ، لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، فكما نتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقة ، وله

أفعال حقيقة ، فكذلك له صفات حقيقة ، وليس كمثله شيء ؛ وكل ما أوجب نقصاً أو حدوثاً ، فإن الله منزه عنه حقيقة ؛ فإنه سبحانه مستحق للكمال ، الذي لا غاية فوقه ، ويمتنع الحدوث لامتناع العدم عليه ؛ فلا نمثل صفات الله بصفات الخلق ، كما أنا لا نمثل ذاته بذات الخلق ، ولا ننفي عنه ما وصف به نفسه ، ولا نعطل أسماءه ، الحسنى ، وصفاته العلى ؛ بخلاف ما عليه أهل التعطيل ، والتمثيل.

فالمعطلون : لم يفهموا من صفات الله ، إلا ما هو اللائق بالمخلوق ، فشرعوا في نفي تلك المفهومات بأنواع التأويل ، فعطلوا حقائق الأسماء والصفات ، وشبهوا الرب تبارك وتعالى ، بالجمادات العارية عن صفات الكمال ، ونعوت الجلال ؛ فجمعوا بين التعطيل ، والتمثيل ؛ عطلوا أولاً ، ومثلوا آخراً ؛ والممثلون : عطلوا حقيقة ما وصف الله به نفسه ، من صفات الكمال ، ونعوت الجلال ؛ وشبهوا صفاته بصفات خلقه ؛ فمثلوا أولاً ، وعطلوا آخراً.

فمن فهم من نصوص الكتاب والسنة ، في صفات الرب جل وعلا ، ما يفهمه من صفات المخلوقين ، فقد ضل في عقله ودينه ، وشبه الله بخلقه ، تعالى الله عما يقول الظالمون ، والجاحدون علواً كبيراً (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ومن نفى ظاهر النصوص ، وزعم أنه ليس لها في الباطن مدلول ، هو صفة لله ، وأن الله لا صفة له ثبوتية ، أو يثبت بعض الصفات ، كالصفات السبع ، ويؤول ما عداها ، كقوله :

استـوى ، بمعنى استولى ، أو بمعنى علو المكـانة والقـدر ، وكقوله: (بل يداه مبسوطتان) [المائدة : ٦٤] أي : نعمتاه ، نعمة الدنيا ، ونعمة الآخـرة ، ونحو ذلـك مما قـد عرف من مذهب المتكلمين ، فهؤلاء نفاة الصفات.

ومذهبهم مأخوذ عن جهم بن صفوان ، فإن أول من حفظ عنـه إنكار الصفـات ، هو الجعـد بـن درهم ، وأخذهـا عنـه الجهم بن صفوان ، وأظهرها ، فنسبت مقالـة الجهمية إليـه ؛ والجعد أخذ مقالته ، عن أبان بن سمعان ، وأخذها أبان عن طالوت ، بن أخت لبيـد بـن الأعصم ، وأخذهـا طالـوت عن لبيد بن الأعصم ، اليهودي الساحر ، الـذي سحر النبي ﷺ ، وكان انتشار مقالة الجهمية ، في المائة الثانية ، بسبب بشر بن غيـاث المـرّيسي وطبقتـه ؛ وكـلام الأئمـة ، مثـل مـالـك ، وسفيـان بن عيينـة ، وأبي يـوسف ، والشـافعي ، وأحمـد ، وإسحاق ، وغيرهم ، في ذمه وتضليله كثير جداً.

وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس ، هي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المرّيسي في كتابه ، وتلقـاها عنـه الخلف ، ونصروها ، وقرروها ؛ وكثير منهم يحكي القولين ، فيذكر مذهب السلف ، ومذهب الخلف ؛ ثم يقول : مذهب السلف أسلم ، ومـذهب الخلف أعلم وأحكم ، فصـدق في قـوله : مـذهب السلف أسلم ؛ وكـذب وافتـرى في قـولـه : ومذهب الخلف أعلم وأحكم ؛ بل مذهب السلف ، أسلم ، وأعلم ، وأحكم ، كما تقدم تقريره.

فنسأل الله : أن يهدينا ، وإخواننا ، إلى الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم ، من النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين ؛ وأن يجنبنا طريق المنحرفين عن المنهج القويم ، من المغضوب عليهم ، والضالين ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليماً كثيراً.

سئل الشيخ : عبد الرحمن بن حسن ، رحمه الله تعالى ، عما وصف الله به نفسه ، ووصفه به رسوله ﷺ من صفات الكمال ، ونعوت الجلال ، هل يقال في جميعها : صفات قائمة بالذات فقط ؟ أو يقال ذلك في بعضها ؟ ويقال في بعضها : صفات أفعال ؟ فأجاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، يظهر بذكر ما كان عليه السلف الصالح ، رضي الله عنهم ، ومتبوعيهم ، من أهل السنة والجماعة ، وذكر اختلاف مَنْ بعد السلف ، في الأفعال الإختيارية ، فنقول : اعلم أن السلف رضي الله عنهم ، من الصحابة ، والتابعين ، وأتباعهم ، لا يرون توسعة الكلام في ذلك ، لما قام في قلوبهم من معرفة الله بأسمائه وصفاته ؛ ولم يكونوا يتحاشون ، عن إثبات ما وصف الله به نفسه ، ووصفه به رسوله ﷺ ، على ما يليق بالله سبحانه ، تمسكاً بالقرآن ، والأثر ؛ فلا يشبهون الله بخلقه ، ولا يحرفون معاني أسمائه

وصفاته بلا علم.

وعلى هذا : أئمة الإسلام بعدهم ، كالأئمة الأربعة ، ومن في طبقتهم ، ومن بعدهم من أئمة الحديث وغيرهم ممن سلك سبيلهم ، في العلم والدين ، كما ينقله العلماء رحمهم الله ، ويروونه ، كالأثرم صاحب الإمام أحمد ، في كتاب السنة ، وأبي بكر الخلال ، في كتاب السنة ، بالسند المتصل عن الفضيل بن عياض رحمه الله ، أنه كان يقول : ليس لنا أن نتوهم في الله كيف وكيف ، لأن الله وصف نفسه فأبلغ فقال : (قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد) [الإخلاص] فلا صفة أبلغ مما وصف به نفسه. . . الخ.

وقال أبو عثمان الصابوني ، الملقب : شيخ الإسلام ، في رسالته المشهورة في السنة : ويثبت أصحاب الحديث ، نزول الرب سبحانه وتعالى ، كل ليلة إلى السماء الدنيا ، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ، ولا تمثيل ، ولا تكييف ؛ بل : يثبتون له ما أثبته رسوله ﷺ ، وينتهون فيه إليه ؛ وروى بإسناده عن إسحاق بن إبراهيم ، قال : قال لي الأمير ، عبد الله بن طاهر ، يا أبا يعقوب : هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله ﷺ « ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا » كيف ينزل؟ قال ، قلت : أعز الله الأمير ، لا يقال لأمر الرب ، كيف ، إنما ينزل بلا كيف ؛ وبإسناده عن عبد الله بن المبارك ، أنه سأله سائل عن النزول ، ليلة النصف من شعبان؟ فقال

عبد الله : يا ضعيف ليلة النصف ! ينزل في كل ليلة ، فقال الرجل : يا أبا عبد الرحمن ، كيف ينـزل ؟ أليس يخلو ذلك المكان ؟ فقال عبد الله بن المبارك : ينزل كيف شاء.

وقال أبو عثمان الصابوني : فلما صح خبر النزول ، عن رسـول الله ﷺ ، أقر بـه أهل السنـة ، وقبلوا الخبر ، وأثبتـوا النزول ، على ما قاله رسول الله ﷺ ، ولم يعتقدوا تشبيهاً له بنزول خلقه ، وعلموا ، وعرفـوا ، وتحققوا ، واعتقـدوا : أن صفات الرب تبارك وتعالى ، لا تشبه صفات الخلق ، كما أن ذاته لا تشبه ذوات الخلق ، تعالى الله عما تقوله المشبهـة ، والمعطلة ، علواً كبيراً ، ولعنهم لعناً كبيراً ؛ فقلت : قد صنف الناس ، من أهل الحديث : اتباع السلف في هذا المعنى ، مصنفات كثيرة ، كالإمام أحمد ، وبعض أصحابه ، وعثمان بن سعيد الدارمي ، وإمـام الأئمة محمـد بن خزيمـة ، وأبي بكر الأثرم ، واللالكائي ، وأبي عثمان الصابوني ، وغيرهم من أئمة الإسلام ، وردّوا على معتزلة الجهمية ، ونحوهم ، ما نفوه من قيام الأفعال الإختيارية بالله تعالى.

قال شيخ الإسـلام ، في كتاب « العقـل والنقل » أهـل السنة والجماعة : يثبتون ما يقوم بالله من الصفات ، والأفعال ، التي تتعلق بمشيئتـه وقـدرتـه ، والجهميـة ، من المعتــزلـة ، وغيرهم ، تنكر هذا ؛ وأثبت ابن كلاب : قيام الصفات اللازمة به ، ونفى أن يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته ، من الأفعال وغيرها ؛ ووافقه على هذا أبو العباس القلانسي ، وأبو الحسن

الأشعري ، وغيرهما ، وأهل السنة والجماعة : على إثبات النوعين ؛ وهو الذي ذكره عنهم من نقل مذهبهم ، كحرب الكرماني ، وعثمان بن سعيد ، وغيرهما.

ولما كان الإثبات ، هو المعروف عند أهل السنة والحديث ، كالبخاري ، وأبي زرعة ، وأبي حاتم ، ومحمد بن يحيى الذهلي ، وغيرهم من العلماء ، الذين أدركهم محمد بن إسحاق بن خزيمة ، كان المستقر عنده ما تلقاه عن أئمته ، من أن الله تعالى : لم يزل متكلماً إذا شاء ؛ وهذه المسألة : كانت المعتزلة تلقبها ، بمسألة حلول الحوادث ؛ ويقولون : إن الله منزه عن الأعراض ، والأبعاض ، والحوادث ، والحدود ؛ ومقصودهم : نفي الصفات ، ونفي الأفعال ، ونفي مباينته للخلق ، وعلوه على العرش.

وكانوايعبرون عن مذاهب أهل الإثبات ، أهل السنة ، بالعبارات المجملة ، التي تشعر الناس بفساد المذهب ؛ فإنهم إذا قالوا : إن الله منزه عن الأعراض ، لم يكن في ظاهر هذه العبارة ما ينكر ، لأن الناس يفهمون من ذلك : أنه منزه عن الإستحالة ، والفساد ، كالأعراض التي تعرض لبني آدم ، من الأمراض ، والأسقام ؛ ولا ريب أن الله منزه عن ذلك ، ولكن مقصودهم : أنه ليس له علم ، ولا قدرة ، ولا حياة ، ولا كلام قائم به ، ولا غير ذلك من الصفات ، التي يسمونها هم أعراضاً.

وكذلك إذا قالوا : إن الله منزه عن الحدود ، والأحياز ، والجهات ؛ أوهموا الناس ، أن مقصودهم بذلك ، أنه لا تحصره المخلوقات ، ولا تحويه المصنوعات ، وهذا المعنى صحيح ؛ ومقصودهم : أنه ليس مبايناً للخلق ، ولا منفصلاً عنه ، وأنه ليس فوق السماوات رب ، ولا على العرش إلّه ، وأن محمداً لم يعرج به إليه ، ولم ينزل منه شيء ، ولا يصعد إليه شيء ، ولا يتقرب إليه بشيء ، ولا ترفع الأيدي إليه في الدعاء ، ولا غيره ، ونحو ذلك من معاني الجهمية.

وإذا قالوا : إنه ليس بجسم ؛ أوهموا الناس أنه ليس من جنس المخلوقات ، ولا مثل أبدان الخلق ؛ وهذا المعنى صحيح ؛ ولكن مقصودهم بذلك : أنه لا يرى ، ولا يتكلم بنفسه ، ولا يقوم به صفة ، ولا هو مباين للخلق ، وأمثال ذلك ؛ وإذا قالوا : لا تحله الحوادث ؛ أوهموا الناس ، أن مرادهم : أنه لا يكون محلاً للتغيرات ، والاستحالات ، ونحو ذلك من الأحداث ، التي تحدث للمخلوقين ، فتحيلهم وتفسدهم ، وهذا معنى صحيح ، ولكن مقصودهم بذلك : أنه ليس له فعل اختياري يقوم بنفسه ، ولا له كلام ، ولا فعل يقوم به يتعلق بمشيئته وقدرته ، وأنه لا يقدر على استواء ، أو نزول ، أو إتيان ، أو مجيء.

وأن المخلوقات التي خلقها ، لم يكن منه عند خلقها فعل أصلاً ؛ بل عين المخلوقات هي الفعل ، ليس هناك فعل

ومفعـــول ، وخلق ومخلوق ، بـــل المـخلوق عـين الـخلق ، والمفعول عين الفعل ، ونحو ذلك ، وابن كلاب ، ومن اتبعه ، وافقوهم على هذا ، وخالفوهم في إثبات الصفات ؛ وكان ابن كـلاب ، والحـارث المحـاسبي ، وأبـو العبـاس القـلانسي ، وغيرهم : يثبتون مباينة الخالق للمخلوق ، وعلوه بنفسه فـوق المخلوقات.

والأشعري ، وأئمة أصحابه ، كـأبي الحسن الطبـري ، وأبي عبد الله بن مجاهد الباهلي ، والقاضي أبي بكر : متفقون على إثبات الصفات الخبرية التي ذكرت في القرآن ، كالاستواء، والوجه ، واليدين ، وإبطال تأويلها ، ليس لهم في ذلك قولان أصلاً ؛ ولم يذكر أحد عن الأشعري في ذلك قولين أصلاً ، بل جميع من يحكي المقالات من أتباعه ، وغيـرهم ، يذكـر أن ذلك قوله.

وأما مسألة : قيام الصفات الإختيارية ، فإن ابن كلاب ، والأشعري ، وغيرهما : ينفونهـا ، وعلى ذلك بنـوا قولهم في مسألة القرآن ؛ وبسبب ذلك وغيره ، تكلم الناس فيهم ، بما هو معروف في كتب أهل العلم ، ونسبوهم إلى البدعة ، وبقايا بعض الإعتـزال فيهم ، وشاع النـزاع في ذلـك ، بين عـامـة المنتسبين إلى السنة ، من أصحاب أحمد وغيرهم.

وممن كـان يوافق على نفي مـا يقوم بـه ، من الأسرار المتعلقة بمشيئته وقدرته : القاضي أبو يعلى ، وأتباعه ، كابن

عقيل ، وأبي الحسن بن الزاغوني ، وأمثالهم ؛ وإن كان في كلام القاضي ما يوافق هذا تارة ، وهذا تارة ؛ وممن يخالفهم في ذلك ، أبو عبد الله بن حامد ، وأبو بكر عبد العزيز ، وأبو عبد الله بن بطة ، وأبو عبد الله بن مندة ، وأبو نصر السجزي ، ويحيى بن عمار السجستاني ، وأبو إسماعيل الأنصاري ، وأبو عمر بن عبد البر ، وأمثالهم ؛ وقد ذكر أبو عبد الله الرازي ، عن بعض المتفلسفة : أن إثبات ذلك ، يلزم جميع الطوائف ، وإن أنكروه ، وقرر ذلك.

وكلام السلف ، والأئمة ، ومن نقل مذهبهم في هذا الأصل كثير ، يوجد في كتب التفسير ، والأصول ؛ قال إسحاق بن راهويه ، حدثنا بشر بن عمر ، سمعت غير واحد من المفسرين ، يقول : (الرحمن على العرش استوى) أي ارتفع ؛ وقال البخاري في صحيحه : قال أبو العالية : استوى إلى السماء ، ارتفع ؛ قال : وقال مجاهد ، استوى : علا على العرش ؛ قال الحسين بن مسعود البغوي ، في تفسيره المشهور ، قال ابن عباس ، وأكثر مفسري السلف (استوى إلى السماء) ارتفع إلى السماء ؛ وكذلك قال الخليل بن أحمد ؛ وروى البيهقي في كتاب الصفات ، قال الفراء : (ثم استوى) أي صعد ، قاله ابن عباس ، وهو كقولك للرجل : كان قاعداً ، فاستوى قائماً ؛ وروى الشافعي ، في مسنده ، عن أنس رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال عن يوم الجمعة « وهو اليوم الذي فيه ربكم على العرش ».

والتفاسير المأثورة ، عن النبي ﷺ ، والصحابة ، والتابعين ، مثل تفسير محمد بن جرير الطبري ، وتفسير عبد الرحمن بن إبراهيم ، المعروف بدحيم ، وتفسير عبد الرحمن بن أبي حاتم ، وتفسير ابن المنذر ، وتفسير أبي بكر عبد العزيز ، وتفسير أبي بكر بن مردويه ؛ وما قبل هؤلاء من التفاسير ، مثل تفسير أحمد بن حنبل ، وإسحاق بن إبراهيم ، وبقي بن مخلد ، وغيرهم ؛ ومن قبلهم ، مثل تفسير عبد بن حميد ، وتفسير عبد الرزاق ، وتفسير سنيد ، ووكيع بن الجراح ، فيها من هذا الباب ، والموافق لقول المثبتين ، ما لا يكاد يحصى ؛ وكذلك : الكتب المصنفة في السنة ، التي فيها آثار النبي ﷺ والصحابة ، والتابعين.

وقال أبو محمد : حرب بن إسماعيل ، الكرماني ، في مسائله المعروفة ، التي نقلها عن أحمد ، وإسحاق ، وغيرهما ، وذكر معهما من الآثار ، عن النبي ﷺ والصحابة ، وغيرهم ، ما ذكر ، وهو كتاب كبير ، صنفه على طريقة الموطأ ، ونحوه من المصنفات ؛ قال في آخره ، في الجامع « باب القول في المذهب » هذا مذهب أئمة العلم ، وأصحاب الأثر ، وأهل السنة المعروفين بها ، المقتدى بهم فيها ؛ وأدركت من أدركت ، من علماء أهل العراق ، والحجاز ، والشام ، وغيرهم عليها ، فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب ، أو طعن فيها ، أو عاب قائلها ، فهو مبتدع ، خارج من الجماعة ، زائل عن منهج السنة ، وسبيل الحق ؛ وهو مذهب

أحمد ، وإسحاق بن إبراهيم بن مخلد ، وعبد الله بن الزبير الحميدي ، وسعيد بن منصور ، وغيرهم ، ممن جالسنا ، وأخذنا عنهم العلم.

وذكر الكلام في الإيمان ، والقدر ، والوعيد ، والإمامة ، وما أخبر به الرسول ﷺ من أشراط الساعة ، وأمر البرزخ ، والقيامة ، وغير ذلك ــ إلى أن قال ــ وهو سبحانه : بائن من خلقه ، لا يخلو من علمه مكان ، ولله عرش ، وللعرش حملة يحملونه ، وله حد ، والله أعلم بحده ؛ والله على عرشه عز ذكره ، وتعالى جده ، ولا إلّه غيره ؛ والله تعالى سميع لا يشك ، بصير لا يرتاب ، عليم لا يجهل ، جواد لا يبخل ، حليم لا يعجل ، حفيظ لا ينسى ، يقظان لا يسهو ، رقيب لا يغفل ، يتكلم ، ويتحرك ، ويسمع ، ويبصر ، وينظر ، ويقبض ، ويبسط ، ويفرح ، ويحب ، ويكره ، ويبغض ، ويرضى ، ويسخط ، ويغضب ، ويرحم ويعفو ، ويغفر ، ويعطي ، ويمنع ، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء ، وكما شاء ، (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ــ إلى أن قال ــ ولم يزل الله متكلماً ، عالماً (فتبارك الله أحسن الخالقين) [المؤمنون : ١٤].

قال البخاري ، وقال الفضيل بن عياض ، إذا قال لك الجهمي : أنا كافر برب يزول عن مكانه ، فقل : أنا أومن برب ، يفعل ما يشاء ؛ قال البخاري ، وحديث يزيد بن

هـارون ، عن الجهمية ، فقـال: من زعم أن (الرحمن على العرش استوى) على خلاف ما تقرر في قلوب العامة ، فهو جهمي .

وقال أبو الحسن الأشعري في كتاب المقالات ، لما ذكر مقالة أهل السنة وأهل الحديث ، فقال : ويصدقون بالأحاديث التي جـاءت عن النبي ﷺ: « إن الله ينزل إلى سمـاء الـدنيـا فيقـول : هـل من مستغفـر. . . » ؟ كمـا جــاء الحـديث عن النبي ﷺ ؛ ويأخذون بالكتاب والسنة ، كما قال تعالى : (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) ، [النساء : ٥٩].

ويرون : اتباع من سلف من أئمة الدين ، وأن لا يحدثوا في دينهم مـا لم يـأذن بـه الله ؛ ويقـرون أن الله يجيء يــوم القيامة ، كما قال: (وجاء ربك والملك صفاً صفا) [الفجر : ٢٢] وأن الله يقرب من خلقه كيف يشاء ، كما قال : (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) [ق : ١٦] قال الأشعري : وبكل ما ذكرناه من قولهم ، نقول ، وإليه نذهب .

وقـال أبو بكـر الخلال ، في كتـاب « السنة » أخبـرني يوسف بن موسى ، أن أبا عبد الله ، أحمد بن حنبل ، قيل له : أهل الجنة ينظرون إلى ربهم عز وجل ؟ ويكلمونه ؟ ويكلمهم ؟ قــال : نعم ، ينــظر إليهم ، وينــظرون إليــه ، ويكلمهم ، ويكلمونه ، كيف شاء ، وإذا شاء ؛ قال : وأخبرني عبد الله بـن حنبل ، أخبرني أبي حنبل بـن إسحاق ، قـال ، قال عمي : نحن نؤمن بأن الله على العرش ، كيف شاء ، وكما شاء ، بلا

حد ، ولا صفة ، يبلغها واصف ، أو يحده حاد ؛ فصفات الله له ، ومنه ؛ وهو كما وصف نفسه ، لا تدركه الأبصار بحد ، ولا غاية ، وهو يدرك الأبصار ؛ وهو عالم الغيب والشهادة ؛ وعلّام الغيوب ؛ ولا يدركه وصف واصف ؛ وهو كما وصف نفسه ، وليس من الله شيء محدود ، ولا يبلغ علم قدرته أحد ، غلب الأشياء كلها ، بعلمه وقدرته ، وسلطانه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وكان الله قبل أن يكون شيء ، والله هو الأول ، وهو الآخر ، ولا يبلغ أحد حد صفاته .

قال وأخبرني علي بن عيسى ، أن حنبلاً حدثهم ، قال : سألت أبا عبد الله ، عن الأحاديث التي تروى ، أن الله تبارك وتعالى : « ينزل إلى السماء الدنيا » ، « وأن الله يضع قدمه » أو ما أشبه هذه الأحاديث ، فقال أبو عبد الله : نؤمن بها ، ونصدق بها ، ولا كيف ، ولا معنى ، أي لا نكيفها ، ولا نحرفها بالتأويل ، فنقول معناها كذا ، ولا نرد منها شيئاً ، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق ، إذا كان بأسانيد صحاح ، ولا نرد على الله قوله ، ولا يوصف الله بأكثر مما وصف به نفسه ، بلا حد ، ولا غاية (ليس كمثله شيء) .

وقال حنبل في موضع آخر ، عن أحمد ، قال : (ليس كمثله شيء) في ذاته ، كما وصف به نفسه ، قد أجمل تبارك وتعالى بالصفة لنفسه ، فحد لنفسه صفة ليس يشبهه شيء ، فنتعبد الله بصفاته ، غير محدودة ، ولا معلومة ، إلا بما وصف

به نفسه ؛ قال : فهو سميع بصير ، بلا حد ولا تقدير ، ولا يبلغ الواصفون صفته ، وصفاته منه ، وله ، ولا نتعدى القرآن ، والحديث ، فنقول كما قال ، ونصفه كما وصف نفسه ، ولا نتعدى ذلك ، ولا تبلغه صفة الواصفين ؛ نؤمن بالقرآن كله ، محكمه ومتشابهه ، ولا نزيل عنه صفة من صفاته ، لشناعة شنعت ؛ وما وصف به نفسه ، من كلام ، ونزول ، وخلوة بعبده يوم القيامة ، . ووضع كنفه عليه ، هذا كله يدل على أن الله تبارك وتعالى ، يرى في الآخرة ، والتحديد في هذا كله بدعة. والتسليم لله بأمره ، بغير صفة ولا حد ، إلا ما وصف به نفسه ، سميع ، بصير ، لم يزل متكلماً ، عليماً ، غفوراً ، عالم الغيب والشهادة ، علّام الغيوب ؛ فهذه صفات ، وصف بها نفسه ، لا تدفع ولا ترد.

وهو على العرش بلا حد ، كما قال تعالى : (ثم استوى على العرش) كيف شاء ، المشيئة إليه عز وجل ، والإستطاعة له (ليس كمثله شيء) وهو : (خالق كل شيء)[الأنعام : ١٠٢] وهو كما وصف نفسه ، سميع ، بصير ، بلا حد ولا تقدير ، قال إبراهيم لأبيه : (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر) [مريم : ٤٢] فنثبت : أن الله سميع ، بصير ، صفاته منه ، لا نتعدى القرآن ، والحديث ، والخبر « يضحك الله » ولا نعلم كيف ذلك ، إلا بتصديق الرسول ﷺ ، وبتثبيت القرآن ، لا يصفه الواصفون ، ولا يحده أحد ، تعالى الله عما تقول الجهمية ، والمشبهة ؛ قلت له ، والمشبهة : ما يقولون ؟

قال : من قال بصر كبصري ، ويد كيدي ، وقدم كقدمي ، فقد شبه الله بخلقه ، وهذا كلام سوء ، وهذا محدود ، والكلام في هذا لا أحبه.

فقول أحمد : إنه ينظر إليهم كيف شاء ، وإذا شاء ، وقوله : هو على العرش كيف شاء ، وكما شاء ، وقوله : هو على العرش بلا حد ، كما قال : (ثم استوى على العرش) كيف شاء ، المشيئة إليه ، والاستطاعة له ، ليس كمثله شيء ، يبين : أن نظره ، وتكليمه ، وعلوه على العرش ، واستواءه على العرش ، مما يتعلق بمشيئته ، واستطاعته ؛ وقوله بلا حد ، ولا صفة ، يبلغها واصف ، أو يحده حاد ، نفى به إحاطة علم الخلق به ، وأن يحدوه ، أو يصفوه ، على ما هو عليه ، إلا بما أخبر به عن نفسه ، ليبين أن عقول الخلق ، لا تحيط بصفاته ، كما قال الشافعي ، في خطبة الرسالة : الحمد لله الذي هو كما وصف به نفسه ، وفوق ما يصفه به خلقه ؛ ولهذا قال أحمد ، لا تدركه الأبصار بحد ، ولا غاية ، فنفى أن يدرك له حد ، أوغاية ، وهذا أصح القولين ، في تفسير الإدراك.

وذكر الخلال أيضاً ، قال المروذي ، قال : وأخبرنا إسحاق بن إبراهيم بن راهويه ، قال الله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) [طه : ٥] إجماع أهل العلم : أنه فوق العرش استوى ، ويعلم كل شيء ، في أسفل الأرض السابعة ، وفي قعور البحار ، ورؤوس الآكام ، وبطون الأودية ، وفي كل

موضع ، كما يعلم ما في السماوات السبع ، وما فوق العرش ، أحاط بكل شيء علماً ، فلا تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات البر ، والبحر ، إلا قد عرف ذلك كله ، وأحصاه ، فلا يعجزه معرفة شيء ، عن معرفة غيره ، فهذا وأمثاله ، مما نقل عن الأئمة ، كما قد بسط في غير هذا الموضع ، بينوا : أن ما أثبتوه له من الحد ، لا يعلمه غيره ، كما قال مالك ، وربيعة ، وغيرهما : الإستواء معلوم ، والكيف مجهول ؛ فبين : أن كيفية إستوائه مجهولة للعباد ، فلم ينفوا ثبوت ذلك في نفس الأمر ، ولكن نفوا علم الخلق به ، وكذلك مثل هذا ، في كلام عبد العزيز بن عبد الله ، الماجشون ، وغير واحد من السلف ، والأئمة : ينفون علم الخلق بقدره ، وكيفيته.

وبنحو ذلك قال عبد العزيز بن عبد الله ، بن أبي سلمة ، الماجشون ، في كلامه المعروف ، وقد ذكره ابن بطة في « الإبانة » وأبو عمر الطلمنكي ، في كتابه في الأصول ؛ ورواه أبو بكر الأثرم ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، عن عبد العزيز ، بن عبد الله بن أبي سلمة ، أنه قال : أما بعد ، فقد فهمت ما سألت عنه ، فيما تتابعت فيه الجهمية ، ومن خالفها ، في صفة الرب العظيم ، الذي فاتت عظمته الوصف والتقدير ، وكلت الألسن عن تفسير صفته ، وانحسرت العقول عن معرفة قدره ـ إلى أن قال ـ فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو ، وكيف يعرف قدر من لا يموت ولا يبلي ، وكيف يكون لصفة

شيء منه حد ، أو منتهى يعرفه عارف ، أو يحد قدره واصف ؟!

والدليل على عجز العقول ، عن تحقيق صفته ، عجزها عن تحقيق صفة أصغر خلقه ـ إلى أن قال ـ اعرف رحمك الله : غناك عن تكلف صفة ما لا يصف الرب من نفسه ، بعجزك عن معرفة قدر ما وصف منها ؛ إذا لم تعرف قدر ما وصف ، فما يكلّفك علم ما لم يصف ؟ هل تستدل بشيء من ذلك على شيء من طاعته ؟ أو تنزجر به عن شيء من معصيته ؟ وذكر كلاماً طويلاً ـ إلى أن قال : ـ

فأما الذي جحد ما وصف الرب من نفسه ، تعمقاً وتكلفاً ، قد : (استهوته الشياطين في الأرض حيران) [الأنعام : ٧١] فصار يستدل بزعمه على جحد ما وصف الرب ، وسمى من نفسه ، بأن قال : لا بد إن كان له كذا ، من أن يكون له كذا ؛ فعمي عن البيِّن بالخفي ، فجحد ما سمى الرب من نفسه ، ووصف الرب بما لم يسم ، فلم يزل يملي له الشيطان ، حتى جحد قول الله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) [القيامة : ٢٢ ، ٢٣] فقال : لا يراه أحد يوم القيامة ؛ فجحد ـ والله ـ أفضل كرامة الله ، التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة ، من النظر في وجهه (في مقعد صدق عند مليك مقتدر) [القمر : ٥٥] قد قضى : أنهم لا يموتون ، فهم بالنظر إليه ينظرون ؛ وذكر كلاماً طويلاً ، كتب في غير هذا الموضع .

وقال **الخلال في السنة** ، أخبرني : علي بن عيسى ، أن حنبلاً حدثهم قال : سمعت أبا عبد الله يقول : من زعم أن الله لم يكلم موسى ، فقد كفر بالله ، وكذب القرآن ، ورد على رسول الله ﷺ أمره ، يستتاب في هذه المقالة ، فإن تاب وإلا ضربت عنقه ؛ قال وسمعت أبا عبد الله ، قال : (وكلم الله موسى) [النساء : ١٦٤] فأثبت الكلام لموسى ، كرامة منه لموسى ؛ ثم قال تعالى ، بعد كلامه : (تكليما) قلت لأبي عبد الله : الله عز وجل ، يكلم عبده يوم القيامة ؟ قال : نعم ؛ فمن يقضي بين الخلائق إلا الله عز وجل ، يكلم عبده ويسأله ، الله متكلم ، لم يزل الله يأمر بما شاء ويحكم ، وليس له عدل ولا مثل ، كيف شاء ، وإذا شاء .

قال الخلال : أخبرنا محمد بن علي بن بحر ، أن يعقوب بن بختان حدثهم ، أن أبا عبد الله سئل : عمن زعم أن الله لم يتكلم ؟ قال : بلى ؛ تكلم بصوت ؛ وهذه الأحاديث كما جاءت ، نرويها ، لكل حديث وجه ؛ يريدون : أن يموهوا على الناس ؛ من زعم : أن الله لم يكلم موسى ، فهو كافر ؛ حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، عن عبد الله ، يعني ابن مسعود ، قال : إذا تكلم الله بالوحي ، سمع صوته أهل السماء ، فيخرون سجداً ، حتى إذا فزع عن قلوبهم ، قال : سكن عن قلوبهم ، نادى أهل السماء ، ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق ، قال : كذا ، وكذا .

قال الخلال ، وحدثنا أبو بكر المروذي ، قال سمعت أبا عبد الله ، وقيل له : إن عبد الوهاب قد تكلم ، وقال : من زعم أن الله كلم موسى بلا صوت ، فهو جهمي ، عدو لله ، وعدو للإسلام ؛ فتبسم أبو عبد الله ، وقال : ما أحسن ما قال ، عافاه الله .

وقال عبد الله بن أحمد ، سألت أبي ، عن قوم يقولون : لما كلم الله موسى ، لم يتكلم بصوت ؛ فقال أبي : بل تكلم تبارك وتعالى بصوت ، وهذه الأحاديث ، نرويها كما جاءت ؛ وحديث ابن مسعود : إذا تكلم الله بالوحي ، سمع له صوت ، كجر السلسلة على الصفوان ؛ قال أبي : الجهمية تنكره ؛ قال أبي : وهؤلاء كفار ، يريدون أن يموهوا على الناس ، من زعم أن الله لم يتكلم ، فهو كافر ؛ إنما نروي هذه الأحاديث كما جاءت .

قلت : وهذا الصوت الذي تكلم الله به ، ليس هو الصوت المسموع من العبد ؛ بل ذلك صوته ، كما هو معلوم لعامة الناس ؛ وقد نص على ذلك الأئمة ، أحمد وغيره ؛ فالكلام المسموع منه ، هو كلام الله ، لا كلام غيره ، كما قال تعالى : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ [التوبة : ٦] وقال النبي ﷺ : « ألا رجل يحملني إلى قومه ، لأبلغ كلام ربي ؟ فإن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي » رواه أبو داود وغيره.

وقال البخاري ، في كتاب خلق الأفعال ، يذكر عن

النبي ﷺ « أن الله ينادي بصوت يسمعه من بعد ، كما يسمعه من قرب » وليس هذا لغير الله عز وجل ، قال أبو عبد الله البخاري ، وفي هذا دليل على أن صوت الله ، لا يشبه أصوات الخلق ، لأن صوت الله يسمع من بعد ، كما يسمع من قرب ، وأن الملائكة يصعقون من صوته ، فإذاً ينادى الملائكة ، ثم يصعقون ، قال : (فلا تجعلوا لله أنداداً) [البقرة : ٢٢] فليس لصفة الله ند ، ولا مثل ، ولا يوجد شيء من صفاته في المخلوقين.

ثم روى بإسناده ، حديث عبد الله بن أنيس ، الذي استشهد به ، في غير موضع من الصحيح ، تارة يجزم به ، وتارة يقول : ويذكر عن عبد الله بن أنيس ، قال سمعت النبي ﷺ يقول : « يحشر الله العباد ، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد ، كما يسمعه من قرب : أنا الملك ، أنا الديان ؛ لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ، وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة » وذكر الحديث ، الذي رواه في صحيحه ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله يوم القيامة : يا آدم ، فيقول : لبيك ، وسعديك ؛ فينادى بصوت ، إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار ؛ قال : يا رب ، وما بعث النار؟ قال : من كل ألف ـ أراه قال ـ تسعمائة وتسعة وتسعين ، فحينئذ تضع الحامل حملها (وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد).

وروى أبو جعفر بن جرير ، في تفسيره ، عن ابن

عباس ، في قوله : (حتى إذا فزع عن قلوبهم) الآية [سبأ : ٢٣] قال : لما أوحى الله تعالى ذكره إلى محمد ﷺ ، ودعا الرسول من الملائكة ، فبعث بالوحي ، سمعت الملائكة صوت الجبار ، يتكلم بالوحي ، فلما كشف عن قلوبهم ، سألوا عما قال الله ، فقالوا الحق ، وعلموا أن الله لا يقول إلا حقاً ، وأنه منجز ما وعد ، قال ابن عباس : وصوت الوحي ، كصوت الحديد على الصفا ، فلما سمعوه خروا سجداً ، فلما رفعوا رؤوسهم (قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير).

وقال الحافظ : أبو نصر السجزي ، في رسالته المعروفة إلى أهل « زبيد » في الواجب من القول في القرآن ، اعلموا : أرشدنا الله وإياكم ، أنه لم يكن خلاف بين الخلق ، على اختلاف نحلهم ، من أول الزمان ، إلى الوقت الذي ظهر فيه ، ابن كلاب ، والقلانسي ، والأشعري ، وأقرانهم ، الذين تظاهروا بالرد على المعتزلة ، وهم معهم ، بل أحسن حالاً منهم في الباطن ، من أن الكلام : لا يكون إلا حرفاً ، وصوتاً ، ذا تأليف ، واتساق ، وإن اختلفت به اللغات.

وعبر عن هذا المعنى الأوائل ، الذين تكلموا في العقليات ، وقالوا : الكلام حروف متسقة ، وأصوات مقطعة ؛ وقالت ـ يعني ـ علماء العربية : الكلام ، اسم ، وفعل ، وحرف جاء لمعنى ؛ فالاسم ، مثل : زيد ، وعمرو ؛ والفعل ، مثل : جاء ، وذهب ، والحرف : الذي يجيء لمعنى ، مثل : هل ، وبل ، وقد ، وما شاكل ذلك ؛ فالإجماع منعقد بين

العقلاء ، على كون الكلام حرفاً ، وصوتاً.

فلما نبغ ابن كلاب ، وأضرابه ، وحاولوا الرد على المعتزلة ، من طريق مجرد العقل ، وهم لا يجيزون أصول أهل السنة ، ولا ما كان السلف عليه ، ولا يحتجون بالأخبار الواردة في ذلك ، زعماً منهم أنها أخبار أحاد ، وهي لا توجب علماً ، وألزمتهم المعتزلة ، الاتفاق على أن الاتفاق حاصل على أن الكلام : حرف ، وصوت ، ويدخله التعاقب ، والتأليف ، وذلك لا يوجد في الشاهد إلا بحركة وسكون ، ولا بد له من أن يكون ذا أجزاء وأبعاض ؛ وما كان بهذه المثابة ، لا يجوز أن يكون من صفات الله تعالى ، لأن ذات الحق ، لا توصف بالإجتماع والافتراق ، والكل والبعض ، والحركة والسكون ، وحكم الصفة الذاتية ، حكم الذات ؛ قالوا : فعلم بهذه الجملة ، أن الكلام المضاف إلى الله تعالى ، خلق له ، أحدثه ، وأضافه إلى نفسه ، كما تقول خلق الله ، وعبد الله ، وفعل الله.

قال : فضاق بابن كلاب ، وأضرا به النفس عند هذا الإلزام ، لقلة معرفتهم بالسنن ، وتركهم قبولها ، وتسليمهم العنان إلى مجرد العقل ، فالتزموا ما قالته المعتزلة ، وركبوا مكابرة العيان ، وخرقوا الإجماع المنعقد بين الكافة ، المسلم والكافر ؛ وقالوا للمعتزلة : الذي ذكرتموه ليس بحقيقة ، وإنما سمي ذلك كلاماً على المجاز ، لكونه حكاية وعبارة عنه ، وحقيقة الكلام : معنى قائم بذات المتكلم ؛ فمنهم من اقتصر

على هذا القول ، ومنهم من احترز عما علم دخوله على هذا الحد ، فزاد فيه : تنافي السكوت والخرس ، والآفات المانعة من الكلام ؛ ثم خرجوا من هذا إلى أن إثبات الحرف والصوت في كلام الله تجسيم ، وإثبات اللغة فيه تشبيه.

وتعلقوا بشبه ، منها قول الأخطل:

إن البيان من الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فغيروه، وقالوا: إن الكلام من الفؤاد ، وزعموا أن لهم حجة على مقالتهم ، في قول الله تعالى : (ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) [المجادلة : ٨] وفي قول الله عز وجل : (فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم) [يوسف : ٧٧] واحتجوا بقول العرب : أرى في نفسك كلاماً ، وفي وجهك كلاماً ؛ فألجأهم الضيق مما دخل عليهم في مقالتهم ، إلى أن قالوا : الأخرس متكلم ، وكذلك الساكت ، والنائم ؛ ولهم في حال الخرس ، والسكوت ، والنوم ، كلام هم متكلمون به ، ثم أفصحوا بأن الخرس والسكوت ، والآفات المانعة من النطق ، ليست بأضداد الكلام ؛ وهذه مقالة تبين فضيحة قائلها في ظاهرها ، من غير رد عليه ؛ ومن علم منه : خرق إجماع الكافة ، ومخالفة كل عقلي ، وسمعي قبله ، لم يناظر ، بل يجاب ويقمع.

وقال أيضاً : أبو نصر ، خاطبني بعض الأشعرية يوماً في هذا الفصل ، فقال : التجزء على القديم غير جائز ، فقلت له : أتقر بأن الله أسمع موسى كلامه ، على الحقيقة بلا

ترجمان ؟ فقال : نعم ، وهم يطلقون ذلك ، ويموهون على من لا يخبر مذهبهم ، وحقيقة سماع كلام الله من ذاته ، على أصل الأشعري : محال ؛ لأن سماع الخلق ، على ما جبلوا عليه من البينة ، وأجروا عليه من العادة ، لا يكون البتة ، إلا لما هو صوت ، أو في معنى الصوت ؛ وإذا لم يكن كذلك ، كان الواصل إلى معرفة من العلم والفهم ، وهما يقومان في وقت مقام السماع ، لحصول العلم بهما ، كما يحصل بالسماع ، وربما سمي ذلك سماعاً على التجوز ، لقربه من معناه ؛ فأما حقيقة السماع ، لما يخالف الصوت ، فلا يتأتى للخلق في العرف الجاري.

قال : فقلت لمخاطبي الأشعري : قد علمنا جميعاً أن حقيقة السماع لكلام الله منه ، على أصلكم ، محال ، وليس ها هنا من تتقيه ، وتخشى تشنيعه ، وإنما مذهبك : أن الله يفهم من شاء كلامه ، بلطيفة منه ، حتى يصير عالماً متيقناً ، بأن الذي فهمه كلام الله ؛ والذي أريد : أن ألزمك ، وارد على الفهم وروده على السماع ، فدع التمويه ، ودع المصانعة ؛ ما تقول في موسى عليه السلام ، حيث كلمه الله ، أفهم كلام الله مطلقاً ؟ أم مقيداً ؟ فتلكأ قليلاً ، ثم قال : ما تريد بهذا ؟ فقلت : دع إرادتي ، وأجب بما عندك ، فأبى ، وقال : ما تريد بهذا ؟

فقلت أريد : أنك إن قلت ، إنه عليه السلام ، فهم كلام الله مطلقاً ، اقتضى أن لا يكون لله كلام ، من الأزل إلى

الأبد ، إلا وقد فهمه موسى ؛ وهذا يؤول إلى الكفر ؛ فإن الله تعالى يقول : (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) [البقرة : ٢٥٥] ولو جاز ذلك لصار من فهم كلام الله ، عالماً بالغيب ، وبما يقول الله تعالى ؛ وقد نفى الله تعالى ذلك بما أخبر به عن عيسى عليه السلام ، أنه يقول : (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب) [المائدة : ١١٦].

وإذا لم يجز إطلاقه ، وألجئت إلى أن تقول : أفهمه الله ما شاء من كلامه ، دخلت في التبعيض الذي هربت منه ، وكفرت من قال به ، ويكون مخالفك أسعد منك ، لأنه قال بما اقتضاه النص الوارد من قبل الله ، ومن قبل رسول الله ؛ وأنت أبيت ألا تقبل ذلك ، وادعيت : أن الواجب المصير إلى حكم العقل في هذا الباب ، وقد ردك العقلاء ، إلى موافقة النص خاسراً ، فقال : هذا يحتاج إلى تأمل ، وقطع الكلام.

وقال الشيخ : أبو الحسن ، محمد بن عبد الملك ، الكرجي ، الشافعي ، في كتابه الذي سماه : الفصول في الأصول ، عن الأئمة الفحول ، وذكر اثني عشر إماماً ، الشافعي ، ومالكاً ، والثوري ، وأحمد ، وابن عيينة ، وابن المبارك ، والأوزاعي ، والليث بن سعد ، وإسحاق بن راهويه ، والبخاري ، وأبا زرعة ، وأبا حاتم ، ثم قال فيه : سمعت الإمام أبا منصور ، محمد بن أحمد ، يقول : سمعت الشيخ أبا حامد الإسفرائيني يقول : مذهبي ، ومذهب الشافعي ، وفقهاء

الأمصار : أن القرآن كلام الله ، غير مخلوق ؛ ومن قال : مخلوق ، فهو كافر .

والقرآن : حمله جبرائيل مسموعاً من الله تعالى ، والنبي ﷺ سمعه من جبرائيل ، والصحابة سمعوه من رسول الله ﷺ ، وهو الذي نتلوه نحن بألسنتنا ، وفيما بين الدفتين ، وفي صدورنا ، مسموعاً ، ومكتوباً ، ومحفوظاً ، ومنقوشاً ، وكل حرف منه ، كالألف ، والباء ، كله : كلام الله ، غير مخلوق ؛ ومن قال : مخلوق ، فهو كافر ، عليه لعائن الله ، والملائكة ، والناس أجمعين.

وقال شيخ الإسلام ، ابن تيمية رحمه الله : وأبو إسحاق الشيرازي ، وغير واحد ، بينوا مخالفة الشافعي ، وغيره ، من الأئمة ، لقول ابن كلاب ، والأشعري ، في مسألة الكلام ، التي امتاز بها ابن كلاب ، والأشعري ، عن غيرهما ، وإلا فسائر المسائل ، ليس لابن كلاب ، والأشعري بها اختصاص ، بل ما قالاه ، قاله غيرهما ، إما من أهل السنة ، وإما من غيرهم ، بخلاف ما قاله ابن كلاب ، في مسألة الكلام ، واتبعه عليه الأشعري ، فإنه لم يسبق ابن كلاب إلى ذلك أحد ، ولا وافقه عليه أحد من رؤوس الطوائف.

وأصله في ذلك ، هي : مسألة الصفات الإختيارية ، ونحوها من الأمور المتعلقة بمشيئته وقدرته ، هل تقوم بذاته ؟ أم لا ؟ وكان السلف ، والأئمة : يثبتون ما يقوم بذاته من الصفات والأفعال مطلقاً ؛ والجهمية من المعتزلة وغيرهم :

تنكر ذلك مطلقاً ، فوافق ابن كلاب السلف ، والأئمة ، في إثبات الصفات ، ووافق الجهمية في نفي قيام الأفعال به ، وما يتعلق بمشيئته وقدرته ، ولهذا ، وغيره : تكلم الناس فيمن اتبعه ، كالقلانسي ، والأشعري ، ونحوهما ، بأن في أقوالهم : بقايا من الإعتزال ، وهذه البقايا ، أصلها : هو الاستدلال على حدوث العالم ، بطريقة الحركات ، فإن هذا الأصل ، هو الذي أوقع المعتزلة في نفي الصفات ، والأفعال.

وقد ذكر الأشعري في رسالته ، إلى أهل الثغر ، بباب الأبواب : إنه طريق مبتدع في دين الرسول ، محرم عندهم ؛ وكذلك غير الأشعري ، كالخطابي ، وأمثاله ، يذكرون ذلك ، لكنٍ مع هذا : وافق ابن كلاب ، لأنه يرى بطلان هذه الطريقة عقلاً ، وإن لم يقل أن الدين محتاج إليها ، فلما رأى من رأى صحتها ، لزمه إما قول ابن كلاب ، أو ما يضاهيه ، ومنشأ اضطراب الفريقين : اشتراكها في أنه : لا يقوم به ما يكون بإرادته وقدرته ؛ فلزم هؤلاء إذا جعلوه يتكلم بقدرته ، واختياره ، أن يكون كلامه مخلوقاً ، منفصلاً عنه ؛ ولزم هؤلاء ، إذا جعلوه غير مخلوق : أن لا يكون قادراً على الكلام ، ولا يتكلم بمشيئته وقدرته ، ولا يتكلم بما يشاء.

والمقصود هنا : أن عبد الله بن سعيد ، بن كلاب ، وأتباعه ، لما وافقوا سلف الأمة ، وسائر العقلاء ، في أن كلام المتكلم ، لا بد أن يقوم به ، فما لا يكون إلا بائناً عنه ، لا يكون كلامه ، كما قال الأئمة : كلام الله من الله ، ليس ببائن

عنه ؛ وقالوا : إن القرآن كلام الله ، غير مخلوق ، منه بدا ، وإليه يعود ؛ فقالوا منه بدا ، رداً على الجهمية ، الذين يقولون بدا من غيره ، ومقصودهم : أنه هو المتكلم به ، كما قال تعالى : (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) [الزمر : ١] وقال تعالى : (ولكن حق القول مني) [السجدة : ١٣] وأمثال ذلك.

ثم إنهم مع موافقتهم للسلف ، والأئمة ، والجمهور على هذا ، اعتقدوا هذا الأصل ؛ وهو : أنه لا يقوم به ما يكون مقدوراً له ، متعلق بمشيئته ، بناء على هذا الأصل ، الذي وافقوا فيه المعتزلة ؛ فاحتاجوا حينئذ إلى أن يثبتوا ما لا يكون مقدوراً مراداً ؛ قالوا : والحروف المنظومة ، والأصوات ، لا تكون إلا مقدورة مرادة ، فأثبتوا معنى واحداً ، لم يمكنهم إثبات معان متعددة ، خوفاً من إثبات ما لا نهاية له ؛ فاحتاجوا أن يقولوا : معنى واحداً ، فقالوا القول الذي لزمته تلك اللوازم ، التي عظم فيها نكير جمهور المسلمين ، بل جمهور العقلاء عليهم.

وأنكر الناس عليهم أموراً : إثبات معنى واحد ، هو الأمر والخبر ؛ وجعل القرآن العزيز ، ليس من كلام الله الذي تكلم به ؛ وأن الكلام المنزل ليس هو كلام الله ؛ وأن التوراة ، والإنجيل ، والقرآن ، إنما تختلف عباراتها ؛ فإذا عبروا عن التوراة بالعربية ، كان هو القرآن ، وأن الله لا يقدر أن يتكلم ،

ولا يتكلم بمشيئته ، واختياره ؛ وتكليمه لمن كلم من خلقه ، كموسى ، وآدم ، ليس إلا خلق إدراك ذلك المعنى لهم ، فالتكلم هو خلق الإدراك فقط.

ثم منهم من يقول : السمع يتعلق بذلك المعنى ، وبكل موجود ، فكل موجود يمكن أن يرى ، ويسمع ، كما يقوله أبو الحسن ؛ ومنهم من يقول : بل كلام الله لا يسمع بحال ، لا منه ، ولا من غيره إذ هو معنى ، والمعنى يفهم ولا يسمع ، كما يقوله أبو بكر ونحوه ، ومنهم من يقول : إنه يسمع ذلك المعنى من القارىء ، مع صوته المسموع منه ، كما يقول ذلك طائفة أخرى ؛ وجمهور العقلاء ، يقولون : إن هذه الأقوال معلومة الفساد بالضرورة ، وإنما ألجأ إليها القائلين بها : ما تقدم من الأصول ، التي استلزمت هذه المحاذير ؛ وإذا انتفى اللازم ، انتفى الملزوم.

وكذلك من قال : لا يتكلم إلا بأصوات قديمة أزلية ، ليست متعاقبة ، وهو لا يقدر على التكلم بها ، ولا له في ذلك مشيئة ، ولا فعل ، من أهل الحديث والفقهاء ، وأهل الكلام ، المنتسبين إلى السنة ؛ فجمهور العقلاء ، يقولون : إن قول هؤلاء ، معلوم الفساد بالضرورة ؛ وإنما ألجأهم إلى ذلك ، اعتقادهم : أن الكلام لا يتعلق بمشيئة المتكلم ، وقدرته ، مع علمهم ، بأن الكلام يتضمن حروفاً منظومة ، وصوتاً مسموعاً من المتكلم ؛ وأما من قال : إن الصوت المسموع من القارىء

قديم ، أو سمع منه صوت قديم ، أو محدث ، فهذا أظهر فساداً ، من أن يحتاج إلى الكلام عليه ؛ وكلام السلف ، والأئمة ، والعلماء في هذا الأصل : كثير منتشر ، ليس هذا موضع استقصائه.

وأما دلالة الكتاب ، والسنة ، على هذا الأصل ، فأكثر من أن تحصر ؛ وقد ذكر منها الإمام أحمد ، وغيره من العلماء ، في الرد على الجهمية ، ما جمعوه ، كما ذكر الخلال في « كتاب السنة » قال : أخبرنا المروذي ، قال : هذا ما احتج به أبو عبد الله ، على الجهمية من القرآن ، وكتبه بخطه ، وكتبته من كتابه ، فذكر المروذي آيات كثيرة ، دون ما ذكر الخضر بن أحمد ، عن عبد الله بن أحمد ، وقال فيه : سمعت أبا عبد الله ، يقول : في القرآن عليهم من الحجج ، في غير موضع ، يعني الجهمية.

قال الخلال : وأنبأنا الخضر بن أحمد بن المثنى الكندي ، سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل ، قال : وجدت هذا الكتاب ، بخط أبي ، فيما احتج به على الجهمية ، وقد ألف الآيات إلى الآيات في السور ، فذكر آيات كثيرة تدل على هذا الأصل ، مثل قوله تعالى : (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) [البقرة : ١٨٦] وقوله تعالى : (بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون)

[البقرة : ١١٧] وقوله تعالى : (إن مثل عيسى عند الله كمثل ءَادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) [آل عمران : ٥٩] وقوله تعالى : (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم) [آل عمران : ٧٧].

وقوله تعالى : (وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون ، قوله الحق وله الملك) [الأنعام : ٧٣] (وكلم الله موسى تكليما) [النساء : ١٦٤] (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) [الأعراف : ١٤٣] (ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب) [هود : ١١٠] (ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون) [يونس : ١٩] (وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) [هود : ١١٩] (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين) [يوسف : ٣] وقوله تعالى : (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي) [الكهف : ١٠٩].

وقال تعالى : (فلما أَتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى ، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ، إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري) إلى قوله : (إنني معكما أسمع وأرى)

[طـه : ١١ ـ ٤٦] (وألقيت عليك محبـة مني ولتصنع على عيني) [طه : ٣٩] (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى) [طه : ١٢٩] (وأيوب إذا نادى ربه أني مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ، فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم) [الأنبياء : ٨٣ ، ٨٤].

وقوله تعالى : (وذا النـون إذ ذهـب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إلّه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ، وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين ، فاستجبنا له ووهبنا له يحيـى وأصلحنـا له زوجـه) [الأنبياء : ٨٧ ـ ٩٠] وقوله : (الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا) [الفرقان : ٥٩] وقوله تعالى : (فلما أتاها نودي من شاطىء الـواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين) [القصص : ٣٠] وقوله : (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) [يس : ٨٢].

وقوله تعالى : (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنـا المرسلين ، إنهم لهم المنصورون ، وإن جندنا لهم الغالبون) [الصافات : ١٧١ ـ ١٧٣] وقـوله : (ومـا قـدروا الله حق قـدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مـطويات بيمينـه سبحانـه وتعالى عما يشركون) [الزمر : ٦٧] وقوله تعالى : (هو الذي

يحيي ويميت فإذ قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) [غافر : ٦٨] (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) [غافر : ٦٠] (ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم ، وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب) [الشورى : ١٤] (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء) [الشورى : ٥١] وقوله : (فلما ءَاسفونا انتقمنا منهم) [الزخرف : ٥٥] وقوله : (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما) [المجادلة : ١].

قال شيخ الإسلام : وفي القرآن مواضع كثيرة ، تدل على هذا الأصل ، كقوله تعالى : (هو الذي خلق لكم ما فى الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم) [البقرة : ٢٩] وقوله تعالى : (أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين) [فصلت : ٩] وقوله تعالى : (ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين) [فصلت : ١١] وقوله : (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) [البقرة : ٢١٠] وقوله : (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك) [الأنعام : ١٥٨] وقوله : (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك) [النحل : ٣٣] وقوله تعالى :

(وجاء ربك والملك صفاً صفا) [الفجر : ٢٢] وقوله تعالى : (وسيرى الله عملكم ورسوله) [التوبة : ٩٤] وقوله : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) [التوبة : ١٠٥] وقوله : (ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون) [يونس : ١٤] وقوله تعالى : (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش) [الأعراف : ٥٤] في غير موضع من القرآن.

وقوله تعالى : (إنما قولنا لشيء إذا أردنا أن نقول له كن فيكون) [النحل : ٤٠] وقوله تعالى : (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) [الإسراء : ١٦] وقوله : (وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) [الرعد : ١١] وقوله تعالى : (كل يوم هو في شأن) [الرحمن : ٢٩] وقوله : (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) [القصص : ٦٢] (وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين) [الشعراء : ١٠] (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة) [الأعراف : ٢٢] وقوله تعالى : (كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون) [الشعراء : ١٥] وقوله : (سلام قولاً من رب رحيم) [يس : ٥٨] وقوله تعالى : (الله نزل أحسن الحديث) [الزمر : ٢٣] (فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون) [الجاثية : ٦] (ومن أصدق من الله حديثاً)

[النساء : ٨٧] .

وأمثال ذلك كثير في كتاب الله تعالى ، بل يدخل في ذلك : عامة ما أخبر الله به من أفعاله ، لا سيما المرتبة ، كقوله تعالى : (ولسوف يعطيك ربك فترضى) [الضحى : ٥] وقوله : (فسنيسره لليسرى) [الليل : ٧] وقوله : (فسنيسره للعسرى) [الليل : ١٠] وقوله : (إن إلينا إيابهم ، ثم إن علينا حسابهم) [الغاشية : ٢٥ ، ٢٦] وقوله : (إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم إن علينا بيانه) [القيامة : ١٧ ـ ١٩] وقوله تعالى : (فسوف يحاسب حساباً يسيراً) [الانشقاق : ٨] (فحاسبناها حساباً شديداً) [الطلاق : ٨] وقوله : (أنا صببنا الماء صباً ، ثم شققنا الأرض شقا) [عبس : ٢٥ ، ٢٦] وقوله : (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) [الروم : ٢٧] وقوله : (ألم نهلك الأولين ، ثم نتبعهم الآخرين) [المرسلات : ١٦ ، ١٧] ونحو ذلك ، لكن الاستدلال بمثل هذا ، مبني على أن الفعل ، ليس هو المفعول ، والخلق ليس هو المخلوق ، وهو قول جمهور الناس ، على اختلاف أصنافهم ؛ وقد قرر هذا في غير هذا الموضع .

ثم هؤلاء على قولين ؛ منهم من يقول : إن الفعل قديم ، لازم للذات ، لا يتعلق بمشيئته وقدرته ، ومنهم من يقول : يتعلق بمشيئته ، وقدرته ، وإن قيل إن نوعه متقدم ،

فهؤلاء : يحتجون بما هو الظاهر المفهوم من النصوص ، وإذا تأول من ينازعهم : أن المتجدد ، إنما هو المفعول المخلوق فقط ، من غير تجدد فعل ، كان هذا بمنزلة من يتأول نصوص : الإرادة ، والحب ، والبغض ، والسخط ، على أن التجدد ليس أيضاً إلا للمخلوقات ، التي تراد ، وتحب ، وتسخط ؛ وكذلك : نصوص القول ، والكلام ، والحديث ، ونحو ذلك ، على أن المتجدد ليس إلا إدراك الخلق ، والإتيان ، والمجيء ، وليس إلا مخلوقاً من المخلوقات ؛ فهذه التأويلات ، كلها من نمط واحد ، ولا نزاع بين الناس : أنها خلاف المفهوم الظاهر ، الذي دل عليه القرآن والحديث.

ثم ملاحدة الباطنية ، يقولون : إن الرسل أرادوا إفهام الناس ، ما يتخيلونه ، وإن لم يكن مطابقاً للخارج ، ويجعلون ذلك بمنزلة ما يراه النائم ، فتفسير القرآن عندهم ، يشبه تعبير الرؤيا ، التي لا يفهم تعبيرها من ظاهرها ، كرؤيا يوسف ، والملك ، بخلاف الرؤيا التي يكون ظاهرها مطابقاً لباطنها ؛ وأما المسلمون من أهل الكلام ، فهم وإن كانوا يكفرون من يقول بهذا ، فإما أن يتأولوا تأويلات ، يعلم بالضرورة : أن الرسول لم يردها ، وإما أن يقولوا لا ندري ما أراد ؛ فهم : إما في جهل بسيط ، أو مركب ؛ ومدار هؤلاء كلهم ، على أن العقل : عارض ما دلت عليه النصوص ؛ وقد بين أهل الإثبات : أن العقل مطابق موافق لما جاءت به النصوص ، لا معارضاً له ، لكن المقصود هنا ، أن نبين : أن القرآن ،

والسنة ، فيهما من الدلالة على هذا الأصل ، ما لا يكاد يحصر.

فمن له فهم في كتاب الله : يستدل بما ذكر من النصوص ، على ما ترك ، ومن عرف حقيقة قول النفاة ، علم أن القرآن مناقض لذلك ، مناقضة لا حيلة لهم فيها ، وأن القرآن ، يثبت ما يقدر الله عليه ويشاؤه من أفعاله ، التي ليست هي نفس المخلوقات ، وغير أفعاله ؛ ولولا ما وقع في كلام الناس ، من الإلتباس ، والإجمال ، لما كان يحتاج أن يقال ، الأفعال : ليست هي نفس المخلوقات ، فإن المعقول عند جميع الناس : أن الفعل المتعدي إلى مفعول ، ليس هو نفس المفعول ؛ لكن النفاة عندهم : إن المخلوقات ، هي نفس فعل الله ، ليس له فعل عندهم ، إلا نفس المخلوقات ؛ فلهذا احتيج إلى البيان.

ومما يدل على هذا الأصل : ما علق بشرط ، كقوله : (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب) [الطلاق : ٢ ، ٣] وقوله : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) [آل عمران : ٣١] وقوله : (إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً) [الأنفال : ٢٩] وقوله : (لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً) [الطلاق : ١] وقوله تعالى : (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً ، إلا أن يشاء الله) [الكهف : ٢٣ ، ٢٤] وقوله تعالى : (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله

وكرهوا رضوانه) [محمد : ٢٨].

وبالجملة : فهذا في كتاب الله أكثر من أن يحصر ؛ وكذلك : الأحاديث الصحيحة المتلقاة بالقبول ، كقوله ﷺ فيما يرويه عن ربه « ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه » وقوله : « أتدرون ماذا قال ربكم الليلة ؟ » وقوله في حديث الشفاعة : « إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله » وقوله : « إذا تكلم الله بالوحي ، سمع أهل السماوات كجر السلسلة على الصفا » وقوله : « إن الله يحدث من أمره ما شاء ، وإن مما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة ».

وقوله في حديث التجلي : « فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون » وقوله : « لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم ، أضل راحلته بأرض دوية مهلكة ، عليها طعامه وشرابه ، فطلبها فلم يجدها ، فنام تحت شجرة ينتظر الموت ، فلما استيقظ إذا هو بدابته عليها طعامه وشرابه ، فالله أشد فرحاً بتوبة عبده من هذا براحلته » وهذا الحديث : مستفيض عن النبي ﷺ في الصحيحين من غير وجه ، من حديث ابن مسعود ، وأبي هريرة ؛ وقوله : « يضحك الله لرجلين يقتل أحدهما صاحبه ، كلاهما يدخل الجنة » وفي حديث : آخِرَ من يدخل الجنة ، قال : « فيضحك الله منه » وقوله : « ما منكم من أحد إلا

سيكلمه ربه ، ليس بينه وبينه حاجب ، ولا ترجمان ».

وفي حديث : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، فإذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله حمدني عبدي ، فإذا قال (الرحمن الرحيم) قال أثنى علي عبدي ، فإذا قال (مالك يوم الدين) قال مجدني عبدي » وقوله ﷺ : « يقول الله تعالى : من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً ، ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً » وقوله ﷺ : « ينزل الله تعالى إلى سماء الدنيا شطر الليل ، أو ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له » وقوله ﷺ في حديث الأنصاري ، الذي أضاف رجلاً ، وآثره على نفسه وأهله ، فلما أصبح الرجل ، وغدا على رسول الله ﷺ فقال : « لقد ضحك الله الليلة ، أو عجب من فعالكما » وأنزل الله تعالى : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) [الحشر : ٩] وهذه الأحاديث كلها في الصحيحين.

وفي السنن : من حديث علي ، عن النبي ﷺ حديث الركوب على الدابة ، قال : فقلت يا رسول الله ، من أي شيء تضحك ؟ قال : « ربك يضحك إلى عبده ، إذا قال : رب اغفر لي ذنوبي ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ؛ قال : علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب غيري » وفي لفظ : « إن ربك ليعجب من عبده إذا قال : رب اغفر لي ذنوبي ، يعلم أنه لا

يغفر الذنوب غيره » وفي حديث أبي رزين ، عن النبي ﷺ قال : « ضحك ربنا من قنوط عباده ، وقرب غيره ، ينظر إليكم أزلين قنطين ، فيظل يضحك ، يعلم أن فرجكم قريب » فقال له أبو رزين ، أو يضحك الرب ؟ قال نعم ؛ فقال : لن نعدم من رب يضحك، خيراً ».

وفي الصحيحين ، وغيرهما في حديث التجلي الطويل ، المشهور ، الذي روي عن النبي ﷺ من وجوه متعددة ، فهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة ، وأبي سعيد ، وفي مسلم من حديث جابر ، ورواه أحمد من حديث ابن مسعود ، وغيره ، قال في حديث أبي هريرة ، قال : « أولست قد أعطيت العهود والمواثيق ، أن لا تسأل غير الذي أعطيت ؟ فيقول : يا رب لا تجعلني أشقى خلقك ، فيضحك الله تبارك وتعالى منه ، ثم يأذن له في دخول الجنة ».

وفي صحيح مسلم ، عن ابن مسعود ، عن النبي ﷺ قال : « فيقول الله يا ابن آدم ، أترضى إن أعطيتك الدنيا ، ومثلها معها ؟ فيقول : أي رب أتستهزىء بي ؟ وأنت رب العالمين » وضحك رسول الله ﷺ فقال : « ألا تسألوني مم ضحكت ؟» فقالوا : مم ضحكت يا رسول الله ؟ قال : « من ضحك رب العالمين ، حين قال أتستهزىء بي وأنت رب العالمين ؟ فيقول : إني لا أستهزىء بك ، ولكني على ما أشاء قادر » وفي الصحيحين ، عن النبي ﷺ قال : « يضحك الله إلى

رجلين ، يقتل أحدهما الآخر ، كلاهما يدخل الجنة ، قالوا كيف يا رسول الله ؟ قال : يقتل هذا فيلج الجنة ، ثم يتوب الله على الآخر ، فيهديه الله إلى الإسلام ، ثم يجاهد في سبيل الله فيستشهد » .

وفي الصحيح أيضاً عنه ﷺ قال : « عجب الله من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل » وفي حديث معروف : « لا يتوضأ أحدكم فيحسن وضوءه ، ويسبغه ، ثم يأتي إلى المسجد ، لا يريد إلا الصلاة ، إلا تبشبش الله له ، كما يتبشبش أهل الغائب بطلعته » وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال : « الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها ، فناظر كيف تعملون » وفي لفظ : « مستخلفكم فيها ، لينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء » وفي الصحيح أيضاً عنه ﷺ أنه قال : « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » .

وفي الصحيحين : عن أبي واقد الليثي ، أن رسول الله ﷺ كان قاعداً في أصحابه ، إذ جاء ثلاثة نفر ، فأما رجل فوجد فرجة في الحلقة فجلس ؛ وأما رجل فجلس ، يعني خلفهم ؛ وأما رجل فانطلق ، فقال النبي ﷺ : « ألا أخبركم عن هؤلاء النفر ؟ أما الرجل الذي جلس في الحلقة ، فرجل آوى إلى الله ، فآواه الله ؛ وأما الرجل الذي جلس خلف الحلقة ، فاستحيا، فاستحيا الله منه ؛ وأما الرجل الذي انطلق، فأعرض، فأعرض الله عنه» وعن سلمان الفارسي موقوفاً،

ومرفوعاً ، قال : « إن الله يستحي أن يبسط العبد يديه إليه ، يسأله فيهما خيراً ، فيردهما صفراً خائبتين » .

وفي الصحيحين عنه ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى : « لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل ، حتى أحبه ، فإذا أحببته : كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، فبي يسمع ، وبي يبصر ، وبي يبطش ، وبي يمشي ؛ ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه ؛ وما ترددت عن شيء أنا فاعله ، ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وأكره إساءته ، ولا بد له منه » وفي الصحيح عن عبادة ، عن النبي ﷺ قال : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » فقالت عائشة : إنا نكره الموت ، قال : « ليس بذاك ، ولكن المؤمن إذا حضره الموت ، بشر برضوان الله وكرامته ، وإذا بشر بذلك ، أحب لقاء الله ، وأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا حضره الموت ، بشر بعذاب الله وسخطه ، وكره لقاء الله ، وكره الله لقاءه » .

وفي الصحيحين : عن البراء بن عازب ، عن النبي ﷺ قال : « الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق ، من أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله » وفي الصحيحين : عن أبي سعيد ، عن النبي ﷺ قال : « إن الله تبارك وتعالى ، يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ؛ فيقولون : لبيك وسعديك ؛ فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا

نرضى ، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ؛ فيقول عز وجل : أنا أعطيكم أفضل من ذلك ؛ قالوا : يا ربنا ، وأي شيء أفضل من ذلك ؟ قال أحل عليكم رضواني ، فلا أسخط عليكم بعده أبداً » وفي الصحيحين : عن أنس ، قال نزل علينا ، ثم كان من المنسوخ : أبلغوا قومنا ، أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا ، وأرضانا ؛ وفي حديث عمر بن مالك الرواسي ، قال : أتيت النبي ﷺ ، فقلت يا رسول الله : إن الرب ليرضى فيرضي ، فارض عني ، فرضي عني.

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من حلف على يمين صبر ، ليقتطع بها مال امرء مسلم ــ وهو فيها فاجر ــ لقي الله وهو عليه غضبان » وفي الصحيحين : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : «اشتد غضب الله على قوم ، فعلوا هذا برسول الله ﷺ » وهو حينئذ يشير إلى رباعيته ؛ وقال : « اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله ﷺ في سبيل الله » وفي صحيح مسلم : عن حذيفة بن أسيد ، عن النبي ﷺ قال : « إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة ، بعث الله ملكاً ، فصورها ، وخلق الله سمعها ، وبصرها ، وجلدها ، ولحمها ، وعظامها ، ثم قال يا رب : ذكر ، أو أنثى ؛ فيقضي ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم يقول : يا رب أجله ، فيقول ربك ما شاء ، ويكتب الملك ؛ فيقول : يا رب رزقه ، فيقضي ربك ما شاء ، ويكتب الملك ، ثم يخرج الملك الصحيفة في يده ،

ولا يزيد على ما أمر ، ولا ينقص ».

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها : أن النبي ﷺ كان يقول في سجوده : « أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » وفي حديث آخر : « أعوذ بكلمات الله التامة ، من غضبه ، وعقابه ، وشر عباده » وفي الصحيحين : عن أنس في حديث الشفاعة ، عن النبي ﷺ قال : « فإذا رأيت ربي ، وقعت له ساجدا ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقول لي : يا محمد ، ارفع رأسك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ؛ وذكر مثل هذه ثلاث مرات » وفي الصحيحين ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر ، وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم ــ وهو أعلم بهم ــ كيف تركتم عبادي ؟ قالوا : تركناهم ، وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون ».

وفي الصحيحين أيضاً : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إن لله ملائكة ، فضلاً عن كتّاب الناس ، سياحين في الأرض ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله ، تنادوا : هلموا إلى حاجتكم ، قال : فيخرجون حتى يحفوا بهم إلى السماء الدنيا ؛ قال : فيقول الله عز وجل : أي شيء تركتم عبادي يصنعون ؟ قال ، فيقولون : تركناهم يحمدونك ،

ويسبحونك ، ويمجدونك ، قال ، فيقول : هل رأوني ؟ فيقولون : لا ، قال ، فيقول : كيف لو رأوني ؟ قال : فيقولون ، لو رأوك لكانوا أشد تمجيداً ، وأشد ذكراً ؛ قال ، فيقول : فأي شيء يطلبون ؟ قالوا : يطلبون الجنة ، قال ، فيقول : هل رأوها ؟ قال ، فيقولون : لا ، قال ، فيقول : كيف لو رأوها ؟ قال ، فيقولون : لو رأوها ، لكانوا أشد عليها حرصاً ، وأشد لها طلباً ؛ قال ، فيقول : من أي شيء يتعوذون ؟ قال ، فيقولون : يتعوذون من النار ؛ قال ، فيقول : وهل رأوها ؟ قال ، فيقولون : لا ؛ قال ، فيقول : فكيف لو رأوها ؟ قال ، فيقولون : لو رأوها كانوا أشد منها تعوذاً ، وأشد منها هرباً ؛ قال ، فيقول : إني أشهدكم أني قد غفرت لهم ؛ قال ، فيقولون : إن فيهم فلانا الخطاء ، لم يردهم ، إنما جاء لحاجة ، قال ، فيقول : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم ».

وفي الصحيحين : عن أنس عن النبي ﷺ قال : « إن الله إذا أحب عبداً ، نادى جبرائيل ، إني قد أحببت فلاناً فأحبه ، قال فيحبه جبرائيل ، ثم ينادي في السماء ، إن الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض » وقال في البغض : مثل ذلك ؛ وفي الصحيحين : عنه ، عن النبي ﷺ قال : « يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ، ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ، ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن

اقترب إلي شبراً ، اقتربت إليه ذراعاً ، وإن اقترب إلي ذراعاً ، اقتربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي ، أتيته هرولة » وفي صحيح مسلم : عن أبي هريرة ، وأبي سعيد ، أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال : « ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله ، إلا حفت بهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، وذكرهم الله فيمن عنده » .

وفي الصحيحين : عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ : « أن رجلاً أصاب ذنباً ، فقال : رب إني أصبت ذنباً ، فاغفره لي ، فقال ربه : علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ، ويأخذ به ، قد غفرت لعبدي ؛ ثم مكث ما شاء الله ، ثم أذنب ذنباً آخر ، فقال : أي رب ، إني قد أذنبت ذنباً ، فاغفره لي ، فقال ربه : علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ، ويأخذ بالذنب ، قد غفرت لعبدي ، فليفعل ما يشاء » وفي الصحيحين : عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « يقبض الله الأرض ، ويطوي السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض ؟ » وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال : « ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ، ليس بينه وبينه حجاب ، ولا ترجمان ، فينظر أيمن منه ، فلا يرى إلا شيئاً قدمه ، وينظر أشأم منه ، فلا يرى إلا شيئاً قدمه ، وينظر أمامه ، فتستقبله النار ، فمن استطاع منكم أن يتقي النار ، ولو بشق تمرة ، فليفعل ، فإن لم يجد ، فبكلمة طيبة » .

وفي صحيح مسلم : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن

النبي ﷺ في حديث الرؤية ، قال فيه : « فيلقى العبد ، فيقول : أي فلان ، ألم أكرمك ، واسودك ، وأزوجك ، وأسخر لك الخيل ، والإبل ، وأذرك ترأس ، وتربع ؟ فيقول : بلى يا رب ؛ قال ، فيقول : أفظننت أنك ملاقي ؟ فيقول : لا ؛ فيقول : إني أنساك كما نسيتني ؛ ثم يلقى الثاني ، فيقول : أي فلان ، فذكر مثل ما قال الأول ، وبلغ الثالث ، فيقول : آمنت بك ، وبكتابك ، وبرسولك ، وصليت ، وصمت ، وتصدقت ، ويثنى بخير ما استطاع ، قال ، فيقول : فها هنا إذن ، قال ، ثم يقال : ألا نبعث شاهداً عليك ؟ ففكر في نفسه ، من الذي يشهد عليه ؟ فيختم على فيه ، ويقال لفخذه : انطقي ، فتنطق فخذه ، ولحمه ، وعظامه ، بعمله ، وذلك ليعذر من نفسه ، وذلك المنافق » فذكر الحديث.

وفي صحيح مسلم ، عن أنس رضي الله عنه ، قال : كنا مع رسول الله ﷺ فضحك ، فقال : « هل تدرون مم أضحك ؟ » قلنا : الله ورسوله أعلم ؛ قال : « من مخاطبة العبد ربه ، يقول : يا رب ألم تجرني من الظلم ؟ قال ، فيقول : بلى ، قال ، فيقول : فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني ، قال ، فيقول : فكفى بنفسك عليك شهيداً ، والكرام الكاتبين عليك شهوداً ؛ قال : فيختم على فيه ، ويقال لأركانه ، انطقي ، فتنطق بأعماله ، قال : ثم يخلي بينه وبين الكلام ؛ قال ، فيقول : بعداً لكنّ ، وسحقاً ، فعنكنّ كنت أناضل » وفي الصحيحين ، عن أنس : أن النبي ﷺ قال :

« يقول الله لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة ، لو كان لك ما على الأرض من شيء ، أكنت تفتدي به ؟ فيقول : نعم ، فيقول له : قد أردت منك ما هو أهون من هذا ، وأنت في صلب آدم : أن لا تشرك بي ، فأبيت إلا أن تشرك بي ».

وفي الصحيحين ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ قال : « يدنوا أحدكم من ربه ، حتى يضع كنفه عليه ، فيقول : عملت كذا وكذا ، فيقول : نعم يا رب ، فيقرره ، ثم يقول : قد سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم ، قال : ثم يعطى كتاب حسناته ، وهو قوله : (هاؤم اقرؤوا كتابيه) [الحاقة : ١٩] وأما الكفار ، والمنافقون ، فينادون : (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) [هود : ١٨] وفي صحيح مسلم ، وغيره ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « يقول الله يوم القيامة ، يا ابن آدم ، مرضت فلم تعدني ، فيقول : يا رب ، كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال ، فيقول : أما علمت أن عبدي فلاناً مرض ، فلم تعده ، أما علمت أنك لو عدته ، لوجدتني عنده ؟ قال ، فيقول : يا ابن آدم ، استسقيتك ، فلم تسقني ، فيقول : أي رب ، كيف أسقيك ، وأنت رب العالمين ؟ فيقول تبارك وتعالى : أما علمت أن عبدي فلاناً ، استسقاك ، فلم تسقه ؟ أما إنك لو سقيته ، لوجدت ذلك عندي ؛ قال ، ويقول : يا ابن آدم ، استطعمتك فلم تطعمني ، فيقول : أي رب ، وكيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ قال ، فيقول : أما علمت أن

عبدي فلاناً ، استطعمك فلم تطعمه ؟ أما إنك لو أطعمته ، لوجدت ذلك عندي ».

وفي الصحيحين ، عن أبي سعيد الخدري : أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله تعالى يقول : يا أهل الجنة ، فيقولون لبيك ربنا وسعديك ، والخير في يديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : ربنا وما لنا لا نرضى ، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ؛ فيقول : أعطيكم أفضل من ذلك ، فيقولون : يا ربنا ، وأي شيء أفضل من ذلك ؟ قال : أحل عليكم رضواني ، فلا أسخط عليكم بعده أبداً » وهذا فيه ذكر المخاطبة ، وذكر الرضوان جميعاً ؛ وفي الصحيحين : عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « آخر أهل الجنة دخولاً الجنة ، وآخر أهل النار خروجاً من النار : رجل يخرج حبواً ، فيقول له ربه : أدخل الجنة ؛ فيقول : إن الجنة ملأى؛ فيقول له ذلك ثلاث مرات ، كل ذلك يعيد : الجنة ملأى ؛ فيقول : إن لك مثل الدنيا عشر مرات ».

وفي الصحيحين : عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله ، ولا ينظر إليهم يوم القيامة ، ولهم عذاب أليم ، رجل حلف على يمين ، على مال امرىء مسلم ، فاقتطعه ، ورجل حلف على يمين بعد العصر : أنه أعطى بسلعته ، أكثر مما أعطى ، وهو كاذب ؛ ورجل منع فضل ماء ، يقول الله : اليوم أمنعك من فضلي ، كما منعت فضل ما لم تعمل يداك » وفي صحيح مسلم : عن أبي ذر ، عن

النبي ﷺ قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب إليم » قال : فقرأها رسول الله ﷺ ، فقال أبو ذر : خابوا وخسروا ، من هم يا رسول الله ؟ قال : « المسبل ، والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذبة » وهذان الحديثان : فيهما نفي التكليم ، والنظر عن بعض الناس ، كما في القرآن مثل ذلك ، وأما نفي التكليم وحده ، ففي غير حديث ؛ وهذا الباب فيه : أحاديث كثيرة جداً ، يتعذر استقصاؤها ، ولكن نبهنا ببعضه على نوعه.

والأحاديث : **جاءت** في هذا الباب ، كما جاءت الآيات ، مع زيادة تفسير في الحديث ، كما أن أحاديث الأحكام ، تجيء موافقة لكتاب الله ، مع تفسيرها لمجمله ، ومع ما فيها من الزيادة ، التي لا تعارض القرآن ، فإن الله سبحانه وتعالى : أنزل على نبيه الكتاب ، والحكمة ، وأمر أزواج نبيه : أن يذكرن ما يتلى في بيوتهن من آيات الله ، والحكمة ، وامتن على المؤمنين : بأن (بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) [آل عمران : ١٦٤] وقال النبي ﷺ : « ألا وإني أوتيت الكتاب ، ومثله معه » ؛ وفي رواية : «ألا وإنه مثل القرآن أو أكثر ».

فالحكمة التي أنزل اللهعليه مع القرآن ، وعلمها لأمته : تتناول ما تكلم به في الدين ، من غير القرآن ، من أنواع

الخبر ، والأمر ؛ فخبره موافق لخبر الله ، وأمره ؛ فكأنه يأمر بما في الكتاب ، وبما هو تفسير ما في الكتاب ، وبما لم يذكر بعينه في الكتاب ؛ فجاءت أخباره في هذا الباب ، يذكر فيها أفعال الرب ، كخلقه ، ورزقه ، وعدله ، وإحسانه ، وإثابته ، ومعاقبته ، ويذكر فيها : أنواع كلامه ، وتكليمه ، لملائكته ، وأنبيائه ، وغيرهم من عباده ؛ ويذكر فيها ما يذكره : من رضاه ، وسخطه ، وحبه ، وبغضه ، وفرحه ، وضحكه ، وغير ذلك من الأمور ، التي تدخل في هذا الباب.

وما أحسن ما قال العلامة ابن القيم في كافيته:

وهو المقدم والمؤخر ذانك الـ ... ـصفتان للأفعال تابعتان
وهما صفات الذات أيضاً إذ هما ... بالذات لا بالغير قائمتان
ولذاك قد غلط المقسم حين ظـ ... ـن صفاته نوعين مختلفان
إن لم يرد هذا ولكن قد أرا ... د قيامها بالفعل ذي الإمكان
والفعل والمفعول شيء واحد ... عند المقسم ما هما شيئان
فلذاك وصف الفعل ليس لديه إلا ... نسبة عدمية ببيان
فجميع أسماء الفعال لديه ليـ ... ـست قط ثابتة ذوات معان
موجودة لكن أمور كلها ... نسب ترى عدمية الوجدان
هذا هو التعطيل للأفعال كالتـ ... ـعطيل للأوصاف بالميزان
فالحق أن الوصف ليس بمورد التـ ... ـقسيم هذا مقتضى البرهان
بل مورد التقسيم ما قد قام بالذا ... ت التي للواحد الرحمن
فهما إذا نوعان أوصاف وأفـ ... ـعال فهذي قسمة التبيان
فالوصف بالأفعال يستدعي قيا ... م الفعل بالموصوف بالبرهان

كالوصف بالمعنى سوى الأفعال ما　　إن بين ذينك قط من فرقان
ومن العجائب أنهم ردوا على　　من أثبت الأسماء دون معان
قامت بمن هي وصفه هذا محا　　ل غير معقول لذي الأذهان
وأتوا إلى الأوصاف باسم الفعل قا　　لوا لم تقم بالواحد الديان
فانظر إليهم بطلوا الأصل الذي　　ردوا به أقوالهم بوزان
إن كان هذا ممكناً فكذاك قو　　ل خصومكم أيضاً فذوا إمكان

وسئل **الشيخ : عبد الرحمن بن حسن** ، عن الجهمية ، والرافضة ، والمعتزلة.

فأجاب : لا ريب أن هذه الفرق الثلاث ، هي أصل ضلال من ضل من هذه الأمة ، فأصل الرافضة خرجوا في خلافة أمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب ، فلما اطلع على سوء معتقدهم ، خد الأخاديد ، وجعل فيها الحطب ، وأضرمها بالنار ، فقذفهم فيها.

وهم الذين أحدثوا الشرك في صدر هذه الأمة ، بنوا على القبور ، وعمت بهم البلوى ، ولهم قواعد سوء يطول ذكرها.

وأما المعتزلة ، فأولهم : نفاة القدر ، جحدوا أصلاً من أصول الإيمان ، الذي في سؤال جبريل للنبي ، قال : « فأخبرني عن الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وباليوم الآخر ، والقدر خيره وشره » وأنكر الصحابة رضي الله عنهم : ما أحدثوا من هذه البدعة ، ولهم عقائد سوء ؛ يقولون بتخليد أهل المعاصي في النار ؛ ونفوا

صفات الرب تعالى ، ووافقوا الجهمية.

فخرج أولهم في عصر التابعين ؛ وأولهم : الجعد بن درهمٍ ، أنكر الصفات ، وزعمٍ : أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم موسى تكليماً ، فضحى به خالد بن عبدالله القسري ، أمير واسط ، يوم الأضحى ؛ وظهر بعده جهم بن صفوان ، الذي تنسب إليه الجهمية ، وهذا المذهب الخبيث ؛ وانتشرت مقالته في خلافة بني العباس، في خلافة المأمون بن الرشيد ، فعطلوا الصفات ، ونفوا الحكمة ، وقالوا : بالجبر.

فهذه الطوائف الثلاث ، همٍ أصل الشر في هذه الأمة ، وصارت فتنة الجهمية أكثر انتشاراً ، ودخل فيها من يدعي أنه على السنة ، وليس كذلك ، فخالف الكتاب ، والسنة ، وسلف الأمة ، وأئمتها ، وعم ضررهم ، فجحدوا الصفات ، وتوحيد الإلّهية ، الذي بعث الله به رسله ، وأنزل به كتبه.

فهم خصوم أهل التوحيد ، والسنة ، إلى اليوم ؛ فإياكم أن تغتروا بمن هذه حاله ، ولو كان له صورة ودعوى في العلم ، ممن امتلأ قلبه ، من فرث التعطيل ، وحال بينه وبين فهم الأدلة الصحيحة الصريحة ، شبهات التأويل.

قال الإمام أحمد رحمه الله : أكثر ما يخطىء الناس ، من جهة التأويل والقياس ؛ فصنف المتأخرون من هؤلاء على مذهبهم الفاسد ، مصنفات ، كالأرجوزة التي يسمونها : جوهرة

التوحيد ؛ وهي إلحاد ، وتعطيل ، لا يجوز النظر إليها ، ولهم مصنفات أخر ، نفوا فيها علو الرب تعالى ؛ وأكثر صفات كماله ، نفوها ، ونفوا حكمة الرب تعالى.

والكتاب ، والسنة : يرد بدعتهم ، ويبطل مقالتهم ؛ فإن الله تعالى : أثبت استواءه على عرشه ، في سبعة مواضع من كتابه ، كقوله تعالى : (ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا) [الفرقان : ٥٩] وقوله : (تعرج الملائكة والروح إليه) [المعارج : ٤] وقوله : (يخافون ربهم من فوقهم) [النحل : ٥٠] (إني متوفيك ورافعك إلي) [آل عمران : ٥٥] (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) [التوبة : ٦] إلى غير ذلك من أدلة الصفات الصريحة ، في الكتاب ، والسنة ، ولا تتسع هذه الرسالة لذكرها.

وهذه الطائفة : التي تنتسب إلى أبي الحسن الأشعري ، وصفوا رب العالمين ، بصفات المعدوم والجماد ؛ فلقد أعظموا الفرية على الله ، وخالفوا أهل الحق من السلف ، والأئمة ، وأتباعهم ؛ وخالفوا من ينتسبون إليه ، فإن أبا الحسن الأشعري ، صرح في كتابه : الإبانة ، والمقالات ، بإثبات الصفات ؛ فهذه الطائفة المنحرفة عن الحق ، قد تجردت شياطينهم لصد الناس عن سبيل الله ، فجحدوا توحيد الله في الإلهية ، وأجازوا الشرك الذي لا يغفره الله ، فجوزوا : أن يعبد غيره من دونه ، وجحدوا توحيد صفاته بالتعطيل.

فالأئمة من أهل السنة ، وأتباعهم ، لهم المصنفات المعروفة ، في الرد على هذه الطائفة ، الكافرة المعاندة ، كشفوا فيها كل شبهة لهم ؛ وبينوا فيها الحق الذي دل عليه كتاب الله ، وسنة رسوله ، وما عليه سلف الأمة ، وأئمتها من كل إمام رواية ودراية.

ومن له نهمة في طلب الأدلة على الحق ، ففي كتاب الله ، وسنة رسوله ، ما يكفي ويشفي ؛ وهما سلاح كل موحد ، ومثبت ؛ لكن كتب أهل السنة ، تزيد الراغب ، وتعينه على الفهم ؛ وعندكم من مصنفات شيخنا رحمه الله ، ما يكفي مع التأمل ؛ فيجب عليكم هجر أهل البدع ، والإنكار عليهم.

وأما الإفغانية : الذين جاؤونا ، ووصلوا إلى جهتكم ، فهم أهل تشديد وغلو ، مع جهل كثيف ، أشبهوا الخوارج ، الذين كفروا أصحاب رسول الله ﷺ ، وقد أخبر النبي ﷺ بمروقهم ، وأمر أصحابه بقتلهم ، ولهم عبادة وزهد ؛ لكنهم : أخطؤوا في فهم الكتاب ، والسنة ، واستغنوا بجهلهم ، عن أن يأخذوا العلم من أصحاب رسول الله ﷺ ، كما قال العلامة ، ابن القيم رحمه الله :

ولهم نصوص قصروا في فهمها   فأتوا من التقصير في العرفان

وقد ناظر ابن عباس ، رضي الله عنه ، أهل النهروان ، فرجع بعضهم إلى الحق ، واستمر بعضهم على الباطل ، حتى قتلهم علي رضي الله عنه بالنهروان ؛ وفيهم المخدج ، الذي

أخبر به النبي ﷺ ؛ فإذا كانت هذه الطائفة ، قد خرجت في عهد الخلفاء الراشدين ، فلا بد أن يكون لهم أشباه في هذه الأمة ، فاحذروهم ؛ وتأمل : قوله تعالى ، في حق سادات الأمة ، أصحاب رسول الله ﷺ (واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ، فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم) [الحجرات : ٧ ، ٨] فليس العجب ممن هلك ، كيف هلك ؛ إنما العجب ممن نجا ، كيف نجا ، والله أعلم.

وله أيضاً رحمه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد النبي الصادق الأمين ، وعلى آله ، وصحبه ، وسلم تسليما.

أما بعد : فقد وردت علينا أسئلة من عمان ، صدرت من جهمي ضال ، يستعجز بها بعض المسلمين ؛ فينبغي أن نجيب عنها بما يفيد طالب العلم ، وما لا فائدة فيه ، لا يحتاج إلى الاشتغال بالجواب عنه.

فمما ينبغي أن نجيب عنه ، قوله : إن الاسم مشتق من السمو ، أو من السمة ، واشتقاق الاسم من هذين ، ذكره العلماء رحمهم الله تعالى في كتبهم ، لكن يتعين أن نسأله عن كيفية هذا الاشتقاق ؟ وما معنى الاشتقاق ، الذي يذكره

العلماء؟ فنطلب منه الجواب عن هذين الأمرين؟ وإن كانا مذكورين في كتب النحاة، وغيرهم؛ وقد ذكرته في فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد.

وأما سؤاله عن الفرق بين القضاء والقدر؟ فالقدر أصل من أصول الإيمان، كما في سؤال جبريل عليه السلام، وما أجابه به رسول الله ﷺ حين سأله، قال: «الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» وفي الحديث الصحيح: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له اكتب، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة» أي: جرى بما يكون مما يعلم الله تعالى، فإنه تعالى يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن، لو كان كيف يكون (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين) [سبأ: ٣].

وأما القضاء: فيطلق في القرآن، ويراد به إيجاد المقدر، كقوله: (فقضاهن سبع سموات في يومين) [فصلت: ١٢] وقوله: (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض) [سبأ: ١٤] ويطلق، ويراد به: الإخبار بما سيقع مما قدر، كقوله: (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب) [الإسراء: ٤] أخبرهم في كتابهم، أنهم يفسدون في الأرض مرتين، ويطلق ويراد به الأمر، والوصية، كما قال: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه)

[الإسراء : ٢٣] أي : أمر ، ووصى ؛ ويطلق ، ويراد به : الحكم ، كقوله : (وقضي بينهم بالحق) [الزمر : ٧٥] ويطلق ، ويراد به القدر ، ونحو ذلك.

وأما : ما زعمه من أن الأدلة ، الدالة على استوائه على عرشه ، لا تمنع أن يكون مستوياً على غيره .

فالجواب ، أن نقول : قد أجمع أهل السنة ، والجماعة ، قديماً وحديثاً ، على أنه لا يجوز أن يوصف الله بما لم يصف به نفسه ، ولا وصفه به رسوله ﷺ ؛ ومن وصفه بغير ما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ﷺ ، فهو جهمي ، ضال مضل ، يقول على الله بلا علم ؛ وقد ذكر سبحانه استواءه على عرشه ، في سبعة مواضع من كتابه ، في سورة « الأعراف » وفي سورة « يونس » وفي سورة « الرعد » وفي سورة « طه » وفي سورة « الفرقان » وفي سورة « السجدة » وفي سورة « الحديد » ولم يذكر تعالى : أنه استوى على غير العرش ، ولا ذكره رسوله ﷺ ، فعلم أنه ليس من صفاته ، التي يجوز أن يوصف بها ؛ فمن أدخل في صفات الله ، ما لم يذكر في كتاب الله ، ولا في سنة رسوله ، فهو جهمي ، يقول على الله ما لا يعلم.

وقد قال الله تعالى : (تعرج الملائكة والروح إليه) [المعارج : ٤] (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) [فاطر : ١٠] (يخافون ربهم من فوقهم) [النحل :

٥٠] (إني متوفيك ورافعك إلي) [آل عمران : ٥٥](بل رفعه الله إليه) [النساء : ١٥٨] (وهو العلي العظيم) [الشورى : ١٤] (وهو العلي الكبير) [الحج : ٦٢] علو القدر ، وعلو القهر ، وعلو الذات ؛ لا يجوز أن يوصف إلا بذلك كله ، لكماله تعالى في أوصافه ، فله الكمال المطلق ، في كل صفة وصف بها نفسه ، ووصفه بها رسوله ﷺ ، وقال تعالى : (رفيع الدرجات ذو العرش) [غافر : ١٥] فذكر العرش عند هذه الصفة ، من أدلة فوقيته تعالى ، كما هو صريح فيما تقدم من الآيات ؛ وكقوله تعالى : (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم) الآية [الشورى : ٥].

وذكر النبي ﷺ في معنى ، قول الله تعالى : (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) الآية [الحديد : ٣] « اللهم : أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء » فقوله : « فليس فوقك شيء » نص في أنه تعالى فوق جميع المخلوقات ؛ وهو الذي ورد عن الصحابة ، والتابعين ، من المفسرين ، وغيرهم ، في معنى قوله : (الرحمن على العرش استوى) [طه : ٥] إن معنى استوى : استقر ، وارتفع ، وعلا ، وكلها بمعنى واحد ، لا ينكر هذا ، إلا جهمي زنديق ، يحكم على الله ، وعلى أسمائه وصفاته بالتعطيل ، قاتلهم الله أنى يؤفكون ؛ والنصوص الدالة على

إثبات الصفات ، كثيرة جداً.

وقد صنف أهل السنة ، من المحدثين ، والعلماء ، مصنفات كباراً ، ومن ذلك : كتاب « السنة » لعبد الله بن الإمام أحمد ، ذكر فيه أقوال الصحابة ، والتابعين ، والأئمة ؛ وكتاب « التوحيد » لإمام الأئمة : محمد بن خزيمة ؛ وكتاب « السنة » للأثرم ، صاحب الإمام أحمد ؛ و « كتاب » عثمان بن سعيد الدارمي ، في رده على المريسي ؛ وكتاب « السنة » للخلال ؛ وكتاب « العلو » للذهبي ؛ وغير ذلك مما لا يحصى كثرة ، ولله الحمد والمنة.

ونذكر بعض الأحاديث الصريحة في المعنى ، فمن ذلك : ما رواه ابن أبي حاتم ، عن النواس بن سمعان ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر ، تكلم بالوحي ، أخذت السماوات منه رجفة ، أو قال رعدة شديدة ، خوفاً من الله عز وجل ، فإذا سمع ذلك أهل السماوات ، صعقوا ، وخروا لله سجداً ، فيكون أول من يرفع رأسه جبرائيل ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، ثم يمر جبرائيل على الملائكة ، كلما مر على سماء ، سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبرائيل ؟ فيقول جبرائيل : قال الحق ، وهو العلي الكبير ؛ فيقولون كلهم مثل ما قال جبرائيل ، فينتهي جبرائيل بالوحي ، إلى حيث أمره الله عز وجل.

ففي هذا الحديث : التصريح بأن جبرائيل ، ينزل

بالوحي من فوق السماوات السبع ، فيمر بها كلها ، نازلاً إلى حيث أمره الله ؛ وهذا صريح : بأن الله تعالى فوق السماوات ، على عرشه ، بائن من خلقه ، كما قال عبد الله بن المبارك ، لما قيل له : بم نعرف ربنا ؟ قال : بأنه على عرشه ، بائن من خلقه ؛ وهذا قول أئمة الإسلام قاطبة ، خلافاً للجهمية الحلولية ، والفلاسفة ، وأهل الوحدة ، وغيرهم ، من أهل البدع ؛ فرحم الله أهل السنة والجماعة ، المتمسكين بالوحيين .

وصح عن النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه قال : « إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق ، إن رحمتي سبقت غضبي ، فهو عنده فوق العرش » وفي حديث العباس بن عبد المطلب ، رضي الله عنه ، الذي رواه أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه : أن النبي ﷺ ذكر سبع سماوات ، وما بينهما ، ثم قال : « وفوق ذلك بحر ، بين أعلاه وأسفله ، كما بين سماء إلى سماء ، ثم فوق ذلك ثمانية أو عال ، ما بين أظلافهن وركبهن ، كما بين سماء إلى سماء ، ثم فوق ظهورهن العرش ، ما بين أعلاه وأسفله ، كما بين سماء إلى سماء ، والله تعالى فوق ذلك .

وفي حديث ابن مسعود ، الذي رواه عبد الرحمن بن مهدي ، شيخ الإمام أحمد ، عن حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : « بين السماء

الـدنيا والتي تليهـا ، خمسمائـة عـام ، وبين كـل سمـاء إلى سماء ، خمسمائة عام ، وبين السمـاء السابعـة ، والكرسي ، خمسمـائة عـام ، وبين الكرسي والمـاء ، خمسمـائـة عـام ، والعرش فوق الماء ، والله تعالى فوق العرش ، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم » والجهمية جحدوا هذه النصوص ، وعاندوا في التكذيب ، فصاروا بذلك كفـاراً ، عند أكثـر أهل السنـة والجماعة .

وهذا القدر الذي ذكرنا ، كافٍ في بيـان ما عليـه أهل السنة والجماعة ، من علو الله تعالى على جميع المخلوقات ، واستوائه على عرشه ، وقـد تظاهـرت الأدلة ، من الكتـاب ، والسنة على ذلك ؛ ولو ذهبنا نذكر ما ورد في ذلك ، لاحتمل مجلداً ، فالحمد لله الذي حفظ على الأمة دينها ، في كتابه ، وسنـة رسولـه ، وبنقل العلمـاء ، الذين هم في هـذه الأمة ، كأنبياء بني إسرائيل ، وهدانا إلى ذلك ، فأبطل الله بالعلماء كل بدعة وضلالة ، حدثت في هذه الأمة ، فيا لها من نعمة ، ما أجلها في حق من تلقى الحق بالقبول ، وعرفه ، ورضي به ، نسأل الله أن يجعلنا شاكرين لنعمـه ، مثنيـن بها عليـه ، فله الحمد لا نحصى ثناء عليه ، هو كما أثنى على نفسه ، وفوق ما يثنى عليه خلقه .

فأهل السنـة والجماعـة : عرفـوا ربهم ، بما تعـرف به إليهم ، من صفات كماله ، الـلائقة بجـلال الله ، فأثبتـوا له

تعالى ما أثبته لنفسه ، وأثبته له رسوله ، إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل ؛ وعرفوه بأفعاله ، وعجائب مخلوقاته ؛ وبما أظهره لهم من عظيم قدرته ، وبما أسبغه عليهم من عظيم نعمه ، فعبدوا رباً أحداً صمداً ، إلّهاً واحداً ، وهو الله الذي الإلّهية وصفه ؛ فالخلق خلقه ، والملك ملكه ، لا شريك له في إلّهيته ، ولا في ربوبيته ، ولا في ملكه ، تعالى وتقدس ، كما قال تعالى : (قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، إلّه الناس) [الناس : ١ ــ ٣] ونزهوه عما تنزه عنه ، وعن كل ما فيه عيب ونقص ، وعن كل ما وصفته الجهمية ، وأهل البدع ، مما لا يليق بجلاله وعظمته.

وأما الجهمية ، فعطلوه من صفات الكمال ، وصاروا إنما يعبدون عدماً ، لأنهم وصفوه بما ينافي الكمال ، ويوقع في النقص العظيم ، فشبهوه بالناقصات تارة ، وبالمعدوم تارة ، فهم أهل التشبيه ، كما عرفت من حالهم ، وضلالهم ، ومحالهم.

وأما : ما أورده هذا الجهمي الجاهل ، من آيات العلم ، كقوله : (وهو معكم أينما كنتم) [الحديد : ٤] وقوله : (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) [المجادلة : ٧] فلا منافاة بين استوائه على عرشه ، وإحاطة علمه بخلقه ؛ والسياق يدل على ذلك ، أما الآية الأولى ، فهي مسبوقة بقوله تعالى : (هو الذي خلق السموات والأرض في

ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها) [الحديد : ٤] ذكر استواءه على عرشه ، وذكر إحاطة علمه بما في الأرض والسماوات ، ثم قال : (وهو معكم أينما كنتم) أي بعلمه المحيط بما كان ، وما يكون.

وأما الآية الثانية ، فهي كذلك مسبوقة بالعلم ، وختمها تعالى به ، فقال : (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) إلى قوله : (إن الله بكل شيء عليم) [المجادلة : ٧] فعلم أن المراد : علمه بخلقه ، وأنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم ، كما قال تعالى :(الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً) [الطلاق : ١٢] وهذا المعنى الذي ذكرنا ، هو الذي عليه المفسرون ، من الصحابة ، والتابعين ، والأئمة ، وجميع أهل السنة والجماعة.

وأما الجهمية ، وأهل البدع ، فحرموا معرفة الحق ، لانحرافهم عنه ، وجهلهم به ، وبالقرآن ، والسنة ، كما قال العلامة بن القيم ، رحمه الله تعالى:

ثقل الكتاب عليهم لما رأوا تقييده بشرائع الإيمان

ومن المعلوم : أنه لا يقبل الحق إلا من طلبه ، وأما أهل

البدع ، فأشربوا في قلوبهم ما وقعوا فيه من البدع ، والضلال ، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ، فأبى الله إلا أن يتم نوره ، ولو كره الكافرون.

فإذا عرف ذلك ، فيتعين : أن نسأل هذا الجهمي ، وغيره من المبتدعة ، عن أمور لا يسع مسلماً أن يجهلها ، لأن الإسلام : يتوقف على معرفتها.

فمن ذلك ، ما معنى كلمة الإخلاص ، لا إلَه إلا الله ؟ وما الإلَهية المنفية بلا النافية للجنس ؟ وما خبرها ؟ وما معنى الإلَهية التي ثبتت لله وحده ، دون ما سواه ؟ وما أنواع التوحيد ؟ وألقابه ؟ وأركانه ؟ وما معنى الإخلاص ، الذي أمر الله به عباده ، وأخبرهم أنه له وحده ؟ وما تعريف العبادة التي خلقوا لها ؟ وما أقسام العلم النافع ، الذي لا يسع أحداً جهله ؟ وما معنى اسم الله تعالى ، الذي لا يسمى بهذا الاسم غيره ؟ وما صفة اشتقاقه من المصدر الذي هو معناه ؟

فالجواب عن هذا مطلوب ؛ والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على محمد سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وله أيضاً ، قدس الله روحه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، محمد وعلى آله وصحبه ، ومن أحبه ووده ؛ من عبد الرحمن بن حسن ، إلى أخيه : راشد بن مطر ، سلمه الله تعالى ، وزاده علماً وإيماناً ، وتوفيقاً ، وتحقيقاً ، وإذعاناً ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد : فقد وصل إليّ خطك ، وسرنا ما أشعر به من حسن الحال ، من معرفة الإسلام ، ومحبته ، وقبوله ، فتلك النعمة التي لا أشرف منها ، ولا أنفع (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) [يونس : ٥٨] ففضله الإسلام ، والإيمان ؛ وقيل : القرآن ؛ وهما متلازمان ؛ ورحمته : أن جعلكم من أهله ، كما فسر الصحابي ، رضي الله عنه ، الآية بهذا.

وما ذكرت : من قيام الجهمية ، والرافضة ، والمعتزلة ، عليكم ، فلا يخفاك أن هذه الفرق الثلاث ، قد ابتلى بهم أهل السنة والجماعة ، قديماً وحديثاً ، وتشعبت هذه الأهواء شعباً ؛

وكل من أقامه الله بدينه ، والدعوة إليه ، ناله منهم عناء ومشقة ، فهم أعداء أهل الحق ، في كل زمان ومكان، حكمة بالغة يمتحن حزبه بحربه ، كما جرى للرسل من أعدائهم في الدين ، قال تعالى : (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين) [الفرقان : ٣١] ليتميز الصادق بصدقه ، وصبره على دينه ، وليتخلف من ليس كذلك ، ممن ليس له قدم راسخ في الإيمان (ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) [العنكبوت : ٣].

وبعد الابتلاء والامتحان : يحصل النصر ، والتمكين للمؤمنين ، الصادقين الصابرين ، كما قال تعالى : (وإن جندنا لهم الغالبون) [الصافات : ١٧٣] (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم) الآية [محمد : ٧] فمن قامت عليه الحجة فلم يقبل ، وجادل بالباطل ، وجبت عداوته ، والبراءة منه ، ومفارقته بالقلب والبدن.

وأما قول الأشاعرة ، في نفي علو الله تعالى على عرشه ، فهو قول الجهمية ، سواء بسواء ؛ وذلك يرده ، ويبطله : نصوص الكتاب ، والسنة ، كقوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) ، (ثم استوى على العرش) في ستة مواضع ، وكقوله : (تعرج الملائكة والروح إليه) [المعارج : ٤] والعروج : إنما هو من أسفل ، إلى فوق ؛ وقوله : (يخافون ربهم من فوقهم) [النحل : ٥٠] (إني متوفيك ورافعك إلي) [آل عمران : ٥٥] (ءَأمنتم من في السماء)

الآيتين [الملك : ١٦ ، ١٧] وكل هذه الآيات : نصوص في علو الله تعالى على خلقه ، واستوائه على عرشه ، على ما يليق بجلاله ، بلا تكييف.

وقول **هؤلاء الأشاعرة** : إنه من الجهات الست خالي ، قد وصفوه بما يوصف به المعدوم ؛ وهو قد وصف نفسه بصفات الموجود ، القائم على كل نفس بما كسبت ؛ وفي الأحاديث من أدلة العلو ، ما لا يكاد يحصر إلا بكلفة ، كقوله في حديث الرقية : « ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك » الحديث ؛ وجوهرة السنوسي ، ذكر فيها مذهب الأشاعرة ، وأكثره مذهب الجهمية المعطلة ، لكنهم تصرفوا فيه تصرفاً ، لم يخرجهم عن كونهم جهمية.

ومذهبهم : أن القرآن عبارة عن كلام الله ، لا أنه كلامه تكلم به ؛ وخالفواالكتاب ، والسنة ؛ قال تعالى : (يريدون أن يبدلوا كلام الله) [الفتح : ١٥] (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) [التوبة : ٦] (وكلم الله موسى تكليما) [النساء : ١٦٤] (ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) [لقمان : ٢٧] والأدلة على هذا كثيرة جداً ؛ والأشعري : له كتب في إثبات الصفات ، وهذا المذهب الذي نسبه إليه هؤلاء ، تبرأ منه في كتابه : الإبانة ، والمقالات ، وغيرها.

وكثير من أهل العلم : يكفرون نفـاة الصفات ، لتركهم ما دل عليه الكتاب ، والسنة ، وعدم إيمانهم بآيات الصفات ؛ وأما من جحد توحيد الإلّهية ، ودعا غير الله ، فلا شـك في كفره ، وقد كفره القرآن ؛ والسنوسي ، وأمثاله من المتأخرين ، ليسوا من السلف ، ولا من الخلف المعروفين بالنظر والبحث ، بل هو من جهـلة المتأخرين ، المقلدين لأهل البدع ، وهؤلاء ليسوا من أهل العلم.

والخلف : فيهم من انحـرف عن السنـة إلى البـــدع ، وفيهم من تمسك بالسنة ، فلا يسب منهم إلا من ظهرت منه البدعة ؛ وأما ابن حجر الهيتمي ، فهو من متأخري الشافعية ، وعقيدته : عقيدة الأشاعرة النفـاة للصفات ، ففي كلامه حق وباطل.

وأما الدعاء بعد المكتـوبة ، ورفـع الأيدي ، فليس من السنـة ؛ وقد أنكـره شيخ الإسـلام ، لعـدم وروده على هـذا الوجه ، وأما أهل البدع ، فيجب هجرهم ، والإنكار عليهم ، إذا ابتليتم بهم ؛ وتـأملوا : مصنفات الشيـخ ، وتأملوا كـلامه رحمه الله ، تجدوا فيه البيان ، والفرقان ؛ وحديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة ، وهي التي تمسكت بما كان عليه رسول الله ﷺ ، وأصحابه.

وأما : الافغانية ، الذين جاؤونا ، فبلغنا أنهم يرون رأي الخوارج ، معهم غلو ، وقد شدد النبي ﷺ في الغلو ، وأخبر

عن الخوارج ، أنهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، وأمر بقتلهم ؛ وسبب غلوهم : الجهل بما دل عليه الكتاب ، والسنة ، فأدّاهم جهلهم ، وقصورهم في الفهم ، إلى أن كفّروا أصحاب رسول الله ﷺ من السابقين الأولين.

فإذا كان قد جرى في عهد النبوة ، من يطعن على رسول الله ﷺ ويكفر أصحابه ، فلا يبعد أن يجيء في آخر هذه الأمة ، من يقول بقولهم ، ويرى رأيهم ؛ والذين هاجروا إلينا ، وبايعونا ، ما ندري عن حقيقة أمرهم ؛ وعلى كل حال : إذا عملتم بالتوحيد ، وأنكرتم الشرك والضلال ، وفارقتم البدع ، فلا يلزمكم هجرة عن الوطن والمال ، بل يجب عليكم الدعوة إلى الله ، وطلب أدلة التوحيد في كتاب الله ؛ وتأمل كلام الشيخ في مصنفاته ، فإنه رحمه الله : بيّن ، وحقّق ، والسلام.

وأجاب أيضاً:

وأما قول أهل التأويل للصفات : إن الله تعالى منزه عن الجهات ، فهذه شبهة ، أرادوا بها نفي علو الرب على خلقه ، واستوائه على عرشه ، وقد ذكر استواءه على عرشه ، في سبعة مواضع من كتابه ، قال الله تعالى : (وهو العلي العظيم) في آية الكرسي [البقرة : ٢٥٥] وغيرها من القرآن ؛ فأثبت لنفسه العلو بأنواعه الثلاثة ، علو القهر والقدرة ، وعلو الذات ؛ ومن نفى علو الذات ، فقد سلب الله تعالى وصفه ، وقد قال

تعالى : (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) [فاطر : ١٠] وقال : (بل رفعه الله إليه) [النساء : ١٥٨] وقال : (تعرج الملائكة والروح إليه) [المعارج : ٤] وحديث المعراج الذي تواترت به السنة ، يدل على علو الله على خلقه ، وأنه على عرشه فوق سماواته ، وهذا مذهب سلف الأمة ، وأئمتها ؛ ومن تبعهم من أهل السنة والجماعة : يثبتون لله ما أثبته لنفسه ، وما أثبته له رسوله ﷺ من صفات كماله ، ونعوت جلاله ، على ما يليق بجلال الله وعظمته ، إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، تعالى الله عما يقول المحرفون المنحرفون علواً كبيراً.

وقال أيضاً : على قول الشيخ ابن غنام رحمه الله ، في كتابه « العقد الثمين » وقوله : « وكتبه » أي : أنها منزلة من عنده، وأنها كلامه القديم ، قال:

اعلم أن مذهب أهل السنة والجماعة : أن الله تعالى يتكلم إذا شاء ؛ وقوله : وأنها كلامه القديم ، هذا قول الكرامية ؛ وأهل السنة لا يقولون هذا ، بل يقولون : إنها وحيه أوحاه إلى جبريل ، وسمع كلام الرب تعالى ، وبلغه رسله ، وكتب تعالى التوراة بيده ، كما صح ذلك على ما يليق بجلاله ، وهذا قول السلف ، وجميع ما وصف الله به نفسه ، ووصفه به رسوله ، يثبتون ذلك إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، فلا ينفون ما أثبته ، ولا يثبتون ما نفاه[1] ، والله أعلم.

---

(١) وتقدم في صفحة ٣٣٩ ، ٣٤٠ جـ ١ .

بسم الله الرحمن الرحيم

وسئل الشيخ : عبد الرحمن بن حسن ، رحمه الله تعالى عن قول الخطيب : الحمد لله الذي تحيرت العقول في مبدأ أنواره ، وتاهت الألباب في صمديته ، وكنه ذاته؟

فأجاب : هذه الألفاظ ، ابتدعها من تمسك بقول أهل الكلام الحادث المذموم ؛ فإنهم الذين تاهوا ، وتحيروا في الإيمان ، الذي دعت إليه الرسل ، ونزلت به الكتب ، وإلا فطريقة القرآن : حمد الله لنفسه بأسمائه وصفاته ، وما يعرف به ، ويوجب الإيمان به ، ومعرفته وإثبات ربوبيته ؛ وصفات كماله ، فهذا هو توحيد المعرفة والإثبات ، الذي هو توحيد المرسلين ؛ ودعوا به الأمم إلى توحيد الإرادة والقصد ، الذي هو توحيد الإلٓهية ؛ فإن الرب الذي أبدع لخلقه ما يشاهدونه ، من عظيم مخلوقاته ، وتعرف إليهم بذلك ، وبما دلهم عليه من كمال صفاته ، وتصرفه في مخلوقاته ، هو الرب الذي لا يستحق العبادة غيره.

فالرسل ، وأتباع الرسل : كمل الله إيمانهم بذلك العلم ، والعمل ؛ فقد قال تعالى : (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور) [الأنعام : ١] فحمد نفسه بما يوجب الإيمان به ، ومعرفته ، من عظيم

مخلوقاته ، واستدل بأدلة ربوبيته ، على ما يستلزمه من إلٓهيته ، فقال : (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) فأنكر الشرك في حق من هذا وصفه ، وإنكار الشرك ، يقتضي توحيد العبادة ، بأن لا يراد غيره ، ولا يقصد سواه ، فانتظم ذلك نوعي التوحيد.

وقال : (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ، قيماً) [الكهف : ١] فحمد نفسه ، على إنزال الكتاب ، الذي هو أعظم نعمة أنعمها على أهل الأرض ؛ وهو يقتضي الإيمان بالكتب ، والرسل ، وهو صراط الله المستقيم ، الذي لا تزيغ به الأهواء ؛ فهذا وأمثاله ، هو طريقة القرآن ؛ يحمد نفسه على ما يتعرف به إلى خلقه ، ليعرفوه بذلك الذي أبدعه ، وأوجده ، وأنعم به ، كقوله : (الحمد لله فاطر السموات والأرض) الآية [فاطر : ١] وأمثال هذا في القرآن.

وبتدبره ، والعلم به ، يحصل به كمال الإيمان ، وتنتفي الحيرة ، ويحصل كمال الهداية ، ويعصم القلوب ، أن تتيه في ربها ، وصفاته ؛ فكل ما وصف به نفسه ، فلا حيرة فيه عند أهل الإيمان ، الذين عرفوه بما تعرف به إليهم في كتابه ، واطمأنت قلوبهم بالإيمان به ، وجعلوه قصدهم ، ومرادهم.

وأما أهل الجدل من أهل الكلام ، فهم الذين تحيروا ، وتاهوا ، كما أخبر بذلك نفر من متقدميهم ، كما هو معروف لديكم بحمد الله.

كتب بعض تلامذة الشيخ : عبد الرحمن بن حسن له كتاباً ، وقال في آخره : إنه على ما يشاء قدير،

فقال الشيخ عبد الرحمن : هذه كلمة اشتهرت على الألسن من غير قصد ، وهو قول الكثير ، إذا سأل الله شيئاً ، قال : وهو القادر على ما يشاء ، وهذه الكلمة : يقصد بها أهل البدع شراً ، وكل ما في القرآن : (وهو على كل شيء قدير) وليس في القرآن ، والسنة ، ما يخالف ذلك أصلاً ، لأن القدرة شاملة كاملة ؛ وهي ، والعلم : صفتان ، شاملتان ، يتعلقان بالموجودات ، والمعدومات ؛ وإنما قصد أهل البدع ، بقولهم : وهو القادر على ما يشاء ؛ أي : القدرة لا تتعلق إلا بما تعلقت المشيئة به.

وكتب إليه أيضاً ، يهنيه بقدوم ابنه الشيخ : عبد اللطيف ، من مصر ، وتوسل إلى الله في دعائه ، بصفاته الكاملة ، التي لا يعلمها إلا هو.

فكتب إليه قال : وذكرت في وسيلة دعوتك ، جزاك الله أحسن الجزاء ، عن تلك الدعوات ، قلت : وأتوسل إليك بصفاتك الكاملة ، التي لا يعلمها إلا أنت ؛ فاعلم : أن الذي لا يعلمها إلا هو ، كيفية الصفة ؛ وأما الصفة ، فيعلمها أهل العلم بالله ، كما قال الإمام مالك : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، ففرق هذا الإمام ، بين ما يعلم منه معنى الصفة ، على ما يليق بالله ، فيقال : استواء لا يشبه استواء المخلوق ،

ومعناه ثابت لله ، كما وصف به نفسه ؛ وأما : الكيف ، فلا يعلمه إلا الله ؛ فتنبه لمثل هذا ، فالإمام مالك ، تكلم بلسان السلف.

قال الشيخ : عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين ، رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إلَه إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ تسليماً كثيراً.

أما بعد : فقد جرت مناظرة بيننا وبينكم ، في كلام الله تعالى ، هل هو مخلوق ، أم لا ؟ فذكرت أن اختياركم الوقف ، فلا تقولون مخلوق ، ولا غير مخلوق ؛ وزعمت : أن الخلاف في ذلك لفظي.

فأما قولكم : إن الخلاف في ذلك لفظي ، فليس الأمر كذلك ؛ وإنما يقال : الخلاف لفظي بين المعتزلة ، والأشاعرة ؛ لأن المعتزلة يقولون : كلام الله مخلوق ؛ والأشاعرة يقولون : ليس بمخلوق ؛ والكلام عندهم ، المعنى ؛ ويقولون : الحروف مخلوقة ؛ فقالت المعتزلة : لا خلاف بيننا وبينكم ، لأن الكلام هو الحروف ، فإذا أقررتم بأن الحروف مخلوقة ، ارتفع النزاع ، فيكون الخلاف بين الفريقين

لفظياً ، وأما مذهب أهل السنة ، والجماعة ، فهو مخالف للمذهبين ، خلافاً معنوياً ، لأنهم يقولون : كلام الله غير مخلوق ؛ والكلام عندهم : اسم للحروف ، والمعاني ؛ فتبين بذلك غلط من قال : إن الخلاف في ذلك لفظي.

ومذهب أهل التوحيد ، والسنة : أن الله يتكلم بحرف وصوت ؛ وأن القرآن كلام الله ، حروفه ومعانيه ؛ وأن موسى سمع كلام الله منه بلا واسطة ؛ والقرآن ، والسنة : يدلان على ذلك دلالة صريحة ، ولله الحمد والمنة ، قال الله تعالى : (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) إلى قوله : (وكلم الله موسى تكليما) ففرق بين الإيحاء المشترك ، وبين التكليم الخاص.

وقال تعالى : (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) [الأعراف : ١٤٣] وقال تعالى : (يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) [الأعراف : ١٤٤] وقال تعالى : (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي) [الكهف : ١٠٩] وقال تعالى : (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) [لقمان : ٢٧] وقال : (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً) [الأنعام : ١١٥] وقال تعالى : (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه) [البقرة : ٧٥] وقال تعالى : (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع

كلام الله) [التوبة : ٦] والآيات في ذلك كثيرة.

وأما السنة : فأكثر من أن تحصى ؛ منها : أمره ﷺ بالاستعاذة بكلمات الله ، في عدة أحاديث ، وقوله ﷺ : « ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه حجاب ، ولا ترجمان » فمن قال : إن الله لا يتكلم ، فقد رد على الله ، ورسوله ، وكفره ظاهر ؛ وقد ذكرتم : أن العرب يضيفون الفعل إلى غير الفاعل ، فهذا لا ينكر ، أعني وجود المجاز في لغة العرب.

وأما وقوع المجاز في القرآن ، ففيه خلاف بين الفقهاء ، حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية ، وذكر أن أكثر الأئمة ، لم يقولوا : إن في القرآن مجازاً ، ورد القول بوجود ذلك في القرآن ، واستدل بأدلة كثيرة ؛ وعلى تقدير جواز وجوده في القرآن ، فمن المعلوم : أنه لا يجوز صرف الكلام عن حقيقته ، حتى تجمع الأمة على أنه أريد به المجاز ، إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك ، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل أحد ، ما ثبت شيء من العبادات ، ولبطلت العقود كلها ، كالأنكحة ، والطلاق ، والأقارير ، وغيرها ، وجلّ الله أن يخاطب الأمة ، إلا بما تفهمه العرب ، من معهود مخاطباتها ، مما يصح معناه عند السامعين.

وأيضاً : فالكلام إذا قام الدليل على أن المتكلم به ، عالم ناصح مرشد ، قصده البيان ، والهدي والدلالة ، والإيضاح بكل طريق ، وحسم مواد اللبس ، ومواقع الخطأ ،

وأن هذا هو المعروف ، المألوف من خطابه ، وأنه اللائق بحكمته ، لم يشك السامع في أن مراده ، هو ما دل عليه ظاهر كلامه.

قال **شيخ الإسلام** ابن تيمية ، في أثناء كلام له ؛ ومعلوم باتفاق العقلاء : أن المخاطب المبين ، إذا تكلم بمجاز ، فلا بد أن يقرن بخطابه ، ما يدل على إرادة المعنى المجازي ، فإذا كان الرسول المبلغ المبين ، الذي بيّن للناس ما أنزل إليهم ، يعلم أن المراد بالكلام خلاف مفهومه ، أو مقتضاه ، كان عليه أن يقرن بخطابه ، ما يصرف القلوب ، عن فهم المعنى ، الذي لم يرده ، لا سيما إذا كان لا يجوز اعتقاده في الله ، فإنه عليه أن ينهاهم عن أن يعتقدوا فى الله ، ما لا يجوز اعتقاده ؛ وإذا كان ذلك مخوفاً عليهم ، ولو لم يخاطبهم بما يدل على ذلك ، فكيف إذا كان خطابه ، هو الذي يدلهم على ذلك الاعتقاد ، الذي تقول النفاة ، هو : اعتقاد باطل ــ إلى أن قال : ــ وهذا كلام بين لا مخلص لأحد عنه، انتهى.

وأيضاً : فالأدلة الدالة على أن الله يتكلم حقيقة ، أكثر من أن يمكن ذكرها ها هنا ، فإن الله سبحانه : فرق بين الإيحاء المشترك ، بين الأنبياء ، وبين التكليم الخاص لموسى ، فقال تعالى : (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) إلى قوله : (وكلم الله موسى تكليما) [النساء : ١٦٣ ــ ١٦٤] فلو لم يكن موسى عليه السلام ، سمع كلام الله منه بلا واسطة ، لم يكن له مزية على غيره من

الرسل ، ولم يكن في تخصيصه بالتكليم فائدة ، ولم يسم كليم الله ؛ وقد قال تعالى : (يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) [الأعراف : ١٤٤].

وأيضاً ، فقد قال الفراء : إن الكلام إذا أكد بالمصدر ، ارتفع المجاز ، وثبتت الحقيقة ؛ وقد أكد الفعل بالمصدر ، في قوله : (وكلم الله موسى تكليما) [النساء : ١٦٤] وقال تعالى : (وإذ نادى ربك موسى) [الشعراء : ١٠] وقال : (وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا) [مريم : ٥٢] وقال : (فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك) [طه : ١١ ، ١٢] وقال تعالى : (فلما أتاها نودي من شاطىء الواد الأيمن) الآية [القصص : ٣٠] ففي هذا ، ونحوه ، دلالة صريحة : أن الله كلم موسى ، وناداه بنفسه بلا واسطة ، وموسى سمع كلام الله ، ونداءه ، لأنه لا يجوز لغير الله أن يقول : إني أنا الله رب العالمين.

وقد ذكر الإمام أحمد ، رحمه الله في كتاب : الرد على الجهمية ، عن الزهري ، قال : لما سمع موسى كلام الله ، قال يا رب هذا الكلام الذي سمعته ، هو كلامك ؟ قال : نعم يا موسى ، هو كلامي ؛ وإنما كلمتك بقوة : عشرة آلاف لسان ؛ ولي قوة الألسن كلها ، وأنا أقوى من ذلك ، وإنما كلمتك بقدر ما يطيق بدنك ، ولو كلمتك بأكثر من ذلك لمتَّ ، فلما رجع موسى إلى قومه ، قالوا : صف لنا كلام ربك ؛ فقال : سبحان الله ، وهل أستطيع أن أصفه لكم ؟!

قالوا : فشبهه ؛ قال : هل سمعتم أصوات الصواعق ، التي تقبل في أحلى حلاوة سمعتموها ؟ فكأنه مثله ؛ وروى عبد الله بن أحمد ، في كتاب : السنة ، قال : حدثني محمد بن بكار ، قال : أخبرنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب ، قال : قال بنو إسرائيل لموسى ، بم شبهت صوت ربك ، حين كلمك من هذا الخلق ؟ قال : شبهت صوته ، بصوت الرعد حين لا يترجع.

وأيضاً : في الصحيحين عن عدي بن حاتم ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ، ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا شيئاً قدمه ، ثم ينظر أشأم منه ، فلا يرى إلا شيئاً قدمه ، ثم ينظر تلقاء وجهه ، فتستقبله النار ، فمن استطاع منكم أن يقي وجهه النار ، ولو بشق تمرة ، فليفعل » وروى جابر بن عبد الله ، قال لما قتل عبد الله بن عمرو بن حرام ، قال رسول الله ﷺ : « يا جابر ألا أخبرك ما قال الله لأبيك ؟ » قال بلى ؛ قال : « وما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب ، وكلم أباك كفاحاً ، قال يا عبد الله : تمن عليّ أعطك ، قال يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية ، قال : إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون ، قال : فأبلغ من ورائي ، فأنزل الله عز وجل : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) [آل عمران : ١٦٩] رواه ابن ماجه وغيره ؛ ففي هذين الحديثين : ما يبطل دعوى مدعي المجاز ، ويدحض

حجته ، ويرغم أنفه.

وقال النبي ﷺ : « ما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه » يعني : القرآن ؛ وقال : خباب بن الأرت ، يا هنتاه تقرب إلى الله بما استطعت ، فلن تتقرب إليه بشيء ، أحب إليه ما خرج منه ؛ وقال أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه ، لما قرأ عليه قرآن مسيلمة الكذاب ، فقال : إن هذا كلام لم يخرج من إلٍّ ، يعني : رب ؛ فوضح بما ذكرناه : أن الله يتكلم حقيقة ، وأن من ادعى المجاز بعد هذا البيان ، فقد شاق الله ورسوله ، (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى ونصله جهنم وساءت مصيرا) [النساء : ١١٥].

فصل:

وقد ذكرتم ، ما استدل به بعض المعتزلة ، على أن كلام الله مخلوق ، وهو قوله تعالى : (هو الأول والآخر) [الحديد : ٣] ولا يشك من له عقل : أن من دل الخلق على أن كلام الله مخلوق ، بقوله : (هو الأول والآخر) لقد أبعد النجعة ؛ وهو : إما ملغز ، وإما مدلس ، لم يخاطبهم بلسان عربي مبين ، وقد قال تعالى : (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) [آل عمران : ٧] وقال النبي ﷺ : « وإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه ، فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » مع أنه ليس في هذه الآية شبهة لمن احتج بها ، فلله الحمد والمنة ؛ ولا يشبه بها على رعاع الناس ، إلا من أزاغ الله قلبه ، نسأل الله العافية.

وقلتم : الحروف يلزمها التعاقب ، ويتقدم بعضها بعضاً ، فيلزم أن تكون مخلوقة ؛ قلنا : إنما يلزم التعاقب ، في حق من يتكلم من المخارج ؛ والله سبحانه وتعالى غير موصوف بذلك.

وأيضاً : فواجب على كل مكلف ، التسليم لما جاء في الكتاب ، والسنة ، ولا يعارض بزخارف المبطلين ، وهذيان الملحدين ، قال تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ [النساء : ٦٥] ، فمن الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التسليم.

فصل:

وقلتم : إن القول بأن القرآن غير مخلوق ، لم يقله السلف ، وإن عدم القول بذلك ، هو الصواب ؛ وأنه هو اعتقادكم ، فلا تقولون مخلوقاً ، ولا غير مخلوق ؛ فأما قولكم : إن هذا القول لم يقله السلف ؛ فلا ندري ، من يعني بالسلف عندكم ؟ فإن كان يعني بالسلف عندكم : جعد ، وجهم ، وابن أبي دؤاد ، وأتباعهم ، كأبي علي الجبائي ، وأبي هاشم ، وأتباعهم ، من الجهمية ، والمعتزلة ، فصدقتم بأن هؤلاء ، لم يقولوا هذه المقالة ، وإنما قالوا : القرآن مخلوق ، وبُعْداً لمن كان هؤلاء سلفه ، واستبدل سبيلهم بسبيل النبي ﷺ ، وصحابته.

وما عوض لنا منهاج جهم   بمنهاج ابن آمنة الأمين

وإن كان يعني بالسلف عندكم : الصحابة ، والتابعون ، وأئمة الإسلام ، الذين لهم لسان صدق في الأمة ، الذين رفع الله قدرهم ، وأعلى منزلتهم ، الذين هم سلف الأمة حقا فأخطأتم في نسبة عدم القول بذلك إليهم ؛ فإنهم كلهم مجمعون ، على أن القرآن كلام الله غير مخلوق ؛ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، في القرآن : ليس بخالق ، ولا مخلوق ؛ ولكنه : كلام الله ، منه بدا وإليه يعود ، ذكر هذا الكلام عن علي ، الشيخ : الحافظ ، عبد الغني المقدسي ؛ وذكر أيضاً : عن عبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، أنهما قالا : القرآن كلام الله ، منه بدا وإليه يعود.

فقولهم رضي الله عنهم : منه بدا ، أي : هو المتكلم به ، وهو الذي أنزله من لدنه ؛ ليس هو كما تقوله الجهمية : أنه خلق في الهواء ، أو غيره ، أو بدا من غير الله ؛ وأما : إليه يعود ، فإنه يسرى به في آخر الزمان ، من المصاحف ، والصدور ، فلا يبقى منه كلمة ، ولا في المصاحف منه حرف.

وقال سفيان بن عيينة : سمعت عمرو بن دينار ، يقول : أدركت مشايخنا ، والناس ، منذ سبعين سنة ، يقولون : القرآن كلام الله ، غير مخلوق ، منه بدا ، وإليه يعود ، رواه محمد بن جرير ، وهبة الله بن الحسن ، الطبريان في كتاب السنة لهما ، وقد أدرك عمرو بن دينار : أبا هريرة ، وابن عباس ، وابن عمر ، وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ ، فهذا يدل على

شهرة القول بذلك ، في زمن الصحابة رضي الله عنهم ، الذين أدركهم عمرو بن دينار ، على شهرته عند التابعين ، وأنهم كلهم على ذلك.

وقال البخاري : حدثنا سفيان ابن عيينة ، قال : أدركت مشيختنا ، منذ سبعين سنة ، منهم عمرو بن دينار ، يقولون : القرآن كلام الله ، غير مخلوق ؛ فعمرو بن دينار حكاه عن مشيخته والناس، وسفيان حكاه أيضاً : عن مشيخته ؛ فهذا صريح في الدلالة على اشتهار هذا القول ، في القرون التي أثنى عليها رسول الله ﷺ وكلام أئمة الإسلام في ذلك ، أكثر من أن يمكن ذكره هنا ؛ كأبي حنيفة ، ومالك ، والأوزاعي ، والليث ، والثوري ، والشافعي ، وابن المبارك ، وأحمد ، وإسحاق ، وأبي عبيد ، والبخاري ؛ وغيرهم من أئمة الحديث ، وكلهم على ذلك مجمعون ، ولكتاب ربهم ، وسنة نبيهم متبعون ، وحكى غير واحد الإجماع على ذلك.

قال الإمام أبو محمد ، عبد الرحمن بن أبي حاتم ، سألت أبي ، وأبا زرعة ، عن مذاهب أهل السنة ، في أصول الدين ، وما أدركا عليه العلماء ، في جميع الأمصار ، حجازاً ، وعراقاً ، ومصراً ، وشاماً ، ويمناً ، فكان في مذاهبهم : أن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، والقرآن كلام الله ، غير مخلوق بجميع جهاته ، والقدر خيره وشره من الله ، وأن الله تعالى على عرشه ، بائن من خلقه ، كما وصف نفسه في كتابه ، وعلى لسان رسوله ، بلا كيف (أحاط بكل شيء علماً)

[الطلاق : ١٢] (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) [الشورى : ١١].

وقد ذكرتم : أن بعض السلف ، قال بخلق القرآن ، كابن المديني ؛ فلا شك أن ابن المديني ، وابن معين ، وغيرهما من أئمة الحديث ، أجابوا في المحنة كرهاً ، واعتذروا بالإكراه ، لما عاب عليهم الأئمة ، وهجرهم الإمام أحمد ، ولم يعذرهم ، واحتج عليه ابن معين بعمار رضي الله عنه ، حين أكرهه أهل مكة ، على كلام الكفر ؛ ورد عليه أحمد ، بأن قال : إن عماراً ضرب ، وأنتم قيل لكم نريد أن نضربكم ؛ ومن المعلوم : أنه لم يثبت في المحنة إلا القليل ، والأكثرون : أجابوا مكرهين ؛ ومن نسب القول بذلك إلى ابن المديني ، أو غيره من أهل الحديث ، بعد تصريحهم بأنهم إنما أجابوا كرهاً ، فقد قال ما لا يعلم ، ونسب إليهم ما هم براء منه.

وذكرتم : أن ابن علية ، قال بذلك ، فهذا لا ينكر ؛ وابن علية معروف عند أهل السنة بالبدعة ؛ وكلام الأئمة في ذمه كثير ؛ والبخاري وإن روى عنه ، فهو عنده من أهل البدع ؛ وقد روى البخاري : عن غيره من أهل البدع ، لأن الرجل إذا عرف منه الصدق والإتقان لما روى ، جازت الرواية عنه ، ولا يخرجه ذلك عن كونه مبتدعاً ؛ قال البيهقي في مناقبه ، ذكر الشافعي إبراهيم ابن علية ، فقال : أنا مخالف له في كل شيء ، وفي قول : لا إله إلا الله ، لست أقول كما

يقول ، أنا أقول : لا إلّه إلا الله ، الذي كلم موسى من وراء حجاب ؛ وذلك يقول : لا إلّه إلا الله الذي خلق كلاماً ، أسمعه موسى من وراء حجاب.

وأما قولكم : إن الصواب في هذه المسألة ، الوقف ، وإنه هو اعتقادكم ، لا تقولون مخلوق ، ولا غير مخلوق ؛ فمضمون هذه المقالة : أن الله يحب منا أن نقف موقف الحيارى الشاكين ، ونبقى في الجهل البسيط ، لا نعرف الحق من الباطل ، ولا الهدى من الضلال ، مذبذبين بين ذلك ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، وأن الله يحب عدم العلم بما جاء به الرسول ﷺ ، ويحب منا الحيرة والشك ؛ ومن المعلوم : أن الله لا يحب الجهل ، ولا الشك ، ولا الحيرة ، ولا الضلال ؛ وإنما يحب الدين ، والعلم ، واليقين ؛ وقد ذم الله الحيرة ، بقوله تعالى : (قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران) [الأنعام : ٧١].

ومن المعلوم : أنه لا بد أن يكون كلام الله في نفس الأمر ، مخلوقاً ، أو غير مخلوق ، لا غير ؛ وأن النبي ﷺ كان يعتقد أحد الأمرين ، لا غير ؛ وإذا كان الأمر كذلك ، فلا بد : أن يكون الرسول ﷺ قد دل أمته على ما يعتقدونه من ذلك ، قال ﷺ : « تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك » وقال فيما صح عنه أيضاً : « ما بعث الله من نبي ، إلا كان حقاً عليه ، أن يدل أمته على خير ما يعلمه

لهم ، وينهاهم عن شر مايعلمه لهم » وقال أبو ذر رضي الله عنه : لقد توفي رسول الله ﷺ ، وما طائر يقلب جناحيه في السماء ، إلا ذكر لنا منه علماً ؛ محال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين ـ وإن دقت ـ أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ، ويعتقدونه بقلوبهم ، في ربهم ومعبودهم ، الذي معرفته غاية المعارف ، وعبادته أشرف المقاصد ، والوصول إليه غاية المطالب ، فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مسكة من إيمان وحكمة ، أن لا يكون بيان هذا الباب ، قد وقع من الرسول ﷺ على غاية التمام ؟!

وقد أخبر ﷺ بأن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، فقد علم ما سيكون ، ثم قال : « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا ، كتاب الله » فالرب سبحانه وتعالى ، عالم بما سيقع من التنازع ، فقال : (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) [النساء : ٥٩] ومن المحال أن يأمرهم برد ما تنازعوا فيه ، إلى ما لا يفصل النزاع ، ويبين الحق من الباطل .

وقد أمرنا الله سبحانه ، أن نقول : (اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) [الفاتحة : ٦ ، ٧] وفي صحيح مسلم : أن النبي ﷺ كان يقول ، إذا قام من الليل يصلي « اللهم رب جبرائيل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه

يختلفـون ، اهدني لمـا اختلف فيه من الحق بـإذنك ، إنـك تهدي من تشاء إلى صـراط مستقيم » فهو : يسـأل ربه ، أن يهديه لما اختلف فيه من الحق ، فكيف يكون محبوب الله ، عدم الهدى في مسائل الخلاف ؟! وقد قال الله له : (وقل رب زدني علماً) [طه : ١١٤].

وأيضاً : فالشك ، والحيرة ، ليست محمودة في نفسها ، باتفاق المسلمين ، غاية ما في الباب : أن من لم يكن عنده علم بـالنفي ، ولا الإثبـات ، يسكت ؛ فـأمـا من علم الحق بدليله ، الموافق لبيـان رسول الله ﷺ ، فليس للواقف الشـاك الحـائر ، أن ينكـر على هذا العـالم ، المتبع للرسـول ﷺ ، العالم بالمنقول ، والمعقول ؛ قال الإمام أحمد رحمه الله : من لم يقل القرآن كلام الله ، غير مخلوق ، فهو يقول مخلوقاً.

والأمر كما قال رحمه الله ، فـإنا نجـد بعض من يقول بالوقف ، يعيب على من ينفي الخلق عن كلام الله ، ويحتج عليه بحجج القائلين بالخلق ، كمـا أوردتم شيئاً من ذلـك ، وعبتم على الإمـام أحمد رحمـه الله ، في كـلامـه في هـذه المسألة ؛ قلتم : إن أحمد جعل هذه المسألة عديلة التوحيد ؛ قلتم ذلك : اتباعاً لمن استوفى نصيبـه من الحمق والجهل ، صاحب الكتاب ، المسمى : بـ « العلم الشامخ » وقد عاب في كتابه ذلك على الإمام أحمـد ، ونسبه إلى التعصب ؛ وطعن أيضـاً : على غيره من أئمـة الحديث ، وأهـل السنة ؛ ولقـد أحسن القائل:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني فاضل

فلو أن هذا المسكين ، أمسك لسانه عن تنقص أئمة الإسلام ، لكان أستر له ، وهو لم يضر إلا نفسه ، لا يضرهم كلامه كما قيل:

وهل حط قدر البدر عند طلوعه كلاب إذا ما أنكرته فهرت
وما أن يضر البحر إن قام أحمق على شطه يرمي إليه بصخرة

والذي ينبغي لهذا وأمثاله ، إذا هجمت بهم ذنوبهم ، عن استبانة الحق ، أن يمسكوا ألسنتهم عن عيب أهل السنة ، والطعن عليهم ، ويلجؤوا إلى الله في سؤال الهداية ؛ نسأل الله أن يهدينا ، وإخواننا المسلمين الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم ، غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين.

فصل:

وقد ذكرتم قول الجهمية ، إن موسى لم يسمع كلام الله منه ، إنما سمعه من غيره ، من الشجرة ، أو غيرها ، لأن الكلام لا يكون إلا من جوف ، وفم ولسان ، وشفتين.

فأما قولكم : إن موسى لم يسمع كلام الله منه حقيقة ، وإنما سمعه من غيره ؛ فهذا ظاهر البطلان ؛ لأنه لا يجوز لغير الله أن يقول : (يا موسى إني أنا الله رب العالمين) [القصص : ٣٠] (يا موسى ، إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى ، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ،

إنني أنا الله لا إلّه إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري) [طه : ١١ ــ ١٤] فمن زعم ذلــك ، فقــد زعم أن غيــرالله ادعى الربوبية ، والإلّهية ؛ ولـو كان كمـا زعم القائـل ، المخاطب لموسى غير الله ، كان يقول ذلك المخاطب : يا موسى إن الله رب العالمين ، يا موسى الله ربك ؛ لا يجوز له أن يقـول : (إني أنا الله رب العالمين) (إني أنا ربك) وهذا مما احتج به الإمام أحمد على الجهمية ؛ فيا له من بيان ما أوضحه ، وحجة ما أقطعها للمنازع.

وأما قولكم : إن الكلام لا يكون إلا من جوف ، وفم ، ولسـان ، وشفتين ؛ فهـذا : بـاطـل ؛ لأن الله تعـالى ، قـال للسماوات والأرض : (ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينـا طائعين) [فصلت : ١١] أتـراهـا قـالت : بفم ، ولسـان ، وشفتين ؛ والجوارح : إذا شهدت على الكافر ، قالوا : (لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) [فصلت : ٢١] أتراها نطقت بلسان ، وأدوات ، قال : (وتكلمنا أيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون) [يس : ٦٥] أتراها : تكلمت بجوف ، وفم ، ولسان ، وشفتين ؟! ولكن الله أنطقها كيف شاء ، فكـذلك : تكلم الله كيف شاء ، من غير أن نقول بجوف ، ولا فم ، ولا لسان . ولا شفتين.

وقال النبي ﷺ : « إني لأعرف حجراً كان يسلم علي » وسبــح الحصــى في كف رســول الله ﷺ ، وكف أبي بكـر ،

وعمر ، وعثمان ؛ وقال ابن مسعود : كنا نسمع تسبيح الطعام ، وهو يؤكل ؛ وجاء : إن في آخر الزمان يكلم الرجل سوطه ، ونحو ذلك كثير ؛ ولا خلاف في أن الله قادر على أن ينطق الحجر الأصم ، من غير مخارج ، فبطل ما ادعوه ، من أن الحروف لا تكون إلا من مخارج.

ومن الدليل : على اتصاف الله بالكلام حقيقة ، قوله تعالى : (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) [الأعراف : ١٤٨] نبه بهذا الدليل ، على أن من لا يكلم ، ولا يهدي ، لا يصلح أن يكون إلّهاً ، وكذلك قوله تعالى ، في الآية الأخرى ، عن العجل : (أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً) [طه : ٨٩] فجعل امتناع صفة الكلام ، والتكلم ، وعدم ملك الضر ، والنفع ، دليلاً على عدم الإلّهية ؛ وهذا دليل عقلي سمعي ، على أن الإلّه لا بد أن يكلم ، ويتكلم ، ويملك لعابده النفع والضر ؛ وإلا لم يكن إلّهاً.

ومما استدل به أحمد ، وغيره من الأئمة ، على أن كلام الله غير مخلوق ، قوله تعالى : (ألا له الخلق والأمر) [الأعراف : ٥٤] قالوا ، فلما قال : (ألا له الخلق) لم يبق شيء مخلوق ، إلا كان داخلاً في ذلك ، ثم ذكر ما ليس بمخلوق ، فقال : (والأمر) وأمره ، هو :قوله تبارك وتعالى ؛

فلا يكون خلقاً ، واستدل الإمام أحمد على الجهمية ، لما قالوا إن كلام الله مخلوق ، فقال : وكذلك بنو آدم ، كلامهم مخلوق ؛ فشبهتم الله بخلقه ، حين زعمتم أن كلامه مخلوق ؛ ففي مذهبكم : أن الله قد كان في وقت من الأوقات لا يتكلم ، حتى خلق التكلم ، فتكلم ، وكذلك بنو آدم ، كانوا لا يتكلمون حتى خلق لهم كلاماً ، فجمعتم بين كفر وتشبيه ، فتعالى الله عن هذه الصفة.

ومما يبين : أن السلف ، كانوا يعتقدون : أن كلام الله غير مخلوق ، أنهم أوجبوا الكفارة ، على من حلف بالقرآن إذا حنث في يمينه ؛ قال بعض الصحابة : عليه بكل آية كفارة ؛ سمع ابن مسعود رجلاً يحلف بالقرآن ، فقال : أتراه مكفراً ؟ إن عليه بكل آية كفارة ؛ وقد أجمعوا : على أنه لا يجوز الحلف بالمخلوق ، ولا تنعقد به اليمين ، فلو كان القرآن مخلوقاً عندهم ، لم يجز الحلف به ، ولم يوجبوا على الحالف به إذا حنث كفارة ، لأنه حلف بشيء مخلوق.

وأيضاً : من زعم أن القرآن مخلوق ، فقد زعم أن اسم الله في القرآن مخلوق ؛ فيلزمه : أن من حلف بالله الذي لا إله إلا هو ، لا يحنث ، لأنه حلف بشيء مخلوق ؛ قال الإمام أحمد ، في كتاب « الرد على الجهمية » وزعمت : أن اسم الله في القرآن ، إنما هو اسم مخلوق ، فقلنا قبل أن يخلق هذا الإسم ، ما كان اسمه ؟ قالوا لم يكن له اسم ، فقلنا : قبل أن

يخلق العلم ، أكان جاهلاً لا يعلم ، حتى خلق لنفسه علماً ؟ وكان لا نور له حتى خلق لنفسه نوراً ؟ وكان لا قدرة له حتى خلق لنفسه قدرة ؟ فعلم الخبيث : أن الله قد فضحه ، وأبدى عورته للناس ، حين زعم : أن « الله » سبحانه في القرآن ، إنما هو اسم مخلوق.

فقلنا للجهمي : لو أن رجلاً حلف ، بالله الذي لا إله إلا هو كاذباً ، لا يحنث ، لأنه حلف بشيء مخلوق ، ولم يحلف بالخالق ، ففضحه الله في هذه ؛ وقلنا للجهمي : أليس النبي ﷺ ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، والخلفاء من بعدهم ، والقضاة ، والحكام ، إنما كانوا يحلفون الناس بالله الذي لا إله إلا هو؟ وكانوا مخطئين في مذهبكم ؛ إنما كان ينبغي للنبي ﷺ ولمن بعده في مذهبكم : أن يحلفوا بالذي اسمه الله ؛ وإذا أرادوا ، أن يقولوا : لا إله إلاالله ، قالوا : لا إله إلا الذي خلق الله ، وإلا لم يصح توحيدهم ؛ ففضحه الله لما ادعى على الله الكذب.

وأيضاً : فقد ثبت عن النبي ﷺ الإستعاذة بكلمات الله ، وأرشد الأمة إلى ذلك ، فقال فيما ثبت في صحيح مسلم ، عن خولة بنت حكيم : « من نزل منزلاً ، فقال أعوذ بكلمات الله التامات ، من شر ما خلق ، لم يضره شيء ، حتى يرحل من منزله ذلك » ففي هذا دليل صريح ، على أن كلام الله غير مخلوق ، لأن الإستعاذة بالمخلوق شرك ، والنبي ﷺ أبعد عن الشرك.

فصل :

وقد ذكرنا فيما تقدم ، أن مذهب أهـل السنة : أن الله يتكلم بحرف وصوت ، فيصفون الله تعالى بالصوت ، والصوت هو ما يتأتى سماعه ، والقرآن ، والسنة : يدلان على أن الله يتكلم بصوت ، قال الله تعالى : (فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن) الآية [القصص : ٣٠] وقـال تعالى : (فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها) إلى قوله : (يا موسى إنه أنا الله العزيـز الحكيم) [النمل : ٨ ، ٩] وقـال تعالى : (فلما أتاها نودي يا موسى ، إني أنا ربك) [طه : ١١ ، ١٢] وقال تعالى : (وإذ نادى ربك موسى) [الشعراء : ١٠] وقال تعالى : (وناديناه من جانب الطور الأيمن وقـربناه نجيا) [مريم : ٥٢] والنداء لا يكون إلا بصوت.

فـدل على أنه كلمـه بصـوت ، ومـوسى لم يسمـع إلا الحرف والصوت ؛ هذا مما يعلم بالاضطرار ، وقـال تعالى : (ويـوم يناديهم ، فيقـول أين شركـائي الذين كنتم تـزعمون) [القصص : ٦٢] (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) [القصص : ٦٥] وقال : (وناداهمـا ربهما ألم أنهكمـا عن تلكمـا الشجرة) الآيـة [الأعراف : ٢٢] والآيـات في ذلـك كثيرة.

وأمـا السنة : ففي الصحيحين عن أبي سعيـد الخدري

رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « يقول الله تعالى يوم القيامة ، يا آدم : فيقول لبيك وسعديك ، فينادي بصوت ، إن الله يأمرك أن تبعث بعثاً إلى النار » الحديث. وروى عبد الله بن أنيس ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يحشر الله الناس يوم القيامة ــ وأشار بيده إلى الشام ــ عراة، غرلاً ، بهما » قال : قلت ، ما بهما ؟ قال : « ليس معهم شيء ، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد ، كما يسمعه من قرب ، أنا الملك ، أنا الديان ، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة ، أن يدخل الجنة ، وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة؛ ولا ينبغي لأحد ، من أهل النار ، أن يدخل النار ، وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة ، حتى أقصه منه » قالوا : وكيف؟ وإنما نأتي الله عراة غرلاً ؟ قال : « بالحسنات ، والسيئات » رواه أحمد ، وجماعة من الأئمة.

وقال عبد الله بن أحمد ، سألت أبي ، فقلت : إن الجهمية يزعمون ، أن الله لا يتكلم بصوت ، فقال : كذبوا ، إنما يدورون على التعطيل ، ثم قال : حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، حدثنا سليمان بن مهران الأعمش ، قال حدثنا أبو الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، قال : إذا تكلم الله بالوحي ، سمع صوته أهل السماء ، فيخرون سجداً ، حتى إذا فزِّع عن قلوبهم ــ قال سكن عن قلوبهم ــ نادى أهلُ السماء أهل السماء ، ماذا قال ربكم؟ قالوا : الحق ، قال : كذا ، وكذا ؛ ذكره عبد الله في كتاب السنة ، بهذا الإسناد ؛

ورواه أبو بكر الخلال ؛ وروى ابن أبي حاتم، في الرد على الجهمية ، قال : أخبرنا أبو زرعة ، أخبرنا عثمان ابن أبي شيبة ، أخبرنا جرير ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد الله ابن الحارث ، عن ابن عباس ، قال : إن الله تبارك وتعالى ، إذا تكلم بالوحي ، سمع أهل السماوات له صوتاً ، كصوت الحديد ، إذا وقع على الصفا ، فيخرون له سجداً ، فإذا فزّع عن قلوبهم ، قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق وهو العلي الكبير.

وقد قدمنا : ما حكاه الإمام أحمد عن الزهري ، قال لما سمع موسى كلام الله ، قال يا رب : هذا الكلام الذي سمعته ، هو كلامك ؟ قال : يا موسى ، هو كلامي ـ إلى أن قال ـ فلما رجع موسى إلى قومه ، قالوا : صف لنا كلام ربك ؛ قال : سبحان الله ! وهل : أستطيع أن أصفه لكم ؟ قالوا : فشبهه ؛ قال : هل سمعتم أصوات الصواعق ، التي تقبل في أحلى حلاوة سمعتموها ؟ فكأنه مثله.

وتقدم أيضاً : ما رواه عبد الله بن أحمد ، عن محمد بن كعب ، قال : قال بنو إسرائيل لموسى ، بم شبهت صوت ربك ، حين كلمك ، من هذا الخلق ؟ قال : شبهت صوته ، بصوت الرعد ، حين لا يترجع ؛ وفيما ذكرناه كفاية لمن أراد الله هدايته ، ومن يضلل الله ، فلن تجد له ولياً مرشداً.

وذكر أبو الفرج : عبد الرحمن بن الفقيه ، نجم الدين

الحنبلي ، قال : كنت يوماً عند القاضي ، فتناظروا في مسألة القرآن ، وعندنا « طرحان » الضرير ، فقال لنا : اسمعوا مني حكاية ؛ قلنا : هات ؛ قال : تناظر أشعري ، وحنبلي ، فقال الأشعري للحنبلي : أخبرني إذا أوقفك الله غداً بين يديه ، فقال لك : من أين قلت إن كلامي بحرف وصوت ؟ فماذا يكون في جوابك ؟ فقال الحنبلي ، أقول : يا رب هوذا أنا أسمع كلامك ، بحرف وصوت ؛ قال : ثم سكت فلم يرد هذا شيئاً ، فبهت القاضي ، ولم يدر ما يقول ، وانقطع الكلام على هذا .

واحتج من ينفي الصوت ، بأن قال : الصوت إنما هو أنين جُرمين ، والله سبحانه متقدس عن ذلك .

والجواب ، أن يقال : فهذا قياس منكم على خلقه ، وتشبيه له بعباده ، والله تعالى لا يقاس على مخلوقاته ، ولا يشبه بمصنوعاته (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) [الشورى : ١١] وأيضاً : فإنه يلزمهم سائر الصفات ، التي أثبتوها ، فإن العلم في حقنا ، لا يكون إلا من قلب ، والنظر لا يكون إلا من حدقة ؛ والسمع لا يكون إلا من انخراق ؛ والحياة لا تكون إلا في جسم ؛ والله سبحانه وتعالى : يوصف بهذه الصفات ، من غير أن يوصف بهذه الأدوات ؛ فكذلك الصوت ، وإلا فما الفرق .

واتفق سلف الأمة ، وأئمتها : على أن القرآن الذي يقرأه

المسلمون ، كلام الله تعالى ، فالصوت المسموع صوت القارىء ، والكلام كلام الباري ، فهم يميزون ما قام بالعبد، وما قام بالرب تبارك وتعالى ؛ ولم يقل أحد منهم : إن أصوات العباد ، ولا مداد المصاحف قديم ، مع اتفاقهم : أن المثبت بين لَوْحَي المصحف ، كلام الله ، وقد قال النبي ﷺ : « زينوا القرآن بأصواتكم » فالكلام الذي يقرأه المسلمون كلام الله ، والأصوات التي يقرؤون بها ، أصواتهم ، فالكلام شيء ، والصوت شيء آخر ، هذا مما لا يخفى على من لم يرسخ التعطيل في قلبه.

ثم ليعلم : أن معتقدنا في إثبات الصفات ، على الكتاب ، والسنة ، فمهما جاء فيها ، فهو الحق والصدق ، لا يجوز التعريج على ما سواه ، ولا الإلتفات إلى هذيان يخالفه ، فإن الله تعالى : أمرنا بالأخذ بكتابه ، والاقتداء برسوله ، وأخبر عن رسوله أنه قال : (إن أتبع إلا ما يوحى إلي) [يونس : ١٥] وقال : (واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) [الزمر : ٥٥] وقال سبحانه وتعالى : (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي) إلى قوله : (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) [الأعراف : ١٥٧] وقال : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) [النور : ٦٣].

وها نحن قد بينا : أن قولنا في الكتاب ، والسنة ، وإجماع الأمة ، فهاتوا أن في الكتاب ، أو السنة ، أو قول

صحابي ، أو إمام مرضي ، أن الله لم يتكلم ، أو أنه يتكلم مجازاً ، أو أن كلامه مخلوق ، أو أنه لا يتكلم بحرف وصوت ، ولن تجدوا إلى ذلك سبيلاً ، فرحم الله من عقل عن الله ، ورجع عن المعقول الذي يخالف الكتاب والسنة ، وقال بقول أهل السنة ، وترك دين جهم ، وشيعته ، جعلنا الله سبحانه ممن هدى إلى صراطه المستقيم ، ووفقنا لاتباع رضى رب العالمين ، والاقتداء بنبيه محمد ﷺ خاتم النبيين ، والسلف الصالحين ، والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وسئل الشيخ : **عبد الله أبا بطين** ، قدس الله روحه ، عن قول بعض شراح عقيدة الشيباني ، على قول الناظم:

وخصص موسى ربنا بكلامه　　على الطور ناداه وأسمعه الندا

قال الشارح : خص الله موسى ، بتكليمه على الطور ، وأسمعه نداءه ، إذ لم تكن لموسى جهة يسمع منها الكلام ، ولا يرى منها النار ، أو سمع في الوادي المقدس ، كلاماً بلا حرف ولا صوت ، وناراً لا في جهة محدودة ، وإنما يعرف ذلك أهله ؛ وأما غير أهله ، فلا يدري كيف ذلك.

وقال على قول الناظم ، ومنه بدا ، قولاً قديماً ، وإنه . . . الخ . أي : وهو منه ، أي : من الرحمن بدا ، قولاً ، أي : قاله في القدم ، حيث لا أكوان ولا أزمان ، ويعود إليه كما بدأ منه ، وهذه الحروف ، والأصوات ، التي تعبر عن

القرآن ، ليس هي القرآن ، لأن القرآن صفة الحق ، والصفة لا تنفصل عن موصوفها ، والحروف ، والأصوات تتصل ، وتنفصل ، فهي صفات ، لا صفاته ، لأنه بائن ، أي : منفرد عن خلقه بذاته ، وصفاته ، وبذلك : اغتر من اغتر.

فأجاب : ما ذكره هذا الشارح ، بناء على أصلين فاسدين ، للأشعرية ، أحدهما : إنكار علو الرب سبحانه فوق سماواته ، واستوائه على عرشه ؛ والثاني : إنكارهم تكلم الرب سبحانه وتعالى ، بالحرف ، والصوت ؛ والكلام عندهم ، هو المعنى النفسي ، القائم بذات الرب سبحانه وتعالى ؛ فلما رأى الشارح كلام المفسرين ، وقولهم : إن النار التي رأى موسى ، هي نور الرب تعالى ، وأن القرآن : يدل على أن ذلك النور في مكان ، قالوا : يلزم من كون نور الرب في مكان ، جواز كون الله سبحانه في مكان ، فيلزم : إثبات علوه سبحانه فوق السماء ، واستوائه على العرش ، فقال : لم يكن لموسى جهة يسمع منها ، ولا يرى منها النار ، وسمع كلاماً بلا حرف ، ولا صوت وناراً ، لا في جهة محدودة.

قلت : القرآن صريح في أن موسى عليه السلام ، رأى ناراً في موضع معين ، قال تعالى : (فلما جاءها نودي) [النمل : ٨] وقال تعالى : (فلما أتاها نودي) [طه : ١١] فدل قوله : (أتاها) و (جاءها) أنها في موضع مخصوص ، قال تعالى : (وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا) [مريم : ٥٢] وقال تعالى : (فلما أتاها نودي من شاطىء

الـواد الأيمن في البقعة المبـاركة من الشجـرة) [القصص : ٣٠].

قال شيخ الإسلام : تقي الدين رحمه الله ، وقوله : (من الشجرة) هو بدل من قوله : (شاطىء الواد الأيمن) فالشجرة كانت فيه ، فالنداء كان من الجانب الأيمن من الطور ، ومن الوادي ، فإن شاطىء الوادي : جانبه ؛ فذكر : أن النداء كان من موضع معين ، وهو الوادي المقـدس طوى ، من شـاطئه الأيمن ، من جانب الطور الأيمن ، من الشجرة ، انتهى.

فالآيات : تدل على أن النور كان في موضع معين ، وأن النـداء كان من مـوضع معين ، قـال ابن عباس ، في قـولـه تعالى : (فلما جاءها نودي أن بورك من في النار) قال : الله تعالى ، في النور ، ونودي من النور ؛ وروى عطية ، عن ابن عباس : (فلما جاءها نودي أن بورك من في النار) [النمل : ٨) يعني : نفسه ، قال : كان نور رب العالمين في الشجرة ، ومن حولها ، وقال عكرمة : (أن بورك من في النار) قال : كان الله في نوره ، وقال سعيد بن جبير : (أن بورك من في النار) قال : ناداه وهو في النور ؛ وقال ابن ضمرة : (أن بورك من في النار) قال : إنها لم تكن ناراً ، ولكنه كان نور الله ، وهو الذي كان في ذلك النور ، وإنما كان ذلك النـور منه ، وموسى حوله ، وقال ابن عباس ، في قوله :(ومن حولها) قال الملائكة ، وروي عن عكرمة ، والحسن ، وسعيـد بن جبير ، وقتادة : مثل ذلك.

وقول الشارح : وإنما يعرف ذلك أهله ، لما كان قولهم هذا ظاهر البطلان ، وأنه ليس لهم حجة شرعية على صحته ، أراد التمويه بقوله ذلك ، إشارة إلى أن لقولهم هذا وجهاً صحيحاً ، ومحملاً يخفى من لم ير رأيهم ، وأما قوله : ومنه بدا ، قولاً قديماً ، وإنه . . . الخ ؛ فهذا ما عليه الأشاعرة ، المخالفون للكتاب ، والسنة ، وسلف الأمة ؛ فقد أجمع : أهل السنة ، والجماعة ، على ما دل عليه كتاب الله ، وسنة نبيه ﷺ من أن الله يتكلم بحرف وصوت ، وأن القرآن كلام الله ، حروفه ومعانيه ؛ وعند الأشعرية : أن الكلام ، هو : المعنى النفسي ، وأن الله لا يتكلم بحرف ولا صوت.

وقد صنف **شيخ الإسلام** ، تقي الدين رحمه الله ، مصنفاً ، ذكر فيه تسعين وجهاً ، في بيان بطلان هذا القول ؛ منها : أن الله سبحانه ، قال : كذا ؛ يقول : كذا ؛ ونادى ؛ وينادي ؛ والقول : إنما يكون حروفاً ، والنداء إنما هو بحرف وصوت ؛ وكذلك الكلام ، لا يكون إلا قولاً ، لا حديث نفس ، قال النبي ﷺ : « إن الله عفا لأمتي ما حدثت به أنفسها ، ما لم تعمل أو تتكلم » فجعل الكلام ، غير حديث النفس ، وأجمع العلماء على : أن المصلي إذا تكلم في صلاته ، عالماً ، عامداً ، لغير مصلحتها ، أن صلاته فاسدة ، مع إجماعهم أن حديث النفس لا يبطلها ؛ ففي ذلك وما أشبهه : دلالة صريحة على أن المعنى ، الذي يكون في النفس ، ليس بكلام.

وعند الأشاعرة : أن الله لم يكلم موسى ، وإنما اضطره إلى معرفة المعنى القائم بالنفس ، من غير أن يسمع منه كلمة ؛ وما يقرأه القارئون ، ويتلوه التالون ، فهو عبارة عن ذلك المعنى ، وأن الحروف مخلوقة.

وفي حديث : عبد الله ابن أنيس المشهور : « فيناديهم بصوت ، يسمعه من بعد ، كما يسمعه من قرب ، أنا الملك ، أنا الديان » الحديث ؛ وقال : عبد الله بن الإمام أحمد ، سألت أبي ، فقلت : إن الجهمية يزعمون أن الله لا يتكلم بصوت ، فقال : كذبوا ، إنما يدورون على التعطيل ؛ ثم قال : حدثنا عبد الله بن محمد المحاربي ، قال حدثني الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله قال : إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء.

وعند الأشاعرة : أن المعنى النفسي ، القائم بذات الرب ، الذي يسمونه كلاماً ، شيء واحد لا يتبعض ؛ وأن معنى الأمر والنهي والخبر ، واحد ؛ وأن معنى القرآن ، والتوراة ، والإنجيل ، واحد ؛ إن عبر عنه بالعربية ، فهو القرآن ؛ وإن عبر عنه بالعبرانية ، فهو التوراة ؛ وإن عبر عنه بالسريانية ، فهو الإنجيل ؛ فهذا مما يقطع ببطلانه.

وقول الشارح : وبذلك اغتر من اغتر ، فقد قال الله تعالى : (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً) [فاطر : ٨] (وزين لهم الشيطان أعمالهم) [النمل : ٢٤] فنسأل الله : أن

يهدينا صراطه المستقيم.

وسئل أيضاً : **الشيخ عبد الله** بن عبد الرحمن أبا بطين ، عن قوله : خلق الله آدم بيده على صورته ، هل الكناية في قوله : على صورته ، راجعة إلى آدم . . . الخ ؟.

فأجاب : هذا الحديث المسؤول عنه ، ثابت في صحيح البخاري ومسلم عن النبي ﷺ قال : « خلق الله آدم على صورته ، طوله ستون ذراعاً » وفي بعض ألفاظ الحديث : « إذا قاتل أحدكم فليتق الوجه ، فإن الله خلق آدم على صورته » قال النووي : هذا الحديث من أحاديث الصفات ، ومذهب السلف : أنه لا يتكلم في معناه ؛ بل يقولون : يجب علينا أن نؤمن بها ، ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله تعالى ؛ مع اعتقادنا أنه ليس كمثله شيء ، انتهى.

قال بعض أهل التأويل : الضمير في قوله : « صورته » راجع إلى آدم ، وقال بعضهم : الضمير راجع على صورة الرجل المضروب ، ورد هذا التأويل ، بأنه : إذا كان الضمير عائداً على آدم ، فلا فائدة في ذلك ، إذ ليس يشك أحد أن الله خالق كل شيء على صورته ؛ وأنه خلق الأنعام ، والسباع ، على صورها ؛ فأي فائدة في الحمل على ذلك ؟ ورد تأويله : بأن الضمير عائد على ابن آدم المضروب ، بأنه لا فائدة فيه ، إذ الخلق : عالمون بأن آدم خلق على خلق ولده ، وأن وجهه كوجوههم ، فيرد هذا التأويل كله ، بالرواية

المشهورة « لا تقبحوا الوجه ، فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن ».

وقد نص : الإمام أحمد على صحة الحديث ، وإبطال هذه التأويلات ؛ فقال في رواية إسحاق بن منصور « لا تقبحوا الوجه ، فإن الله خلق آدم على صورته » صحيح ، وقال في رواية أبي طالب ، من قال : إن الله خلق آدم على صورة آدم ، فهو جهمي ، وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه ؟! وعن عبد الله بن الإمام أحمد ، قال : قال رجل لأبي ، إن فلاناً يقول في حديث رسول الله ﷺ ، إن الله خلق آدم على صورته ، فقال على صورة الرجل ؛ فقال أبي كذب ، هذا قول الجهمية ، وأي فائدة في هذا ؟ وقال أحمد : في رواية أخرى ، فأين الذي يروي « إن الله خلق آدم على صورة الرحمن »؟ وقيل لأحمد ، عن رجل إنه يقول : على صورة الطين ، فقال : هذا جهمي ، وهذا كلام الجهمية.

واللفظ الذي فيه على صورة الرحمن ، رواه الدارقطني ، والطبراني ، وغيرهما ، بإسناد رجاله ثقات ؛ قاله ابن حجر عن ابن عمر عن النبي ﷺ ، وأخرجها ابن أبي عاصم ، عن أبي هريرة مرفوعاً ، قال : « من قاتل فليجتنب الوجه ، فإن صورة وجه الإنسان ، على صورة وجه الرحمن » وصحح إسحاق بن راهويه اللفظ فيه ، على صورة الرحمن ؛ وأما أحمد ، فذكر أن بعض الرواة وقفه على ابن عمر ، وكلاهما حجة ؛ وروى ابن مندة ، عن ابن راهويه ، قال : قد صح عن رسول الله ﷺ أنه

قال : « إن آدم خلق على صورة الرحمن » وإنما علينا أن ننطق به.

قال القاضي أبو يعلى ، والوجه فيه : أنه ليس في حمله على ظاهره ، ما يزيل صفاته ، ولا يخرجها عما تستحقه ، لأننا نطلق تسمية الصورة عليه ، لا كالصور ، كما أطلقنا تسمية : ذات ، ونفس ، لا كالذوات ، والأنْفس ؛ وقد نص أحمد ، في رواية يعقوب بن بختان ، قال : « خلق آدم على صورته » لا نفسره ، كما جاء الحديث ، وقال الحميدي ، لما حدث بحديث : « إن الله خلق آدم على صورته » قال : لا نقول غير هذا ، على التسليم والرضا ، بما جاء به القرآن ، والحديث ، ولا نستوحش أن نقول كما قال القرآن ، والحديث.

وقال ابن قتيبة : الذي عندي ــ والله أعلم ــ أن الصورة ليست بأعجب من اليدين ، والأصابع والعين ، وإنما وقع الألف لمجيئها في القرآن ، ووقعت الوحشة من هذا ، لأنها لم تأت في القرآن ؛ ونحن نؤمن بالجميع ، هذا كلام ابن قتيبة ؛ وقد ثبت في الصحيحين ، عن النبي ﷺ قال : « فيأتيهم الله في صورة غير الصورة التي يعرفون ، فيقول أنا ربكم ، فيقولون نعوذ بالله منك ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا أتانا ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون ».

وفي لفظ آخر : « صورته التي يعرفون ، فيقول أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا فيعرفونه » الحديث ؛ فالذي ينبغي في هذا ونحوه : إمرار الحديث كما جاء ، على الرضى

والتسليم ، مع اعتقاد أنه : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) [الشورى : ١١] .

وأجاب أيضاً:

وأما السؤال عن الحديث الصحيح « إن الله خلق آدم على صورته » فقال : إسحاق بن منصور ، سئل أحمد بن حنبل ، عن الحديث « لا تقبحوا الوجه ، فإن الله خلق آدم على صورته » فقال : صحيح ؛ وقال في رواية يعقوب ابن بختان « خلق آدم على صورته » لا نفسره ، كما جاء الحديث ، وأنكر الإمام أحمد على من قال : إن « الهاء » في قوله « على صورته » عائدة على آدم ؛ فقال في رواية أبي طالب ، من قال : إن الله خلق آدم على صورة آدم ، فهو جهمي ؛ وأي صورة لآدم قبل أن يخلقه ؟ وروى ابن مندة ، عن عبد الله بن أحمد ، قال : قال رجل لأبي ، إن فلاناً يقول في حديث رسول الله ﷺ : « خلق آدم على صورته » فقال على صورة الرجل ، قال أبي : كذب ، هذا قول الجهمية ، وأي فائدة في هذا ؟ .

وقال في رواية أخرى ، فأين الذي يروي « أن الله خلق آدم على صورة الرحمن »؟ وقيل له عن رجل ، إنه يقول : خلقه على صورة الطين ؛ فقال : هذا جهمي ، وهذا كلام الجهمية ؛ واللفظ الذي فيه « على صورة الرحمن » رواه الدارقطني ، والبخاري ، وابن بطة ، مرفوعاً ؛ وبعضهم وقفه

على ابن عمر ، هذا كلام القاضي أبي يعلى ، في كتاب ابطال التأويل.

قال : وروى ابن مندة ، عن إسحاق بن راهويه ، قال : قد صح عن رسول الله ﷺ « أن الله خلق آدم على صورة الرحمن » وإنما علينا أن ننطق به ، ثم ذكر القاضي : أن ابن قتيبة ذكره في مختلف الحديث ، فقال : الذي عندي ــ والله أعلم ــ أن الصورة ليست بأعجب من اليدين ، والأصابع والعين ، وإنما وقع الألف لمجيئها في القرآن ، ووقعت الوحشة من هذه ، لأنها لم تأت في القرآن ، ونحن نؤمن بالجميع ؛ هذا كله كلام ابن قتيبة ، والقاضي ملخصاً ؛ وقال بشر بن موسى ، حدثنا الحميدي ، وذكر الحديث : أن الله خلق آدم على صورته ، فقال : لا نقول غير هذا ، على التسليم والرضا ، بما جاء في القرآن ، والحديث ، ولا نستوحش أن نقول : كما قال القرآن ، والحديث.

سئل : **أيضاً الشيخ عبد الله أبا بطين** رحمه الله ، عن قول السيوطي ، على قوله : (وهو على كل شيء قدير) في آخر سورة المائدة من الجلالين ، قال : وخص العقل ذاته ، فليس عليها بقادر.

فأجاب : الظاهر أن مراده أن الرب سبحانه وتعالى ، يستحيل عليه ما يجوز على المخلوق ، من العدم والعيب ، والنقص ، وغير ذلك من خصائص المخلوقين ؛ فلكون ذلك :

يستحيل على ذات الرب سبحانه وتعالى ، عبر عنه بأنه لا يدخل تحت القدرة ، وأنا ما رأيت هذه الكلمة لغيره ، والنفس تنفر منها.

وقد روي عن ابن عباس ، حكاية على غير هذا الوجه ، وهي : أن الشياطين ، قالوا لإبليس : يا سيدنا ، ما لنا نراك تفرح بموت العالم ، ما لا تفرح بموت العابد ؟! والعالم لا نصيب منه ، والعابد نصيب منه ؟! قال : انطلقوا ، فانطلقوا إلى عابد ، فأتوه في عبادته ، فقالوا : إنا نريد أن نسألك ، فانصرف ، فقال إبليس : هل يقدر ربك أن يخلق مثل نفسه ؟ فقال : لا أدري ؛ فقال : أترونه لم تنفعه عبادته مع جهله؟! فسألوا عالماً عن ذلك ؟ فقال : هذه المسألة محال ، لأنه لو كان مثله ، لم يكن مخلوقاً ، فكونه مخلوقاً وهو مثل نفسه مستحيل ، فإذا كان مخلوقاً لم يكن مثله ، بل كان عبداً من عبيده ؛ فقال : أترون هذا يهدم في ساعة ما أبنيه في سنين ؟! والله أعلم.

وقال أيضاً : والذي ذكره السيوطي ، لفظة لم تأت في الكتاب ، ولا في السنة ، ولا رأينا أحداً من أهل السنة ذكرها في عقائدهم ؛ ولا ريب أن ترك فضول الكلام ، من حسن الإسلام ؛ وهذه كلمة ما نعلم مراد قائلها ؛ يحتمل أنه أراد بها معنى صحيحاً ، ويحتمل أن يراد بها باطل ؛ فالواجب : اعتقاد ما نطق به القرآن ، من أن الله على كل شيء قدير ، وأنه إذا

أراد شيئاً ، قال له : كن ، فيكون ، كما أراد ؛ وأنه ليس كمثله شيء ، ولا يكون شيء مثله ، سبحانه وتعالى وتقدس ؛ وجواب العالم ، الذي قال : لا يكون المخلوق مثل الخالق ، جواب صحيح ، لأنه الذي غاظ الشيطان ، وهو نتيجة العلم ؛ ويدل على أنه لو قال : قادراً ، أو غير قادر ، لم يكن جواباً صحيحاً ؛ وما ذكرنا من جواب هذا العالم ، فيه مشابهة لكلام السيوطي ، من بعض الوجوه.

واعلم : أن طريقة أهل السنة ، أن كل لفظ لا يوجد في الكتاب ، ولا في السنة ، ولا في كلام أحد من الصحابة ، والتابعين لهم بإحسان ، وسائر أئمة المسلمين ، لا نفيه ، ولا إثباته : لا يثبت ، ولا ينفى ، إلا بعد الاستفسار عن معناه ؛ فإن وجد معناه مما أثبته الرب لنفسه ، أثبت ؛ وإن وجد مما نفاه الرب عن نفسه ، نفى ؛ وإن وجد اللفظ مجملاً يراد به حق وباطل ، فهذا اللفظ لا يطلق نفيه ، ولا إثباته ؛ وذلك كلفظ : الجسم ، والجوهر ، والجهة ، ونحوها ؛ وكره السلف والأئمة الكلام المحدث ، لاشتماله على كذب وباطل ، وقول على الله بلا علم ؛ وما ذكره السيوطي من هذا النوع ؛ وضد القدرة : العجز ، وهل يسوغ أن يقال : إن الله عاجز عن كذا ؟! وإنما يقال : إنه سبحانه يستحيل وصفه ، بما يتضمن النقص والعيب ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ؛ والله أعلم.

وله أيضاً : قدس الله روحه.

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين ، إلى الأخ ، الشيخ : عبد الرحمن بن حسن ، وفقه الله للعمل الصالح ، والقول الحسن ، وثبتنا وإياه على خير الهدى ، وأعدل السنن ؛ سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد : فموجب الخط ، إبلاغ الشيخ السلام ، والسؤال عن الحال ، أصلح الله لنا وله الدين ، والدنيا ، والآخرة ؛ وغير ذلك : ذكرت لي أن أكتب على كلام الدرويش الذي عندكم، بيان بعض ما فيه من العيب ، والذي كتبتم عليه فيه كفاية.

لكن : نذكر على بعض ألفاظه ، بيان مخالفته للحق ، منها ، قوله : الحمد لله المتوحد بجميع الجهات ؛ فنقول : لا يشك من سمع هذا الكلام ، في أن المراد بالجهات ، الجهات الست ، التي يقول المعطل فيها : إن الرب سبحانه من الجهات الست خالي ؛ والاتحادي ، يقول : إنه سبحانه متحد بها ؛ والحلولي يقول : إنه سبحانه حال فيها ؛ تعالى الله عما يقول الجميع علواً كبيراً.

وأهل السنة والجماعة ، يقولون : إن الرب سبحانه مستو على عرشه ، بائن من خلقه ؛ وظاهر قول هذا الرجل : المتوحد بجميع الجهات ، يشبه قول الاتحادية ؛ وإن حملت

الباء على الظرفية ، أشبه قول الحلولية ، وربما يظن أنه لعجميته ، يعبر عبارات لا يعرف معناها ؛ لكن سمعت أنه قد شرع في وضع حاشية على النونية ، ولا يتنزل لذلك إلا من يدعي تمام المعرفة ؛ وحكي عنه ، أنه يقول : مرادي بالجهات ، جهات التوحيد الثلاث ؛ وهي : توحيد الربوبية ، والإلّهية ، والأسماء والصفات ؛ وهذا بعيد من كلامه ، لأن هذه تسمى أنواعاً ، لا جهات.

وبكل حال : فظاهر كلامه ، يخالف ما عليه أهل السنة والجماعة ؛ لكن ينبغي : أولاً إحضاره ، ويبين له ما في كلامه مما ظاهره خلاف الحق ، وتبين له الأدلة الشرعية ، على خلاف ما توهمه في كلامه ؛ فإن اعترف فهو المطلوب ، والحمد لله ؛ وفي كلامه من العيب ، والركاكة كثير ، كقوله : لا شريك له في الذات ، ولا في الصفات ؛ فنفى الشركة في الذات ، ولم يقل أحد من بني آدم ، إن الله سبحانه شريكاً في ذاته ، حتى يحتاج إلى نفي ذلك ؛ وإنما يقول أهل الحق : لا شبيه له في ذاته ، ولا في صفاته ، رداً لقول المشبهة ؛ فقوله : لا شريك له في ذاته ، يدل على قلة معرفته في هذا الباب ؛ وكذلك قوله : لا شريك له في الملك ، فضلاً عن الملكوت ؛ فأشار بقوله : فضلاً عن الملكوت ، إلى بعد ما بينهما ؛ وقد ذكر العلماء : أن الملكوت ، هو الملك ، وإنما زيدت التاء للمبالغة في التعظيم.

وكذلك قوله في إعراب : لا إلّه إلا الله ، من قبيل

استثناء الجزء من الكل ، فجعل استثناء الاسم الكريم ، من نوع استثناء الجزئي ، غلط ؛ بل الجـزئي : مقابـل الكلي ، وقسيمه ، لا قسم منه ؛ فالكلي ما اشترك في معناه كثيرون ، كالإنسان ، والحيـوان ؛ والجزئي : يـراد به أسمـاء الأعلام ، كزيد ، وعمرو ؛ والاسم الكريم ، أعرف المعارف ، كما قاله سيبويه ، وغيره ؛ وكذلك ، قوله في إعراب : لا إلَه إلا الله ، إنه كقولنا : لا شمس إلا الشمس ؛ لأن قول القائل لا شمس إلا الشمس ، لفظ لا فائدة فيه ؛ وأيضاً : فاسم الشمس ، من الألفاظ الكلية ، لقـولهم في تعريف الكلي : إن مـا لا يمنع تصور معناه ، من وقوع الشركة فيه ، فهو الكلي ، سواء وقعت فيه الشركة ، كالإنسان ، أم لم تقع وأمكنت ، كالشمس ، أو استحالت كالإلَه ، فإن استحالة ذلك ، للأدلة القاطعة عليه.

فجعله الاسم الكريم ، الذي هو أرفع الأعلام ، وأعرف المعارف ، مثل الشمس التي هي من الألفاظ الكلية ، غلط ؛ بل الموافق لقولنا : لا شمس إلا الشمس ، قول القائل : لا إلَه إلا الإلَه ، وهذا اللفظ مـع الإطلاق ، لا يستفـاد منه تـوحيد الإلَهية لله رب العالمين ؛ هذا وكثير من كلامه ، كما يقال : جعجعة بلا طحن ! نسأل الله : أن يهدينـا وإياكم ، وجميـع المسلمين ، صراطه المستقيم.

وسئل أيضاً : الشيخ عبد الله أبـا بطين ، عن قـول من قال ، في قول الخضر لموسى : ما نقص علمي وعلمك ، من علم الله ، إلا كما نقص هذا العصفور من البحر ؛ وقال : إن

المراد بعلم الله ، معلومه.

فأجاب : هذا على طريق أهل التأويل في صفات الرب سبحانه ، كما يقول : البيضاوي ، وأمثاله ، في قوله سبحانه وتعالى : (ولا يحيطون بشيء من علمه) أي : من معلومه ؛ وأما مفسروا أهل السنة ، كابن جرير ، والبغوي ، وابن كثير ، فأقروه على ظاهره ، فقالوا : (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) [البقرة : ٢٥٥] أي لا يطلع أحد من علم الله على شيء ، إلا بما علمه الله تعالى ، وأطلعه عليه ؛ وقول الخضر ، يشهد له قول الله عز وجل : (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) [الإسراء : ٨٥] وهل يسوغ أن يقال : وما أوتيتم من المعلوم ، إلا قليلا ؟! وقال تعالى : (لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه) [النساء : ١٦٦].

قال ابن كثير : أنزله بعلمه ، أي فيه علمه ، الذي أراد أن يطلع العباد عليه ، من البينات ، والهدى ، والفرقان ، وما يحبه الله ، ويكرهه ، وما فيه من العلم بالغيوب ، وما فيه من ذكر صفاته المقدسة ، كما قال تعالى : (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) وقال الخضر لموسى : إني على علم من علم الله ، لا تعلمه أنت ؛ وأنت على علم من علم الله ، علمك إياه ، لا أعلمه ؛ فهذا كله : يبطل قول من تأول العلم بالمعلوم ؛ وأي محذور في إجرائه على ظاهره ؟!

وسئل : عن قول الشيخ عثمان ، إن الصفة تعتبر من حيث هي ، هي ؛ وتارة من حيث قيامها به تعالى ؛ وتارة من

حيث قيامها بغيره ؛ وليست الاعتبارات الثلاث متماثلة ، إذ (ليس كمثله شيء).

فأجاب : قول الشيخ عثمان : إن الصفة تعتبر من حيث هي ، هي ؛ يعني : لها ثلاث اعتبارات ، تارة تعتبر من حيث هي ، هي ؛ أي تعتبر : منفردة من غير تعلقها بمحل ، مثال ذلك : البصر ، فيقال : البصر من حيث هو ، هو ما تدرك به المبصرات ، ومن حيث تعلقه بمخلوق ، فيقال : هو نور في شحمة ، تسمى : انسان العين ، تحت سبع طبقات في حدقة ، ينطبق عليها جفنان ؛ وأما بالنسبة إلى الرب سبحانه ، فنقول : هو سبحانه : سميع ، يسمع ؛ بصير ، يبصر ، ليس كسمع المخلوق ، ولا كبصر المخلوق ، وهكذا سائر الصفات.

وسئل : عن حديث الخوارج ، الذي أخرجه البخاري ، عن أبي سعيد ، فيه : « يخرجون على حين فرقة من الناس » هل في بعض ألفاظه : « على خير فرقة من الناس »؟

فأجاب : وأما حديث الخوارج، فلا نعلم فيه لفظة « خير » والمعروف : « على حين فرقة من الناس » وربما وقع في بعض الألفاظ « خير » والله أعلم.

وذكر النووي ، في شرح مسلم : أن المشهور ، بالحاء والنون ، وضم الفاء ، أي : وقت افتراق ؛ وقيل بالخاء ، والراء ، وكسر الفاء ، وذكر الرواية « يقتلهم أولى الطائفتين بالحق » والرواية الأخرى « أدنى الطائفتين إلى الحق ».

سئل الشيخ : عبد الله أبا بطين ، عن حديث « لو أن أحدكم أدلى بحبل لهبط على الله »؟.

فأجاب : حديث « لو أن أحدكم أدلى بحبل لهبط على الله » رواه الترمذي ، من رواية الحسن ، عن أبي هريرة.

وللشيخ : تقي الدين رحمه الله ، على هذا الحديث كلام طويل ، قال : فإن كان ثابتاً ، فقوله : « لو أن أحدكم أدلى بحبل لهبط على الله » إنما هو تقدير مفروض ، أي : لو وقع الإدلاء ، لوقع عليه ، لكنه لا يمكن أن يدلي أحد ، على الله سبحانه وتعالى شيئاً ، لأنه عال بالذات ، وإذا هبط شيء إلى جهة الأرض ، وقف في المركز من الجزء ـ إلى أن قال ـ فكما أن ما يهبط إلى جوف الأرض ، يمتنع صعوده إلى تلك الناحية ، لأنها عالية ، فترد الهابط بعلوها ، كما أن الجهة العليا من عندنا ، ترد ما يصعد إليها من الثقيل ، فلا يصعد الثقيل إلا برافع يرفعه ، يدافع به ما في قوته من الهبوط ، فكذلك ما يهبط من أعلى الأرض إلي أسفلها ، وهو المركز ، لا يصعد من هناك إلى ذلك الوجه ، إلا برافع يرفعه ، يدافع به ما في قوته من الهبوط إلى المركز ، فإن قدر : أن الرافع أقوى ، كان صاعداً به إلى الفلك من تلك الناحية ، وصعد به إلى الله.

وإنما يسمى هبوطاً : باعتبار ما في أذهان المخاطبين ، من أن ما يحاذي أرجلهم ، يكون هابطاً ، ويسمى هبوطاً ، مع

تسمية إهباطه إدلاء ، وهو إنما يكون إدلاء حقيقيّاً إلى المركز ، ومن هناك إنما يكون مداً للحبل ، والدلو لا إدلاء له ، ولكن الجزاء والشرط مقدران ، لا محققان ؛ فإنه قال : لو أدلى لهبط ؛ أي : لو فرض أن هناك إدلاء ، لفرض أن هناك هبوطاً ، وهو يكون إدلاء وهبوطاً ، إذا قدر أن السماوات تحت الأرض ، وهذا منتف ، ولكن فائدته : بيان الإحاطة ، والعلو من كل جانب.

وهذا المفروض : ممتنع في حقنا ، لا نقدر عليه ، فلا يتصور أن ندلي ، فلا يتصور أن يهبط على الله شيء ؛ لكن الله قادر ، على أن يخرق من هناك بحبل ، لكن لا يكون في حقه إدلاء ، فلا يكون في حقه هبوطاً عليه ، كما لو خرق بحبل من القطب إلى القطب ، أو من مشرق الشمس إلى مغربها ، وقدرنا أن الحبل مر في وسط الأرض ، فإن الله قادر على ذلك كله ــ إلى أن قال ــ فعلى كل تقدير : قد خرق بالحبل من جانب المحيط إلى جانب الآخر ، مع خرق المركز ؛ وبتقدير إحاطة قبضته بالسماوات والأرض ، فالحبل الذي قدر أنه خرق به العالم ، وصل إليه ، ولا يسمى شيئاً بالنسبة إليه ، لا إدلاء ، ولا هبوطاً ، وأما بالنسبة إلينا : فإنما تحت أرجلنا ، تحت لنا ؛ وما فوق رؤوسنا ، فوق لنا ؛ وما ندليه من ناحية رؤوسنا ، إلى ناحية أرجلنا ، نتخيل أنه هابط ، فإذا قدر : أن أحدنا أدلى بحبل ، كان هابطاً على ما هناك ، لكن هذا التقدير ممتنع في حقنا ؛ والمقصود به : بيان

إحاطة الخالق تعالى ، كما بين أنه يقبض السماوات ، ويطوي الأرض ، ونحو ذلك ، مما فيه بيان إحاطته بالمخلوقات.

ولهـذا قرأ في تمـام هذا الحـديث (هو الأول والآخـر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) [الحديد : ٣] وهذا كله : كلام على تقدير صحته ، فإن الترمذي لما رواه ، قال : وفسـر بعض أهل العلم بـأنـه هبط على علم الله ؛ ثم قـال الشيخ : وتأويله بالعلم ، تأويل ظاهـر الفساد ؛ قـال وبتقديـر ثبوته ، يكون دالاً على الإحاطة ، والإحاطة : قد علم أن الله قادر عليها ، وعلم أنها تكون يوم القيامة ، بالكتاب ، والسنة ؛ فليس في إثباتها في الجملة ، ما يخالف العقل ، ولا الشرع ، لكن : لا نتكلم إلا بما نعلمه ، وما لا نعلم أمسكنا عنه.

وله أيضاً ، رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله بن عبد الرحمن أبا بـطين ، إلى الإخوان : محمد آل عمر ، وصالح آل عثمـان ، ومحمد آل إبـراهيم ، ثبتهم الله على الإسلام ، ووفقهم للتمسك بسنة سيد الأنام ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد : فموجب الخط إبلاغ السلام ، والوصية بالتمسك بما منّ الله به عليكم ، من معرفة التوحيد ، الذي هو حق الله على العبيد ، فاعرفوا حق هذه النعمة ، وتواصوا بالصبر ، نسأل الله : أن يجعلنا وإياكم ، ممن إذا أنعم عليه شكر ، وإذا ابتلى

صبر ، وإذا أذنب استغفر.

وما سألتم عنه من معنى ، قوله ﷺ : « إن لله تسعة وتسعين اسماً ، من أحصاها دخل الجنة » فقد ذكر ابن القيم رحمه الله ، ما معناه : إن الإحصاء يتناول ثلاثة أمور ؛ الأول : حفظها ؛ الثاني : معرفة معانيها ؛ الثالث : اعتقاد ما دلت عليه ، والعمل بمقتضاه ؛ وأما معنى محاجة آدم موسى عليهما السلام ، ولوم موسى لآدم ، فذكر شيخ الإسلام ، وغيره : أن لوم موسى لآدم ، إنما هو على المصيبة ، التي لحقت الذرية بسبب الذنب ؛ وآدم : إنما احتج بالقدر على المصيبة ، لا على الذنب.

يوضح ذلك : أنه لو جاز الإحتجاج بالقدر على الذنب ، وأنه حجة صحيحة ، لكان حجة لإبليس ، وجميع العصاة ، وهذا باطل ، بدلائل الكتاب والسنة ، وإجماع أهل الحق ، من الأمة ، والله سبحانه أعلم.

قال الشيخ عبد اللطيف ، بن عبد الرحمن بن حسن ، قدس الله روحه ، ونور ضريحه ، ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، إلى الأخ المكرم : محمد بن عون ، سلمه الله تعالى ، وأعانه على ذكره وشكره ، ووفقه للجهاد في سبيله ، ومراغمة من تجهم ، أو نافق ، أو أرتد ، من أهل دهره ، وعصره ؛ سلام عليكم ورحمة الله ، وبركاته ؛ وبعد : فنحمد إليكم الله ، الذي لا إلـه إلا هو ،

على ما منّ به من سوابغ إنعامه ، وجزيل فضله وإكرامه .

والواجب على المكلفين ، في كل زمان ومكانٍ ، الأخذ بما صح وثبت ، عن رسول الله ﷺ ، وليس لأحد أن يعدل عن ذلك إلى غيره ، ومن عجز عن ذلك في شيء من أمر دينه ، فعليه بما كان عليه السلف الصالح ، والصدر الأول ، فإن لم يدر شيئاً من ذلك ، وصح عنده عن أحد الأئمة الأربعة المقلدين ، الذين لهم لسان صدق في الأمة ، فتقليدهم سائغ حينئذ ؛ فإن كان المكلف أنزل قدراً ، وأقل علماً ، وأنقص فهماً ، من أن يعرف شيئاً من ذلك ، فليتق الله ما استطاع ، وليقلد الأعلم من أهل زمانه ، أو من قبلهم ، خصوصاً من عرف بمتابعة السنة ، وسلامة العقيدة ، والبراءة من أهل البدع ؛ فهؤلاء أحرى الناس ، وأقربهم إلى الصواب ، وأن يلهموا الحكمة ، وتنطق بها ألسنتهم ؛ فاعرف هذا ، فإنه مهم جداً .

ثم لا يخفاك : أنه قد ألقي إلينا أوراق وردت ، من جهة عمان ، كتبها بعض الضالين ، ليلبس ويشوش بها ، على عوام المسلمين ، ويتشبع بما لم يعط ، من معرفة الإيمان والدين ، وبالوقوف على أوراقهم ، يعرف المؤمن حقيقة حالهم ، وبعد ضلالهم ، وكثافة أفهامهم ؛ وأنهم ملبوس عليهم ، لم يعرفوا ما جاءت به الرسل ، ولم يتصوروه ، فضلاً عن أن يدينوا به ويلتزموه ؛ وأسئلتهم وقعت : لا لطلب الفائدة والفهم ، بل للتشكيك ، والتمويه ، والتحلي بالرسم ، والوهم ؛ ومن السنن

المأثورة ، عن سلف الأمة وأئمتها ، وعن إمام السنة : أبي عبد الله ، أحمد بن محمد بن حنبل ، قدس الله روحه : التشديد في هجرهم ، وإهمالهم ، وترك جدالهم ، واطراح كلامهم ، والتباعد عنهم حسب الإمكان ، والتقرب إلى الله بمقتهم ، وذمهم ، وعيبهم.

وقد ذكر الأئمة من ذلك ، جملة في كتب السنة ، مثل : كتاب « السنة » لعبد الله بن الإمام أحمد ، و « السنة » للخلال ، و « السنة » لأبي بكر الأثرم ، و « السنة » لأبي القاسم ، اللالكائي ، وأمثالهم ؛ فالواجب : نهي أهل الإسلام ، عن سماع كلامهم ، ومجادلتهم ؛ لا سيما وقد أقفر رَبعُ العلم في تلك البلاد ، وانطمست أعلامه ؛ قال في الكافية الشافية:

فانظر ترى لكن نرى لك تركها   حذراً عليك مصائد الشيطان
فشباكها والله لم يعلق بها   من ذي جناح قاصر الطيران
إلا رأيت الطير في شبك الردى   يبكي له نوح على الأغصان

إذا عرف هذا : فإحدى الورقتين ، المشار إليهما ، ابتدأها الملحد الجاهل ، بسؤال يدل على إفلاسه من العلم ، ويشهد بجهالته وضلالته ؛ وهو قوله : الرؤية الثابتة ، عند أهل السنة والجماعة ، في الجنة ، هل هي : بصفات الجلال ، أو الجمال ، أو الكمال ؟! ولم يشعر هذا الجاهل الضال ، أن الرؤية : تقع على الذات ، المتصفة بكل وصف ، يليق بعظمته ، وإلّهيته ، وربوبيته ، من جلال ، وجمال ، وكمال ؛

وأن صفات الجلال : ترجع إلى الملك ، والمجد ، والسلطان ، والعزة ؛ والجمال : وصف ذاتي ، كما أن الجلال كذلك ، والكمال حاصل بكل صفة من صفاته العلا.

فله الجلال الكامل ، والجمال الكامل ، والمجد ، والعزة التي لا تضاهى ولا تماثل ؛ فهذه أوصاف ذاتية ، لا تنفك عنه في حال من الأحوال ، وإنما يقال : تجلى بالجلال ، والمجد ، والعزة ، والسلطان ، إذا ظهرت آثار تلك الصفات ؛ كما يقال تجلى بالرحمة ، والكرم ، والعفو ، والإحسان ، إذا ظهرت آثار تلك الصفات في العالم ؛ ويستحيل أن يرى تعالى ، وقد تخلْوَ عنه صفة جلال ، أو جمال ، أو كمال.

ولو وقف هذا الغبي ، على ما جاء في الكتاب ، والسنة ، من إثبات الرؤية ، وتقريرها ، ولم يتجاوز ذلك ، إلى تخليط ، صدر عمن لا يدري السبيل ، ولم يقم بقلبه عظمة الرب الكبير الجليل ، لكان أقرب إلى إيمانه ، وإسلامه.

وأما قوله : وما الفرق بين صفات المعاني ، والمعنوية ؟ فهذه الكلمة ، لو فرضت صحتها ، فالجهل بها لا يضر ، ولم تأت الرسل بما يدل بحال ، أن من صفات الله ما هو من المعاني ، وما هو من الصفات المعنوية ؛ وهذا التقسيم : يطالب به الأشعرية ، والكرامية ، ونحوهم ؛ فلسنا منهم في شيء ؛ والعلم : آية محكمة ؛ أو فريضة عادلة ؛ أو سنة متبعة ؛ وما ليس هكذا سبيله ، فالواجب : اطراحه وتركه ؛

والعلم كل العلم ، في الوقوف مع السنة ، وترك ما أحدثه الناس ، من العبارات المبتدعة .

ومن الأصول المعتبرة ، والقواعد المقررة ، عند أهل السنة ، والجماعة أن الله تعالى ، لا يوصف إلا بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، لا يتجاوز ذلك أهل العلم والإيمان ، ولا يتكلفون علم ما لم يصف الرب تبارك وتعالى به نفسه ، وما لم يصفه به رسوله ﷺ ؛ والله أكبر ، وأجل ، وأعظم ، في صدور أوليائه وعباده المؤمنين ، من أن يتكلموا في صفاته ، بمجرد آرائهم ، واصطلاحاتهم ، وعبارات متكلميهم .

وأما قول السائل : وهل صفات المعاني ثابتة في ذات الله ؟ فهذه عبارة نبطية أعجمية ، لأنه إن أريد بالاضافة ، إضافة الدال على المدلول ، فكل صفاته تعالى ، لها معان ثابتة لذاته المقدسة ، وأي وصف ينفك عن هذا ، لو كانوا يعلمون ؛ وإن أريد بالاضافة ، إضافة الصفة للموصوف ، أي : المعاني الموصوفة ، فالمعاني الموصوفة ، منها صفات أفعال ، وصفات ذات .

وأما قوله : وما الاعتبارات الأربع ، فهذه كلمة ملحونة ، أعجمية ؛ والعرب تقول : الاعتبارات الأربعة ، لا الأربع ؛ والحكم معروف في باب العدد ؛ وأما معناها ، فهو إلى الألغاز ، والأحاجي ، أقرب منه إلى الكشف ، والإيضاح في

السؤال ؛ فالحساب تجري فيه اعتبارات أربعة ، من جهة لفظه ، وإفراده ، وجمعه ، وتصحيحه ؛ وكسره ، وضربه ، وطرحه ؛ وتجري الإعتبارات الأربعة ، فما فوق في أبواب الفقه ، من كتب الفروع ، من كتاب الطهارة ، إلى أبواب العتق ، والإقرار ، وكثير من عباراته تختلف مفهوماتها ، باختلاف عباراتها.

وكذلك المقدمات العقلية ، والأدلة النظرية ، والبديهيات الذهنية ، والضروريات الحسية ، لها اعتبارات ، ولها حالات ، ولها مراتب ، ودرجات ، يطلق عليها لفظ الاعتبارات ؛ وكذلك قوله : وما الوجود الأربع ؟ عبارة ملحونة أعجمية ، فقد يراد بها ما يوجد في الأعيان ، والاذهان ، واللسان ، والبنان ؛ وقد يراد بها غير ذلك ، من مراتب وجود العلم ، أو وجود الوحي ، فإنه قسم هذا التقسيم ، باعتبار ادخال الإلهام في مسمى الوحي.

وكذلك الجهل ، له مراتب أربع ، فمنه الجهل المركب ، ومنه البسيط ، وكلاً منهما ، إما في السمعيات ، أو العقليات ؛ وكذلك الأخبار قطعية وظنية ، وبالجملة : فالإعتبارات الأربعة ، والوجود ، ونحو ذلك ، تقع كل ما تناله العبارة ، ويصدق عليه اللفظ في أي فن ، وأي حكم.

فإن قال : المراد بالإعتبارات ، والوجود ، باعتبار صفاته تعالى.

قلنا : تقسيم الإعتبارات والوجود ، يختلف باختلاف

المقاصد ، والإصلاح ؛ وليس في كلام السلف ، ما يجيز الخوض ، في اصطلاحات المتكلمين ، والأشاعرة.

وأما الفرق : بين الدليل ، والبرهان ؛ فالدليل : في اصطلاح الأصوليين ، والفقهاء ، ما يستدل به على إثبات الحكم وصحته ؛ والبرهان : ذكر الحجة بدليلها ؛ وأما الفرق بين العهد والميثاق ، فهو اعتباري ، والمفهوم واحد ، قال تعالى : ﴿ وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله ﴾ الآية [البقرة : ٨٣] وقال تعالى : ﴿ لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل ﴾ [المائدة : ٧٠] وقال تعالى : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان ﴾ [يٓس : ٦٠] وقال : ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ﴾ [النحل : ٩١] وقال تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين ﴾ إلى قوله : ﴿ وأخذتم على ذالكم إصري ﴾ [آل عمران : ٨١] وطالع عبارات المفسرين.

وأما العهود التي أخذها الله من عباده ، فلا يسأل عن كميتها ، إذ لا يعلمها إلاالله ، قال تعالى : ﴿ ورسلاً لم نقصصهم عليك ﴾ [النساء : ١٦٤] وكل رسول يؤخذ عليه ، وعلى قومه العهد ؛ فكيف يسأل عن كميتها ؟ ومن ادعى علمها فهو كاذب ؛ نعم : ما ذكر في القرآن ، من أخذ العهد على الأنبياء ، وعلى الأمم ، كبني إسرائيل ، وعلى بني آدم كافة ، كما في آية يٓس ، وأخذ العهد على الذرية ، فهذا معروف

محصور.

وأما قوله : وما العهود التي عاهدها معهم ؟ فهذه عبارة : أعجمية ، جاهلية ؛ فالله عهد إليهم ، ولم يعاهدهم هو ، بل هم عاهدوه ، كما قال تعالى : (ومنهم من عاهد الله) [التوبة : ٧٥] ولم يقل عاهدهم الله أبداً ، فالمعاهدون ، هم العباد ، والله عهد إليهم ، وعاهدوه هم ، ولم يعاهدهم هو ؛ فاعرف : جهل السائل ، وعجمته.

وأما قوله : وكم من تعلقات للقدرة ، والإرادة ، والعلم ، والكلام ؟ فاللفظ : أعوج ، ملحون ، لا تأتي : « من » بعد « كم » الاستفهامية أبداً ؛ والرجل غلبت عليه : العجمة في الفهم ، والتعبير ؛ فإن أريد بالتعلق ، كون الأشياء ، بالقدرة ، والإرادة ، والعلم ، والكلام ؛ فأي فرد من أفراد الكائنات ، يخرج عن هذا ؟ ولا يتعلق به ؟!.

وأما قوله : وما علة نفي الحروف السبعة ، من فاتحة الكتاب ؟ فهذا : عدم ، لا نفي ، والعدم : لا يعلل ؛ فلا يقال : لم عدمت بقية حروف الهجاء ، من سورة الإخلاص ؟ مثلاً ، أو من (بسم الله الرحمن الرحيم) ؟ لأن المعنى المراد ، حاصل بالحروف المذكورة ، والتراكيب المسطورة ، والعدم لا يعلل ؛ وإن علل ، فعلته عدمية ، والسائل رأى كلمات مسطورة ، فظنها داخلة في مسمى العلة ، ومذكورة ؛ وإنما هي : جهالات ، وضلالات ، وخيالات (كسراب بقيعة

يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً) [النور : ٣٩][1].

وله أيضاً : قدس الله روحه ، ونور ضريحه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، إلى الأخ : صالح بن محمد الشثري ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد : فأحمد إليك الله ، الذي لا إله إلا هو ، على سوابغ نعمه ، ونهنيك بما هنيتنا به ، جعلنا الله وإياك ، من الفائزين برضاه ، والمسارعين إلى العمل بما يحبه ويرضاه ، ومن علينا باغتنام الصحة والفراغ ، وأعاذنا من الغبن في هاتين النعمتين ، اللتين هما سفينة النجاة ، ومركب أهل الصدق في المعاملات.

وتسأل عن تفسير « السبحات » بالنور ، هل هو من التأويل المردود ، أو لا ؟

فلا يخفاك : أن التأويل بالمعنى الأعم ، يدخل فيه مثل هذه ، وقد حكاه جمع من أهل الإثبات ؛ وأما التأويل بالمعنى الأخص ، عند الجهمية ومن نحا نحوهم ، فليس هذا منه ؛ لأنهم أوّلوا « النور » الذي هو اسمه وصفته ، بما يرجع إلى فعله وخلقه ؛ وليس هذا منه ؛ وقد فسرت « السبحات » بالعظم ، لأن أصل السبحة ، من التنزيه والتقديس ؛ وفسرت : بضوء الوجه المقدس ؛ وفسرت : بمحاسنه ، لأن من رأى

(١) آخر ما وجد من هذه الرسالة.

الشيء الحسن ، والوجه الحسن ، سبح بارئه وخالقه ؛ وقيل : هي باقية على أصلها ، لأن التسبيح التنزيه.

وقيل : « سبحات وجهه » في الحديث ، جملة معترضة ، يريد قائل هذا : إسناد الفعل إلى الوجه المنزه ، حكاه ابن الأثير ؛ وقال : الأقرب أن المعنى ، لو انكشف من أنواره - التي تحجب العباد - شيء ، لأهلك كل من وقع عليه ذلك النور ، كما خر موسى صعقا ، وتقطع الجبل ، لما تجلى سبحانه ؛ وهذا : لا يبعد ، إن أريد نور الذات ، هذا ما ظهر لي ، والسلام.

وله أيضاً : رحمه الله تعالى ، وعفا عنه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، إلى الأخ : محمد بن راشد الجابري ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ وبعد : فنحمد إليكم الله ، الذي لا إله إلا هو ، وهو للحمد أهل ، وهو على كل شيء قدير ؛ والسؤالات ، وصلت.

فأما : السؤال الأول ، فيمن آمن بلفظ « الاستواء » الوارد في كتاب الله ، لكن نازع في المعنى ، وزعم أنه هو : الاستيلاء ؛ فهذا جهمي ، معطل ، ضال ، مخالف لنصوص الكتاب والسنة ، وإجماع سلف الأمة ؛ وهذا القول هو المعروف عند السلف ، عن جهم وشعيته الجهمية ؛ فإنهم لم يصرحوا برد ألفاظ القرآن ، كالاستواء ، وغيره ، من الصفات ؛ وإنما خالفوا السلف في المعنى المراد.

وقـولهم هـذا ، لا يعـرف في المسلميـن ، إلا عن الجهم بن صفوان ، تلميذ الجعد بن درهم ؛ وكان الجعد قد سكن حـرّان ، وخالط الصـابئة ، واليهـود ، وأخـذ عنهم من المقالات والمذاهب المكفرة، ما أنكره عليه كافة أهل الإسلام، وكفروه بذلك ، حتى إن خالد بن عبد الله القسري ، أمير واسط في خـلافة بني أميـة ، قتل الجعـد ، وضحى به يـوم العيـد الأكبر ، فقال وهو على المنبر : أيها الناس ، ضحوا تقبل الله ضحاياكم ، فإني مضح بالجعد بن درهم ، إنه زعم أن الله لم يكلم مـوسى تكـليمـاً ، ولم يتخـذ إبـراهيم خليـلاً ؛ ثم نـزل فذبحه ، وشكره على هذا الفعل ، وصوبه جميع أهل السنة ؛ وإنما قال الجعد هذه المقالة ، لاعتقاده أن الخلة ، والتكليم ، والاستـواء ، ونحـو ذلـك ، من الصفـات ، لا تكـون إلا من صفات المخلوقات ، وخصائص المحدثات.

وهـذا المذهب : نشـأ ، من سـوء اعتقـادهم ، وعـدم فهمهم لما يراد ، وما يليق من المعنى المختص بالله ، فظنوا ظن السوء بالله وصفـاته ، ثم أخـذوا في نفيها ، وتعـطيلها ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، والإلحاد في أسمائه ، ولو عرفوا أنما يثبت لله من الصفات ، لا يشبه صفات المخلوقات ، بل هو بحسب الذات ، وكل شيء صفاته بحسب ذاته ، فكما أننا نثبت له ذاتاً لا تشبه الذوات ، فكذلك نثبت له صفات ، لا تشبـه صفـات المخلوقـات ؛ لـو عـرفـوا هـذا ، لسلمـوا من التعطيل ؛ وعلى قولهم ، ومذهبهم الخبيث : لا يعبـدون رباً

موصوفاً بصفات الكمال ، وصفات العظمة والجلال ؛ وإنما يعبدون ذاتاً مجردة عن الصفات ، فهم كما قال بعض العلماء : لا يعبدون واحداً ، أحداً ، فرداً صمداً ، وإنما يعبدون خيالاً عدما.

وهذا المذهب : اشتهر بعد الجعد بن درهم ، عن تلميذه : جهم بن صفوان ؛ ولذلك يسمى أهل هذا المذهب ، عند السلف ، وأئمة الأمة : جهمية ، نسبة إلى جهم ، ثم أعلن به وأظهره : بشر المريسي ، وأصحابه ، في أوائل المائة الثالثة ، لأنهم تمكنوا من بعض ملوك بني العباس ، وصار لهم عنده جاه ومنزلة ، فقويت بذلك شوكة الجهمية ، وكثر شرهم ، وعظم على الإسلام وأهله كيدهم ، وضررهم ، حتى امتحنوا من لم يوافقهم على بدعتهم وضلالتهم ، فشردوا بعض أهل السنة عن أوطانهم ، وحبسوا وضربوا ، وقتلوا على هذا المذهب.

وجرى على إمام السنة ، الإمام : أحمد بن حنبل من ذلك ، أشد امتحان وأعظم بلية ، وضرب حتى أغشي عليه من الضرب ، وإذا جادله منهم مجادل ، قال : ائتوني بشيء من كلام الله ، وكلام رسوله ، حتى أجيبكم إليه ، فيأبون ويعرضون ، ويرجعون إلى شبه الفلاسفة ، واليونان ، وهو مع ذلك يكشف لهم الشبه ، ويبين بطلانها ، بأدلة الكتاب ، والسنة ، وإجماع الأمة ، والأدلة العقلية الصريحة ، وصنف في

ذلك كتابه المعروف ، في الرد على الزنادقة ، والجهمية ، وهو كتاب جليل ، لا يستغني عنه طالب العلم.

والمقصود : أن علماء الأمة ، أنكروا مذهب الجهمية ، أشد الإنكار ، وصرحوا بأنه من مذاهب الضلال والكفار ، ولم يخالف في ذلك أحد منهم ، وقد جمع الإمام اللالكائي ، جملة من كلام السلف في تكفيرهم ، وتضليلهم ؛ في كتابه الذي سماه : « كاشف الغمة ، عن معتقد أهل السنة » ومختصر كتابه ، موجود عندكم في الساحل ، قدم به : عبد الله بن معيذر ، عام اثنين وسبعين ، وهو وقف على طلبة العلم الشريف.

إذا عرف هذا ، فأهل السنة : متفقون ، في كل مصر ، وعصر ، على أن الله موصوف بصفات الكمال ، ونعوت الجلال ، التي جاء بها الكتاب ، والسنة ؛ يثبتون لله ، ما أثبته لنفسه المقدسة ، وما وصفه به رسوله ﷺ ، من غير تمثيل ، ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ، ولا تشبيه ؛ لا يبتدعون لله وصفاً ، لم يرد به كتاب ولا سنة ، فإن الله تعالى : أعظم ، وأجل ، وأكبر في صدور أوليائه المؤمنين ، من أن يتجاسروا على وصفه ، ونعته ، بمجرد عقولهم ، وآرائهم ، وخيالات أوهامهم ؛ بل هم منتهون في ذلك ، إلى حيث انتهى بهم الكتاب والسنة ، لا يتجاوزون ذلك بزيادة ، على ما وصف الرب به نفسه ، أو وصفه به رسوله ﷺ.

ولا يعطلون ما ورد في الكتاب والسنة ، من صفات الكمال ، ونعوت الجلال ، وينكرون تعطيل معنى الإستواء ، وتفسيره بالاستيلاء ؛ ويتبرؤون من مذهب من قال ذلك ، وعطل الصفات ، من الجهمية وأتباعهم ؛ وقد وقع في هذا : كثير ممن ينتسب إلى أبي الحسن ، الأشعري ؛ وظنه بعض الناس من مذاهب أهل السنة والجماعة ؛ وسبب ذلك : هو الجهل بالمقالات ، والمذاهب ، وما كان عليه السلف ؛ قال حذيفة رضي الله عنه : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر ، مخافة الوقوع فيه.

فالواجب على من له نهمة في الخير ، وطلب العلم : أن يبحث عن مذاهب السلف ، وأقوالهم في هذا الأصل العظيم ، الذي قد يكفر الإنسان بالغلط فيه ، ويعرف مذاهب الناس ، في مثل ذلك ؛ وأن يطلب العلم من معدنه ومشكاته ، وهو ما جاء به محمد ﷺ من الكتاب ، والحكمة ، وما كان عليه سلف الأمة ؛ قال الله تعالى : (المص ، كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين ، اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون) [الأعراف : ١ ـ٣] وقال تعالى : (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) [الأنعام : ١٥٥].

فإذا وفق العبد لهذا ، وبحث عن تفاسير السلف ، وأئمة الهدى ، ورزق مع ذلك معلماً ، من أهل السنة ، فقد

احتضنته السعادة ، ونزلت به أسباب التوفيق والسيادة ، وإن كان نـظر العبـد ، وميله، إلى كـلام اليـونـان ، وأهـل المنـطق ، والكلام ، ومشائخه من أهل البدعة والجـدل ، فقد احتـوشته أسبـاب الشقاوة ، ونـزلت وحلت قريبـاً من داره ، مـوجبـات الطرد ، عن مائدة الرب ، وكتابه ؛ ومن عدم العلم ، فليبتهل إلى معلم إبراهيم ، في أن يهديه صراطه المستقيم ، وليتفطن لهذا الدعاء ، إذا دعا به في صلاته ، ويعرف شدة فقره إليه ، وحاجته.

وأمـا من جحد لفظ : الاستـواء ، ولم يؤمن به ، فهـو أيضاً : كافر ؛ وكفره أغلظ ، وأفحش من كفر من قبله ؛ وهو : كمن كفر بالقرآن كله ؛ ولا نعلم أحداً قال هذا القول ، ممن يدعي الإسلام ، ويؤمن برسالة محمد ﷺ.

والجهمي : يوافق على كفر هذا ، ولا يشكل كفر هذا ، على من عرف شيئاً من الإسلام ، قال الله تعالى : (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) [هود : ١٧] أي : بالقرآن .

وأما قول القائل : استوى ، من غير مماسة للعرش ؛ فقد قدمنا : أن مذهب السلف ، وأئمة الإسـلام ، عدم الـزيادة ، والمجاوزة ، لما في الكتاب ، والسنة ، وأنهم يقفون وينتهون ، حيث وقف الكتاب والسنة ، وحيث انتهيا ، قال الإمام أحمد ، رحمه الله : لا يوصف الله تعالى ، إلا بما وصف به نفسه ، ووصفه به رسوله ، انتهى ؛ وذلـك لعلمهم بالله وعـظمته في

صدورهم ، وشدة هيبتهم له ، وعظيم إجلاله.

ولفظ : « المماسة » لفظ مخترع ، مبتدع ، لم يقله أحد ممن يقتدى به ، ويتّبع ، وإن أريد بـه : نفي ما دلت عليـه النصوص ، من الاستواء ، والعلو ، والارتفاع ، والفوقية ، فهو قول باطل ، ضال قائله ، مخالف للكتاب والسنة ، ولاجماع سلف الأمة ،مكابر للعقول الصحيحة ، والنصوص الصريحة ، وهو جهمي لا ريب ، من جنس ما قبله ؛ وإن لم يـرد هذا المعنى ، بل أثبت العلو ، والفوقيـة ، والإرتفاع ، الـذي دل عليه لفظ الاستواء ، فيقال فيه : هـو مبتدع ضـال ، قال في الصفات قولاً مشتبهاً موهماً ، فهذا اللفظ : لا يجوز نفيه ، ولا إثباته ، والواجب في هذا الباب : متابعة الكتاب ، والسنـة ، والتعبير بالعبارات السلفية الإيمانية ، وترك المتشابه.

وأما من قال : إذا قلتم إن الله على العـرش استوى ، فأخبروني قبل أن يخلق العرش ، كيف كان ؟ وأين كان ؟ وفي أي مكان؟!

وجوابه : أن يقال ، أما كيف كان ؟ فقد أجاب عنها : إمام دار الهجرة ، التي تضـرب إليه أكبـاد الإبل ، في طلب العلم النبوي ، والميراث المحمدي ، قال له السائل ، يا أبا عبد الرحمن : (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى ؟ فقال مالك : الإستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة ؛ وأمر بالسائل فأخرج عنه.

فأخبر رحمه الله : أن الكيف غير معلوم ، لأنه لا يعلم إلا بعلم كيفية الذات ، وقد حجب العباد عن معرفة ذلك ، لكمال عظمته ، وعظيم جلاله ، وعقول العباد ، لا يمكنها إدراك ذلك ، ولا تحمله ، وإنما أمروا بالنظر ، والتفكر ، فيما خلق وقدر ؛ وإنما يقال : كيف هو؟ لمن لم يكن ، ثم كان ؛ فأما الذي لا يحول ، ولا يزول ، ولم يزل ، وليس له نظير ، ولا مثل ، فإنه لا يعلم كيف هو ، إلا هو ؛ وكيف يعرف قدر من لم يبد ، ولا يموت ، ولا يبلى ؟ وكيف يكون لصفة شيء منه حد ومنتهى ، يعرفه عارف ، أو يحد قدره واصف ؟ لأنه الحق المبين ، لا حق أحق منه ، ولا شيء أبين منه ؛ والعقول : عاجزة قاصرة ، عن تحقيق صفة أصغر خلقه ، كالبعوض ، وهو لا يكاد يرى ، ومع ذلك يحول ، ويزول ، ولا يرى له سمع ، ولا بصر ، فما يتقلب به ، ويحتال من عقله ، أخفى وأعضل ، مما ظهر من سمعه ، وبصره ، (فتبارك الله أحسن الخالقين) [المؤمنون : ١٤] (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) [الشورى : ١١].

وقد قال بعضهم ، مخاطباً للزمخشري ، منكراً عليه نفي الصفات ، شعراً:

قل لمن يفهم عني ما أقول	قصر القول فذا شرح يطول
أنت لا تفهم إياك ولا	من أنت ولا كيف الوصول
لا ولا تدري خفايا ركبت	فيك حارت في خباياها العقول
أنت أكل الخبز لا تعرفه	كيف يجري منك أم كيف تبول

أين منك الروح في جوهرها كيف تسري فيك أم كيف تجول
فإذا كانت طواياك التي بين جنبيك كذا فيها ضلول
كيف تدري من على العرش استوى لا تقل كيف استوى كيف النزول

وبالجملة : فهذا السؤال ، سؤال مبتدع ، جاهل بربه ؛ وكيف يقول : إذا قلتم ، إن الله على العرش استوى ؟ وهو يسمع : إثبات الإستواء ، في سبعة مواضع من القرآن.

وأما قوله : أين كان قبل أن يخلق العرش ؟ فهذه المسألة : ليس فيها تكييف ، ولا ابتداع ، وقد خرج الترمذي جوابها ، مرفوعاً ، من حديث : أبي رزين العقيلي ، أنه قال : يا رسول الله ، أين كان ربنا ، قبل أن يخلق الخلق ؟ قال : « في عماء ، ما فوقه هواء ، وما تحته هواء » انتهى الحديث ، فهذا جواب ، مرفوع إلى النبي ﷺ قد قبله الحفاظ ، وصححوه ؛ والعماء ، هو السحاب الكثيف ، قال يزيد بن هارون ، إمام أهل اليمن ، من أكابر الطبقة الثالثة ، من طبقات التابعين ، ومن ساداتهم ، معناه : ليس معه شيء.

وأما قول السائل ، وفي زعم هذا القائل : إنه بذلك ينبغي حاجة الرب إلى العرش ؛ فيقال : ليس في إثبات الإستواء على العرش ، ما يوجب الحاجة إليه ، أو فقر الرب تعالى وتقدس ، إلى شيء من خلقه ؛ فإنه سبحانه هو الغني بذاته عما سواه ، وغناه من لوازم ذاته ، والمخلوقات بأسرها ــ العرش فما دونه ــ فقيرة محتاجة إليه تعالى ، في إيجادها ،

وفي قيامها ، لأنه لا قيام لها إلا بأمره ، قال تعالى : (ومن ءَاياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) [الروم : ٢٥] والسماء : اسم لما علا وارتفع ؛ فهو اسم جنس ، يقع على العرش ، قال تعالى : (ءَأمنتم من في السماء) الآية [الملك : ٢٦] وبحوله وقوته حمل العرش ، وحمل حملة العرش ؛ وهو الذي : (يمسك السموات والأرض أن تزولا) الآية [فاطر : ٤١] وجميع المخلوقات : مشتركون في الفقر ، والحاجة ، إلى بارئهم ، وفاطرهم .

وقد قرر سبحانه كمال غناه ، وفقر عباده إليه ، في مواضع من كتابه ، واستدل بكمال غناه ، المستلزم لأحديته ، في الرد على النصارى ، وإبطال ما قالوه من الإفك العظيم ، والشرك الوخيم ، قال تعالى : (قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني) الآية [يونس : ٦٨] وكمال غناه يستلزم نفي الصاحبة، والولد ، ونفي الحاجة إلى جميع المخلوقات .

ولا يظن أحد يعرف ربه ، أو شيئاً من عظمته وغناه ومجده ، أنه محتاج إلى العرش ، أو غيره ؛ وإنما يتوهم هذا من هو في غاية الجهالة والضلالة ، أو من لم يعرف شيئاً من آثار النبوة والرسالة ؛ أو من فسدت فطرته ، ومسخ عقله ، بنظره في كلام الجهمية ، وأشباههم ، حتى اجتالته الشياطين ، فلم يبق معه اثارة من علم ، ولا نصيب من فهم ؛ بل استواؤه على عرشه ، صفة كمال ، وعز ، وسلطان ؛ وهو من معنى اسمه (الظاهر) ومعناه : الذي ليس فوقه شيء ؛ والعلو ، علو

الذات ، وعلو القدر ، وعلو السلطان ؛ كلها ثابتـة لله ، وهي صفات كمال ، تدل على غناه ، وعلى فقر المخلوقات إليه .

والذي ينبغي لأمثالنا : ترك الخوض مع هؤلاء المبتدعة الضلال ، وترك مجالستهم ، قال تعـالى : ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في ءَاياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حـديث غيره ﴾ [الأنعام : ٦٨] وأكثر المعطلة ، يزعمون أن تعطيلهم ، تنزيه للرب عما لا يليق به ، فساء ظنهم ، وغلظ حجابهم ، حتى توهموا : أن إثبات ما في الكتاب والسنة ، على ما فهمه سلف الأمة مما ينزه الرب ، تبارك وتعالى عنه .

وله أيضاً : قدس الله روحه ، ونور ضريحه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، إلى الأخ : محمد بن عون ، سلمه الله تعالى ، وأعانه ، وبالعلم كمله وزانه ،سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ وبعد : فنحمد إليكم الله ، الذي لا إلـه إلا هو ، على نعمـه ، جعلنـا الله وإيـاكم من عبـاده الشاكرين ، وقد بلغني ما منّ الله به عليك ، من جهادك أهل البدع ، والإغلاظ في الإنكـار على الجهمية المعـطلة ، ومن والاهم ؛ وهذا من أجل النعم ، وأشـرف العطايـا ، وهو من أوجب الواجبات الدينية.

فإن الجهاد بالعلم والحجة ، مقـدم على الجهاد بـاليد والقتال ، وهو من أظهر شعائر السنة ، وآكدها ، وإنما يختص

به في كل عصر ومصر : أهل السنة ، وعسكر القرآن ، وأكابر أهل الدين ، والإيمان ، فعليك بالجد والإجتهاد ، واعتد به ، من أفضل الزاد للمعاد ، قال تعالى : (إنا لننصر رسلنا والذين ءَامنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) [غافر : ٥١ ، ٥٢].

هـذا وقد ألقى إلي ورقة ، جاءت من نحوكم ، سودها بعض الجهمية المعطلة ، مشتملة على إنكار علو الله على خلقه ، واستوائه على عرشه ؛ كما هو رأي جهم وأشياعه ؛ محتجاً صاحبها بشبهات ، . كسراب بقيعة ، من نظر إليها من أهل العلم والمعرفة ، تيقن أنه من الأدلة على أن قائله ، قد عدم العلم والإيمان ، والحقيقة ، وأنه أضل ممن : (ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) [الكهف : ١٠٤] وقد أبداه قائله ، ليتشبع بما لم يعط من العلم ، ويتزيا بغير زيه ، فكشف الله سَوأته ، وأبدى خزيته ، وصار كلامه دليلاً على جهله وعماه ، وضلاله عن سبيل رشده وهداه.

فأول ما رسم في هذه الورقة المشار إليها قوله : وفقك الله لأقوم طريق ، هل لكلمة التوحيد ، وهي « لا إلٰه إلا الله » شروط ، وأركان ، وآداب ؟ فإن قلت : نعم ؛ فما هي ؟ هذا لفظه . وقد عرفت : أن هذا الرجل ليس من أهل هذا الفن ، ولا يدري ما هنالك.

والتوحيد عند هذه الفرقة الجهمية ، حقيقته : تعطيل

الأسماء والصفات ، لأن عندهم تعدد الصفات ، يقتضي تعدد الموصوف ؛ والوحدة عندهم ، والتوحيد ينافي ذلك ، فيثبتون ذاتاً مجردة ، وحقيقة مطلقة ، غير موصوفة بصفة ثبوتية ؛ ويفسرون الواحد بأنه الذي لا يقبل الإنقسام ، هذا كلام شيوخه ، وأسلافه ، من الجهمية الضالين ، الذين ينكرون العلو ، والاستواء ؛ ويزعمون : أنه بذاته مستو في كل مكان ؛ فما نزهوه عن شيء من الأماكن القذرة ، التي ينزه عنها آحاد خلقه ، فما أجرأهم ! وأما أكفرهم ! وما أضلهم عن سواء السبيل ! ومنكر الاستواء ، هذا توحيده ، وهذا رأيه.

وأما التوحيد ، الذي اشتملت عليه كلمة الإخلاص ، فهو أجنبي عنه لا يدريه ، وكيف يدري ذلك من أنكر أظهر الصفات التي بنيت عليها كلمة الإخلاص ، واستحق بها الرب ما له من صفات الإلّهية ، والربوبية ، والكمال المطلق ؛ فما للجهمية وهذا ؟! وهم إنما يعبدون عدماً ؛ وإنما يبحث عن هذا ، ويدريه : من يعبد إلّهاً واحداً ، فرداً صمداً .

وشروط : كلمة الإخلاص ، يعرفها بحمد الله ، صغار الطلبة من المسلمين ، أهل الإثبات ، ويتبين ذلك بتعريف الشرط ، وهو أنه : ما يلزم من عدمه العدم ، ولا يلزم من وجوده الوجود لذاته ؛ وإذا عرف هذا ، فالعقل : يلزم من عدمه العدم ؛ والتمييز : يلزم من عدمه العدم ، والعلم : يلزم من عدمه العدم ؛ هذه شروط الصحة ؛ وأما شروط القبول ،

فالإلتزام ، والإيثار ، والرضاء ؛ وإذا اجتمعت هذه الشروط ، حصل القول المنجي ، والشهادة النافعة ؛ ومصدر هذه الشروط ، عن علم القلب ، وعمله ؛ وهناك يصدر التلفظ بها ، عن يقين وصدق ؛ والجهمية : لم يتصفوا بشرط من هذه الشروط ؛ وقد صرح أهل السنّة بذلك ، وحاجة معطلة الصفات ، إلى معرفة التوحيد ، في العبادات ، كحاجة من عدم الرأس من الحيوانات ، إلى الرسن ؛ قال أبو الطيب:

فقر الجهول بلا عقل إلى أدب فقر الحمار بلا رأس إلى رسن

ولها أيضاً : **شروط** ؛ منها : معرفة الإلّه الحق ، بصفات كماله ، ونعوت جلاله ، التي علوه ، وارتفاعه ، واستواؤه على عرشه ، من أظهرها ، وأوجبها ؛ وكذلك معرفة أمره ونهيه ، ودينه الذي شرعه ، والوقوف مع أمر رسوله ، وحدوده ؛ ومنها : كون الطبيعة لينة ، منقادة ، سلسة ، قابلة ؛ وهذه الشروط معدومة في السائل ، قد اتصف بضدها ؛ معبوده : مسلوب الصفات ، لا وجود له في الحقيقة ، وأمره ، ونهيه ، منبوذ عند هذه الطائفة ، لا يهتدون بكتابه ، ولا يأتمرون بأمره ، والمعول عندهم على شبهات منطقية ، وخيالات كلامية ، يسمونها : قواطع عقلية ، ومقدمات يقينية ، ونصوص الكتاب ، والسنة ، عندهم : ظواهر لفظية ، وأدلة ظنية.

وأما طبائعهم : فأقسى الخلق ، وأعتاهم ، وأعظمهم رداً

على الرسل ، اعتماداً على أقوال الصابئة ، والفلاسفة ، وأمثالهم من شيوخ القوم ، الذين لم يلتفتوا إلى ما جاءت به الرسل ، ولم يرفعوا به رأساً ، فضلاً عن معرفته وقبوله ، فما لهذا السائل ؟! وآداب كلمة الإخلاص ؟! وأما الأركان فركناها : النفي ، والإثبات ؛ نفي استحقاق الإلهية عما سوى الله ، وإثباتها لله وحده ، على وجه الكمال ؛ وأما الآداب ، فالدين كله يدخل في مدلولها ، وآدابها .

وأرفع مراتب الآداب ، وأعلاها : مرتبة الإحسان ، وهي أعلى مقامات الدين ؛ وبسطها يعلم من معرفة شعب الإيمان ، وواجباته ، ومستحباته ؛ وعندهم : أن الإيمان مجرد التصديق ، فلا يشترط عمل القلب ، وعمل الأركان ، في حصول الحقيقة المميزة ، بين المسلم والكافر ؛ هذا رأي الجهمية الجبرية ؛ فالأعمال عندهم : ليست من مسماه ، والتصديق والإخلاص ، ليسا من أركانه ؛ وهذا يعرفه صغار الطلبة ، فكيف يترشح هذا الجهمي ، لما ليس من فنه ، ولا من علمه ؛ وفي المثل : ليس هذا عشك ، فادرجي ؛ والمقصود : إفادة مثلك ؛ وأما السائل : فليس كفواً للرشاد إلى الهدى.

ثم قال الجهمي ، في ورقته : وقوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) [طه : ٥] ما معناه : استواؤه مختص بالعرش ، أو به وبغيره ، لأنه تعالى ما نفى استواءه عن غيره ؛

فإذا زعمت : أن استواءه مختص بالعرش ، فمن أي شيء علم ذلك ؟ وهل أتى سبحانه بحرف الحصر ؟ وحرف الإختصاص ؟ وهل تعرف حروف الإختصاص ؟ وحروف الحصر أم لا ؟ وما هي ؟ فإذا قلت ، مثلاً : زيد استوى على الدار ، فهل علم منه : أنه لا يستوي على غيره ؟ والعاقل : يعلم ذلك بأدنى تأمل.

وجوابه ، أن يقال : قد ثبت من غير طريق ، عن مالك بن أنس رحمه الله ، وعن شيخه ربيعة بن عبد الرحمن ، بل ويروى عن أم سلمة ، أم المؤمنين ، أنهم قالوا : الإستواء معلوم ، والكيف مجهول ؛ وفي بعض طرقه : والكيف غير معقول ، والسؤال عنه بدعة ؛ وزاد مالك ، فقال للسائل : وما أراك إلا رجل سوء ، وأمر به فأخرج ؛ وعلى هذا درج أهل العلم ، وأهل السنة ، من عهد رسول الله ﷺ إلى وقتنا هذا ، ولم يخالف في ذلك ، إلا الطائفة الضالة ، الملعونة ، الجهمية ، وأشياخهم من غلاه الإتحادية ، والحلولية.

وأما أهل السنة ، فعرفوا المراد ، وعقلوه ، ومنعتهم الخشية ، والهيبة ، والإجلال ، والتعظيم ، من الخوض ، والمرا ، والجدال ، والكلام الذي لم يؤثر ، ولم ينقل ؛ وقد عرفوا المراد من الاستواء ، وصرح به أكابر المفسرين ، وأهل اللغة ؛ فثبت عنهم تفسيره بالعلو ، والارتفاع ، وبعض أكابرهم ، صرح بأنه صعد ؛ ولكنهم : أحجموا عن مجادلة

السفهاء ، الجهمية ، تعظيماً لله ، وتنزيهاً لرب البرية ؛ وإذا أخبر ــ جل ذكره ــ أنه استوى على العرش ، وعلا ، وارتفع ، وكل المخلوقات ، وسائر الكائنات ، تحت عرشه ، وهو بذاته فوق ذلك ؛ وفي الحديث : « وأنت الظاهر فليس فوقك شيء » فإذا عرف هذا ، عرف معنى اختصاص العرش بالاستواء ، وأن هذه الصفة ، مختصة بالعرش.

وقد ثبت أنه ﷺ قال للرجل ، الذي قال له : إنا نستشفع بك على الله ، وبالله عليك ؛ قال : « الله أكبر ، الله أكبر ، إن شأن الله أعظم من ذلك ، ويحك ! أتدري ما الله ؟! إنه على عرشه ــ وأشار بيده كالقبة ــ وإنه ليئط به أطيط الرحل الجديد براكبه » وهذا الحديث : لا يستطيع سماعه الجهمي ، ولا يؤمن به إلا أهل السنة ، والجماعة ، الذين عرفوا الله بصفات كماله ، وعرفوا عظمته ، وأنه لا يليق به غير ما وصف به نفسه ، من استوائه على عرشه ، ونزهوه أن يستوي على ما لا يليق بكماله وقدسه ، من سائر مخلوقاته.

ومن أصول أهل السنة والجماعة : أنه سبحانه لا يوصف إلا بما وصف به نفسه ، ولم يصف نفسه بأنه استوى على شيء غير العرش ، وكذلك رسله ، وأنبياؤه ، وورثتهم ، لم يصفوه إلا بما وصف به نفسه ، فإنكار هذا الجهمي : اختصاص الاستواء بالعرش ، تكذيب لما جاءت به الرسل ، ورد لما فطر الله عليه بني آدم ، من التوجه إلى جهة العلو ،

وطلب معبودهم ، وإلههم ، فوق سائر الكائنات (فبعداً للقوم الظالمين) [المؤمنون : ٤١].

وتخصيص العرش بالاستواء : نص في أنه لم يستو على غيره ، والسائل أعجمي ، لا خبرة له بموضوع الكلام ، ودلالته ؛ قال الحسن في مثل هؤلاء : دهتهم العجمة ؛ ونفي الإستواء عن غير العرش : معلوم من السياق ، مع دلالة النص ، والإجماع ، والفطرة ، وكذلك دلالة الأسماء الحسنى ، كالعلي ، والأعلى ، والظاهر ، ونحو ذلك ؛ ولفظ : العلو ، والإرتفاع ، والصعود ، يشعر بذلك ؛ ويستحيل أن يستوي على شيء مما دون العرش ، لوجوب العلو المطلق ، والفوقية المطلقة.

وأما قوله : وهل أتى سبحانه بحرف الحصر والإختصاص ؟ فدلالة الكلام على الحصر ، والإختصاص ، تارة تكون بالحروف ، وتارة تكون بالتقديم والتأخير ؛ وتارة تكون من السياق ؛ وتارة تكون بالاقتصار على المذكور في الحكم ، ولا يختص الإختصاص بالحروف ، قال تعالى : (إياك نعبد وإياك نستعين) [الفاتحة : ٥] وهذا الضمير الظاهر ، ليس من حروف الحصر ، وإنما عرف واستفيد من التقديم ، والتأخير ؛ وتارة يستفاد من الحروف ، كقوله : « إنما الأعمال بالنيات » وقوله تعالى : (أنما إلهكم إله واحد) [الكهف : ١١٠] وتارة من الاستثناء بـ « إلا » بعد النفي ،

كقوله : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) [الأنبياء : ١٠٧] (وما محمد إلا رسول) [آل عمران : ١٤٤] ونحو ذلك.

والسائل حصرها ، يظنها منحصرة في الحروف ، وهذا من جهله ، ثم يسأل هنا عن أقسام الحصر ، كم هي ؟ وما الفرق بين حصر الأفراد ، وحصر القلب ، والحصر الإدعائي ، ومقابله ؟ ويسأل : هل دلالة الحصر ، نصِّية ، أو ظاهرية ؟ وهل هي : لفظية أو عقلية ؟ وما أظنه يحسن شيئاً من ذلك ؛ وإذا أخبر تعالى : أنه استوى على العرش ، فلا يجوز أن يقال : إنه استوى على غيره ، لوجوه ، منها : أنه لا يوصف إلا بما وصف به نفسه ، والتجاسر على مقام الربوبية ، بوصفه بما لم يصف به نفسه ، وزيادة نعت لم يعرف عنه ، ولا عن رسله : قول على الله بغير علم ، وهو فوق الشرك ، في عظم الذنب والإثم ؛ وأكذب الخلق : من كذب على الله ، قال الله تعالى : (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن) الآية [الأعراف : ٣٣].

الوجه الثاني : أن الله سبحانه وتعالى ، يستحق من الصفات أعلاها ، وأجلها ، وأشرفها ؛ والعرش : أعظم المخلوقات ، وهو سقفها الأعلى ، وقد وصفه الله تعالى بالعظم ، فقال : (رب العرش العظيم) [التوبة : ١٢٩] وقال : (ذو العرش المجيد) [البروج : ١٥] ووصفه بالسعة ، فقال : (وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده

حفظهما) الآية [البقرة : ٢٥٥] فكيف يوصف بالاستواء على ما دونه ، وقد تمدح ، وأثنى على نفسه باستوائه عليه ، ووصفه بما لم يصف به غيره من مخلوقاته.

الوجه الثالث : أن تمثيله بقول القائل : زيد استوى على الدار ، وأن ذلك لا يعلم منه ، أنه لا يستوي على غيرها ، فهذا جهل عظيم ، والكلام يختلف باختلاف حال الموصوف ، وما يليق له من الصفات ؛ وأصل ضلال هذه الطائفة : أنهم فهموا من صفات الله الواردة ، في الكتاب ، والسنة ، ما يليق بالمخلوق ، ويختص به ، فلذلك أخذوا في الإلحاد ، تشبيه المخلوق بالخالق.

الوجه الرابع : أن هذا التمثيل الذي أبداه السائل ، قد نص القرآن على إبطاله ، قال تعالى : (فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون) [النحل : ٧٤] وأصل الشرك : والتعطيل ، شبهوا أولاً ، وعطلوا ثانياً .

فصل:

قال الجهمي في ورقته : وإذا أقررت لله مكاناً معيناً ، فما معنى قوله تعالى : (فأينما تولوا فثم وجه الله) [البقرة : ١١٥] وقال : (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) [ق : ١٦] وقال : (إنه قريب) وقال ﷺ : « حيثما كنتم فإنه معكم » ؟ فإذا قلت : هذه الآيات مؤولة ، وأقررت بالتأويل ، فالآية الأولى : أولى به ، لأنها بلا تأويل ، تخالف الإجماع ،

وتعارض الآيات ، والأحاديث ، أم آيات الأخيرة ، فقد قيل في الأولى : لأنها ليست من المتشابهات ، لأن الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، وما نفى الاستواء عن غير العرش . هذا : كلامه بحروفه ، نقلناه على ما فيه من التحريف ، واللحن ، ليعتبر الناظر ، ويعرف المؤمن المثبت ، حال هؤلاء الجهال ، الضلال ، الحيارى .

فأما قوله : إذا أقررت لله مكاناً معيناً ؛ فاعلم : أن أهل السنة ، والجماعة ، ورثة الرسل ، وأعلام الهدى ، لا يصفون الله إلا بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ﷺ ، من غير زيادة ولا نقص ، ينتهون حيث انتهى بهم ، تعظيماً للموصوف ، وخشية ، وهيبة ، وإجلالاً .

وأما أهل البدع ، فيخوضون في ذلك ، ويصفونه بما لم يصف به نفسه ، ويلحدون فيما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ﷺ ، ولا يتحاشون من الكلام في ذلك ، بالبدع التي لا تعرف ؛ وقد ذم الله هذا الصنف في كتابه ، ووصفهم بالخوض بما لم يأتهم عنه ، ولا عن رسله ؛ وذكر الله عن أصحاب النار ، أنهم قالوا ، لما قيل لهم : (ما سلككم في سقر ، قالوا لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين ، وكنا نخوض مع الخائضين) [المدثر : ٤٢ ــ ٤٥] فوصفهم بالعتو عن طاعته ، وعدم الانقياد لعبادته ، بقوله : (لم نك من المصلين) ووصفهم بعدم الإحسان ، والمعروف ، بقوله : (لم

نك نطعم المسكين) ووصفهم بالخوض في شأن دينهم ، وما جاءت به رسلهم ، وعدم وقوفهم مع ما أمروا به ، وتعديهم إلى ما يرونه ، ويهوونه ، بقوله : (وكنا نخوض مع الخائضين) .

وهذا حال أهل البدع ، والضلالات ، الذين لم يؤسسوا دينهم ، على ما جاءت به الرسل ؛ إذا عرف ذلك ، فلفظ « المكان » لم يرد ، لا نفياً ، ولا إثباتاً ، وقد يراد به معنى صحيحاً ، كالعلو ، والاستواء ، والظهور ؛ وقد يراد به غير ذلك ، من الأماكن المحصورة ؛ فالواجب ترك المشتبه ، والوقوف مع نصوص الكتاب ، والسنة .

فيقال لهذا الجهمي : نحن لا نقر لله من الصفات ، إلا ما نطق به الكتاب العزيز ، وصحت به السنة النبوية ؛ ولا يلزم من أثبت ذلك شيء من البدعيات ، والأوضاع المختلقة ؛ وأما قوله : (فأينما تولوا فثم وجه الله) فسياق الآية الكريمة ، يدل على أنها في شأن القبلة ، قال ابن عباس : خرج نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في سفر ، قبل تحويل القبلة ، فأصابهم الضباب ، وحضرت الصلاة ، وصلوا ، وتحروا القبلة ، فلما ذهب الضباب ، استبان لهم أنهم لم يصيبوا ، فلما قدموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك ، فنزلت هذه الآية ؛ وقال ابن عمر : نزلت في المسافر ، يصلي التطوع ، حيثما توجهت به راحلته .

وقال عكرمة : نزلت في تحويل القبلة ؛ وقال أبو

العالية : عيرت اليهود المؤمنين ، لما صرفت القبلة ، فنـزلت هذه الآية ؛ وقـال مجاهـد ، والحسن : نزلت في الـداعي ، يستقبل أي جهة كان ، لأنهم قالوا لما نزلت (ادعوني أستجب لكم) [غافر : ٦٠] أين نـدعوه ؟ قـال الكلبي : (فثم وجه الله) فثم الله يعلم ويرى ، و « الوجه » صلة ، كقوله تعالى : (كل شيء هالك إلا وجهه) [القصص : ٨٨] أي : إلا هو ؛ وقال الحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان : فثم قبلة الله ؛ والوجه ، والوجهة ، والجهة : القبلة.

وقـوله : (إن الله واسـع عليم) [البقرة : ١١٥] ختم هذه الآية ، بهذين الإسمين الشريفين ، يشعر بما قاله الكلبي ، من أنه يعلم ويرى ؛ ومن كان له أدنى شعـور ، بعظمـة الله وجلاله : عرف صغر المخلوقات بأجمعها ، في جنب ما لـه تعالى ، من الصفات المقدسة ، ولم يختلج في قلبه ريب ، ولا شك ، في الإيمان بهذه النصوص كلها ؛ وعرف الجمـع بينها ، وبين ما تقدم ؛ فسبحان من جلت صفاته ، وعظمت أن يحاط بشيء منها.

وأما قوله : (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) فهـذا القرب : لا ينافي علوه على خلقـه ، واستواءه على عـرشه ، وفي الحـديث : « وأنت الظاهـر فليس فـوقـك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء » ولا يعرف هذا : من ضاق نطاقه عن الإيمان بما جاءت به الرسل ؛ وإنما يعرفـه رجال آمنـوا بالله ، وصدقوا المرسلين ؛ ومن أسمائه : العلي الأعلى ؛ ومن

أسمائه : القريب المجيب ؛ ومن أسمائه : الظاهر الباطن.

وكذلك قوله تعالى : (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب) [البقرة : ١٨٦] وقد حرف هذا السائل ، هذه الآية ، وقال : إنه قريب ، وهذا قرب خاص بداعيه ؛ وفي الحديث : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » لأن حال السجود غاية في العبودية ، والخضوع ؛ ولذلك صار له قرب خاص لا يشبهه سواه ، وهذا مما يبين لك بطلان قول الجهمي : إنه بذاته في كل مكان ، ولو كان الأمر كما قال الضال ، لم يكن للمصلي والداعي خصوصية بالقرب ، ولكان المصلي ، وعابد الصنم ، سواء في القرب إليه ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وقال العلامة : ابن القيم رحمه الله ، المعية : نوعان ؛ عامة ، وهي : معية العلم ، والإحاطة ، كقوله تعالى : (وهو معكم أينما كنتم) [الحديد : ٤] وقوله : (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا) [المجادلة : ٧] وخاصة ، وهي : معية القرب ، كقوله : (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) [النحل : ١٢٨] (إن الله مع الصابرين) [البقرة : ١٥٣] (وإن الله لمع المحسنين) [العنكبوت : ٦٩] فهذه معية قرب ، تتضمن الموالاة ، والنصر ، والحفظ ، وكلا المعيتين مصاحبة منه للعبد ، لكن هذه مصاحبة اطلاع وإحاطة ، وهذه مصاحبة موالاة ونصر

وإعانة فـ « مع » في لغة العرب ، للصحبة اللائقة ، لا تشعر بامتزاج ، ولا اختلاط ، ولا مجاورة ، ولا مجانبة ؛ فمن ظن شيئاً من هذا ، فمن سوء فهمه أتى.

وأما القرب : فلم يقع في القرآن ، إلا خاصاً ، وهو : نوعان ؛ قربه من داعيه بالإجابة ؛ وقربه من عابده بالإثابـة ؛ فالأول ، كقوله تعالى : (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعـان) [البقرة : ١٨٦] ولهـذا نزلت جواباً للصحابة رضي الله عنهم ، وقـد سألـوا رسول الله ﷺ : ربنا قريب فنناجيه ؟ أم بعيد فنناديه ؟ فأنزل الله عز وجل هذه الآية ؛ والثاني : كقوله ﷺ : « أقرب ما يكون العبد من ربـه وهو ساجـد » ، « وأقرب مـا يكون العبـد من ربه في جـوف الليل » فهذا قربه من أهل طاعته.

وفي الصحيح عن أبي موسى رضي الله عنه ، قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فارتفعت أصواتنا بالتكبير ، فقال : « يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم ، فإنكم لا تدعون أصم ، ولا غائباً ، إن الذي تدعونه سميع قريب ، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته » فهذا قرب خاص بالداعي ، دعاء العبادة ، والثناء ، والحمد ؛ وهذا القرب : لا ينافي كمال مباينة الرب لخلقه ، واستواءه على عرشه ، بل يجامعه ويلازمه ، فإنه ليس كقرب الأجسام ، بعضها من بعض ، تعالى الله علواً كبيراً ، ولكنه نوع آخر ؛ والعبد في الشاهد : يجد روحه قريبة جداً من محبوب بينه وبينه مفاوز ، تنقطع فيها أعناق المطي ، ويجده

أقرب إليه من جليسه ، كما قيل:

الارب من يدنو ويزعم أنه   يحبك والنائي أحب وأقرب

وأهل السنة : أولياء رسول الله ﷺ وورثته ، وأحباؤه ، الذي هو عندهم أولى بهم من أنفسهم وأحب إليهم منها : يجدون نفوسهم أقرب إليه ، وهم في الأقطار النائية عنه ، من جيران حجرته في المدينة ، والمحبون المشتاقون للكعبة البيت الحرام ، يجدون قلوبهم ، وأرواحهم ، أقرب إليها من جيرانها ، ومن حولها ، هذا مع عدم تأتي القرب منها ؛ فكيف بمن يقرب من خلقه كيف يشاء ؟ وهو مستو على عرشه ؛ وأهل الذوق : لا يلتفتون في ذلك ، إلى شبهة مبطل بعيد من الله ، خلى من محبته ومعرفته ، والقصد : أن هذا القرب ، يدعو صاحبه إلى ركوب المحبة ، وكلما ازداد حباً ، ازداد قرباً ، فالمحبة بين قربين ، قرب قبلها ، وقرب بعدها ؛ وبين معرفتين ، معرفة قبلها حملت عليها ، ودعت إليها ، ودلت عليها ، ومعرفة بعدها هي من نتائجها وآثارها.

وسئل الشيخ : عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، رحمه الله ، عمن يرى : أن أحاديث الصفات ، تجرى على ظاهرها ، ويسكت ، ومعناه من غير اعتقاد حقيقة ، ويتستر بالتفويض . . . الخ .

فأجاب : اعلم أرشدك الله ، أنه لا بد من الإيمان ، بأن الله مستو على عرشه ، بائن من خلقه ، قاهر فوق عباده ، ليس

في ذاته شيء من مخلوقاته ، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته ، كما دلت على هذه الكتب السماوية ، والنصوص النبوية ، والقواطع العقلية ، وأجمعت عليه الأمم ، التي تؤمن بوجود الله ، وبربوبيته العامة ، ولكن لما خاض بعض الناس ، في علم الكلام ، وعربت كتب اليونان ، وقدماء الفلاسفة ، الذين هم من أجهل خلق الله ، وأضلهم في النظريات ، والضروريات ، فضلاً عن السمعيات ، مما جاءت به النبوات ، حدث بسبب ذلك من الخوض والجدال ، في صفات الله ، ونعوت جلاله ، التي جاءت بها الكتب ، وأخبرت بها الرسل ، ما أوجب لكثير من الناس ، تعطيل وجود ذاته ، وربوبيته ، كما جرى للاتحادية ، والحلولية ؛ فمن باب : الكلام ، والمنطق ، دخلوا في هذا الكفر الشنيع ، والإفك الفضيع.

ومنهم من عطل صفات كماله ، ونعوت جلاله ، التي وصف بها نفسه ، ووصفته بها رسله ، وتمدح بها ، وأثنى عليه بها صفوة خلقه ، وخلاصة بريته ، حتى آل هذا القول ، والتعطيل بأهله ، إلى أن شبهوه بالعدم المحض ، فلم يصفوه إلا بصفات سلبية ، ولم يثبتوا له من صفات كماله ، ونعوت جلاله ، ما هو عين الكمال والتعظيم ، والإيمان والإجلال.

واختلف أهل هذا القسم ، اختلافاً كثيراً ، في أصول المقالات، وفروعها ؛ فمنهم من طرد الباب في جميع الصفات ؛ ومنهم من أثبت بعضها ، زعماً منه أن العقل لا يثبت سواها ، ونفى ما عداها من الصفات ، كما هو

المعروف ، عمن ينتسب إلى الأشعري ، والكرامي ؛ ثم هؤلاء قد يقولون في آيات الصفات ، وأحاديثها : تجرى على ظاهرها ؛ يريدون أنها تتلى ، ولا يتعرض لإثبات ما دلت عليه من المعنى المراد ، والحقيقة المقصودة ؛ بل يصرحون برد ذلك ونفيه ؛ ومقصود السلف بقولهم : أمروها كما جاءت ؛ وقول من قال : تجرى على ظاهرها ؛ إثبات ما دلت عليه من الحقيقة ، وما يليق بجلال الله وعظمته ، وكبريائه ، ومجده ، وقيوميته وحده ، كما ذكر الوليد بن مسلم ، عن مالك ، والليث ، وسفيان الثوري ، والأوزاعي ، أنهم قالوا : أمروها كما جاءت بلا كيف.

فقولهم : أمروها كما جاءت ، رد على المعطلة ، الذين لا يرون ما دلت عليه ، وجاءت به من الحقيقة المقصودة ، والمعنى المراد ؛ وقولهم : بلا كيف ، رد على الممثلة ، الذين يعتقدون أن ظاهرها فيه تمثيل ، وتكييف ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ؛ ومذهب السلف : إثبات ما دلت عليه الآيات ، والأحاديث ، على الوجه اللائق ، بجلال الله وعظمته ، وكبريائه ، ومجده.

ومن قال : تجرى على ظاهرها ، وأنكر المعنى المراد ، كمن يقول ، في قوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) [طه : ٥] إنه بمعنى : استولى ، وفي قوله : (لما خلقت بيدي) [ص : ٧٥] إنه بمعنى : القدرة ؛ ومع ذلك ،

يقول : تجرى على ظاهرها ؛ فهذا جاهل متناقض ، لم يفهم ما أريد من قولهم : تجرى على ظاهرها ؛ ولم يفهم أن الظاهر ، هو ما دلت عليه نصاً ، أو ظاهراً في معناه المراد ، ولا يكفي في الإيمان : الإتيان بقول ظاهر ، يوافق ما كان عليه السلف ، وأهل العلم ، مع اعتقاد نقيضه في الباطن ؛ بل هذا عين النفاق ، وهو من أفحش الكفر ، في نصوص الكتاب ، والسنة .

وأهل السنة ، وأهل العلم ، والفتوى : لا يكتفون بمجرد الإيمان بألفاظ الكتاب ، والسنة ، في الصفات ، من غير اعتقاد لحقيقتها ، وما دلت عليه من المعنى ؛ بل لا بد من الإيمان بذلك ؛ وكذا الإستواء على العرش ، العلو ، والارتفاع ؛ وحديث الجارية : نص في أن اعتقاد العلو ، والفوقية ، لا بد منه في الإيمان ، وكما دلت عليه النصوص المتظاهرة ، من الكتاب ، والسنة ، كقوله تعالى : (وهو القاهر فوق عباده) [الأنعام : ١٨] (إليه يصعد الكلم الطيب) [فاطر : ١٠] (تعرج الملائكة والروح إليه) [المعارج : ٤] (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) [غافر : ٢] وحديث الأوعال ، وحديث الرقية ، وحديث الاستسقاء ، وغير ذلك مما لا يكاد يحصى .

قال أبو مطيع : قال أبو حنيفة في الفقه الأكبر ، من قال لا أعرف ربي ، في السماء ، أم في الأرض ، فقد كفر ، لأن الله يقول :(الرحمن على العرش استوى) وعرشه فوق

السماوات ، قلت : فإن قال إنه على العرش استوى ، ولكن لا أدري ، العرش في السماء ، أم في الأرض ، قال : هو كافر ، لأنه أنكر أن يكون الله في السماء ، لأنه تعالى في أعلى عليين ، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل ؛ وهذا يدل على أن من آمن بنفس اللفظ ، ونفى ما يدل عليه من العلو ،فهو كافر عنده ، وغيره ، من الأئمة ، لا يخالفه ؛ وقال مالك رحمه الله : الله في السماء ، وعلمه في كل مكان.

وقد بسط اللالكائي ــ رحمه الله ــ أقوال الأئمة ، من السلف ، ومن بعدهم ، على تكفير هذا الضرب من الناس ، وقد حبس : هشام بن عبد الله الرازي ، قاضي الري ، رجلاً في التجهم ؛ فأظهر التوبة ، فأحضر عنده ، فقال : الحمد لله على التوبة ، فقال هشام : أتشهد أن الله على عرشه ، بائن من خلقه ؟ فقال : أشهد أن الله على عرشه ، ولا أدري ما بائن من خلقه ؛ فقال : ردوه ، فإنه لم يتب ، وذكر الحاكم بإسناد صحيح ، عن محمد بن إسحاق بن خزيمة ، رحمه الله ، أنه قال : من لم يقل إن الله فوق سماواته ، على عرشه ، بائن من خلقه ، وجب أن يستتاب ، فإن تاب ، وإلا ضربت عنقه ، ثم ألقى في مزبلة ، لئلا يتأذى بنتن ريحه ، أهل القبلة ، وأهل الذمة.

وبهذا : تعلم أن التفويض عند السلف ، إنما هو في العلم بالكيفية ، لا فيما دلت عليه النصوص ، من إثبات

صفات الكمال ، كالعلو ، والارتفاع ، والفوقية ؛ فإن هذا لا بد من اعتقاده ، والإيمان به ؛ وقال ابن أبي زيد ، القيرواني ، في قوله : (الرحمن على العرش استوى) أي : بذاته ، وقد أنكر عليه من لا علم له ، ولا اطلاع على مذهب السلف ، والأئمة المقلدين ، رضي الله عنهم أجمعين ؛ وخبط في هذا المقام ، بما لا طائل تحته ، من فضول الكلام ، الدال على فساد القصد ، وعدم رسوخ الأفهام ؛ فنعوذ بالله من معرة الجهل ، والأوهام ، ونستجير به ، من مزلة الأقدام.

وقال أيضاً : **الشيخ عبد اللطيف** ، رحمه الله تعالى :

وأما السؤال عن قوله ﷺ « أعوذ بنور وجهك » وقوله في حديث أبي موسى : « حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ، ما انتهى إليه بصره من خلقه » وقول السائل : هل يفسر هذا النور ، أو لا ؟

فالجواب : أن النور يضاف إلى الله ، إضافة الصفة إلى الموصوف ، ويضاف إليه ، إضافة المفعول إلى فاعله ، كما أشار إليه العلامة : ابن القيم رحمه الله ، في نونيته ؛ وما في دعائه ﷺ مخرجه من الطائف ، من الأول بلا ريب ، فهو صفة ذات ؛ وكذلك تسمى تعالى وتقدس ، بهذا الاسم الأنفس ؛ وأما : ما في حديث أبي موسى ، من ذكر السبحات ، المضافة إلى وجه الله تعالى ، فهي من إضافة الصفة إلى الموصوف ، على ما يأتي تفسيره.

وأما قوله : « حجابه النور » فقد ذكر السيوطي ، وغيره في الحجب ، آثاراً عن السلف ، تدل على أن الله : احتجب بحجب من نور ، مخلوقة له ؛ وكلام صاحب الكافية الشافية : يشير إليه ، لأنه عطفه في الذكر على ما تقدم ، من أوصاف الذات ؛ والأصل في العطف : أن يكون للمغايرة ؛ وقال في « الجيوش الإسلامية » والله سبحانه سمى نفسه نوراً ، وجعل كتابه نوراً ، ورسوله ﷺ نوراً، ودينه نوراً ، واحتجب من خلقه بالنور ، وجعل دار أوليائه نوراً ؛ قال تعالى : (الله نور السموات والأرض) الآية [النور : ٣٥] وقد فسر بكونه : منور السماوات والأرض ؛ وهذا إنما هو فعل ، وإلا فالنور الذي هو من أوصافه ، قائم به ، ومنه اشتق له اسم « النور » الذي هو أحد الأسماء الحسنى.

فالنور يضاف إليه سبحانه ، على أحد وجهين ؛ إضافة صفة إلى موصوفها ؛ وإضافة فعل إلى فاعله ؛ فالأول ، كقوله : (وأشرقت الأرض بنور ربها) [الزمر : ٦٩] إذا جاء لفصل القضاء ، ومنه قوله ﷺ في الدعاء المشهور « أعوذ بنور وجهك الكريم ، أن تضلني ، لا إله إلا أنت » وفي الأثر الآخر : « أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات » فأخبر ﷺ : أن الظلمات أشرقت بنور وجهه ؛ كما أخبر تعالى : أن الأرض تشرق يوم القيامة بنوره.

وفي معجم الطبراني ، والسنة له ، وكتاب عثمان

الدارمي ، وغيرهما ، عن ابن مسعود رضي الله عنه « ليس عند ربكم ليل ولا نهار ، نور السماوات والأرض من نور وجهه » ، وهذا الذي قاله ابن مسعود ، رضي الله عنه ، أقرب إلى تفسير الآية ، من قول من فسرها : إنه هادى أهل السماوات والأرض ؛ وأما من فسرها بأنه : منور السماوات والأرض ، فلا تنافي بينه ، وبين قول ابن مسعود ؛ والحق أنه نور السماوات والأرض ، بهذه الاعتبارات كلها.

وفي صحيح مسلم وغيره ، من حديث أبي موسى الأشعري ، رضي الله عنه ، قال : قام فينا رسول الله ﷺ ، بخمس كلمات : « إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام » فذكرها ؛ وفي صحيح مسلم ، عن أبي ذر رضي الله عنه ، قال : سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك ؟ قال : « نور أنى أراه » قال شيخ الإسلام ، معناه : كان ثَمَّ نور ، أو حال دون رؤيته نور ، وأنى أراه ؛ قال ويدل عليه : أن في بعض الألفاظ الصحيحة ، هل رأيت ربك ؟ قال : « رأيت نوراً » وذكر الكلام في الرؤية ، ثم قال : ويدل على صحته ، ما قال شيخنا ، في معنى حديث أبي ذر رضي الله عنه.

قوله ﷺ في الحديث : « حجابه النور » فهذا النور ــ والله أعلم ــ هو النور المذكور ، في حديث أبي ذر « رأيت نوراً » وأما السبحات ، فهي نور الذات المقدسة العلية ، وهي : النور الذي استعاذ به ﷺ ، وكلامه فيه إيماء ، إلى أنه

تعالى احتجب بهذا النور المذكور ، وهو الذي حجبه ﷺ عن رؤية البارىء تعالى وتقدس ، وهذا النور ، الذي رآه ﷺ ، كما تقدم في حديث أبي ذر « رأيت نوراً » وقد احتجب سبحانه وتعالى بحجب عن خلقه ، من نور ومن غيره ، كما ذكر في آثار مروية عن السلف ، جمع كثيراً منها السيوطي ، في كتاب « الهيئة السنية » فإذا فسرت السبحات ، بنور وجهه الكريم ، جازت الاستعاذة بها ، لأنها وصف ذات.

ويؤيد ما إليه أومأ ابن القيم ، رحمه الله تعالى ، قول ابن الأثير : سبحات الله جل جلاله ، عظمته ؛ وهي في الأصل : جمع سبحة ؛ وقيل : ضوء وجهه ؛ وقيل : سبحات وجهه ، محاسنه ؛ وقيل معناه : تنزيهه له ؛ أي : سبحان وجهه ؛ وقيل : إن سبحات الوجه ، كلام معترض ، بين الفعل والمفعول ؛ أي : لو كشفها ، لأحرقت كل شيء أبصرت.

قلت : يريد أن السبحات ، هي النور الذي احتجب به ؛ ولذلك ، قال : لو كشفها ؛ قال : وأقرب من هذا ، أن المعنى : لو انكشف من أنوار الله تعالى ـ التي تحجب العباد ـ شيء ، لأهلك كل من وقع عليه ذلك النور ، كما خر موسى صعقا ، وتقطع الجبل دكاً ، لما تجلى الله سبحانه وتعالى ؛ ففي كلام ابن الأثير : ما يدل على أن الحجاب ، نفس أنوار الذات ، فتأمله ؛ وذكر ابن الأثير ، وغيره ، أن جبرائيل ، قال : لله دون العرش سبعون حجاباً ، لو دنونا من

أحدها ، لأحرقتنا سبحات وجهه ، انتهى.

ومقتضى ما قال القرطبي ، في حديث أبي موسى ، حجابه النور ، أو النار ، أن هذا حجاب منفصل ، عن أنوار الذات ، لكنه يجرى في هذه المباحث ، على طريق المتكلمين ، فيما جاء في هذا الباب ، من صفات الكمال ، ونعوت الجلال.

وله أيضاً : قدس الله روحه ، ونور ضريحه ، ما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأشهد أن لا إلّه إلا الله ، وحده لا شريك له ، الملك الحق المبين ؛ وأشهد : أن محمداً عبده ورسوله ، الصادق الأمين ، صلى الله عليه ، وعلى آله ، وأصحابه ، صلاة دائمة مستمرة ، إلى يوم الدين.

وبعد : فإني رأيت بعض أهل وقتنا ، يشتغل بكتاب « الإحياء » للغزالي ، ويقرأ فيه عند العامة ، وهو لا يحسن فهم معانيه ، ولا يعرف ما تحت جمله ومبانيه ، ليست له أهلية ، في تمييز الخبيث من الطيب ، ولا دراية بما تحت ذلك البارق ، من ريح عاتية ، أو صيب ؛ فكتبت إليه نصيحة ، وأرسلت إليه بعض أصحابه ، وأرشدته إلى الدواوين الإسلامية ، المشتملة على الأحاديث النبوية ، والسير السلفية ،

والرقائق الوعظية ، فلم يقبل ، واستمر على رأيه ، وأعجب بنفسه ، وأظهر ذلك لبعض من يجالسه ، وحط من قدر الناهي له.

فكتبت إليه كتاباً ، فلم يصغ ، ولم يلتفت ، وزعم أنه على بصيرة ؛ وأبدى من جهله : الأعاجيب الكثيرة ؛ فأحببت : أن أذكر للطلبة ، والمستفيدين ، بعض ما قاله أئمة الإسلام والدين ، في هذا الكتاب ، المسمى بـ « الإحياء » ليكون الطالب ، على بصيرة من أمره ؛ ولئلا يلتبس عليه ما تحت عباراته ، من زخرف القول.

وصورة ما كتبت ، أولاً :

من عبد اللطيف ، بن عبد الرحمن ، إلى الأخ عبد الله ، سلام عليكم ورحمة الله ، وبركاته ؛ وبعد : فقد بلغني عنك ، ما يشغل كل من له حمية إسلامية ، وغيرة دينية ، على الملة الحنيفية ، وذلك : أنك اشتغلت بالقراءة في كتاب « الإحياء » للغزالي ؛ وجمعت عليه من لديك من الضعفاء ، والعامة ، الذين لا تمييز لهم ، بين مسائل الهداية والسعادة ، ووسائل الكفر والشقاوة ؛ وأسمعتهم ما في الإحياء ، من التحريفات الجائرة ، والتأويلات الضالة الخاسرة ، والشقاشق التي اشتملت على الداء الدفين ، والفلسفة في أصل الدين.

وقد أمر الله تعالى ، وأوجب على عباده : أن يتبعوا رسله ، وأن يلتزموا سبيل المؤمنين ؛ وحرم اتخاذ الولائج ، من

دون الله ورسوله ، ومن دون عباده المؤمنين ؛ وهذا الأصل المحكم ، لا قوام للإسلام إلا به ؛ وقد سلك في الإحياء ، طريق الفلاسفة ، والمتكلمين ، في كثير من مباحث الإلٓهيات ، وأصول الدين ، وكسا الفلسفة : لحاء الشريعة ، حتى ظنها الأغمار ، والجهال ، بالحقائق ، من دين الله ، الذي جاءت به الرسل ، ونزلت به الكتب ، ودخل به الناس في الإسلام ؛ وهي في الحقيقة : محض فلسفة ، منتنة ، يعرفها أولوا الأبصار ، ويمجها من سلك سبيل أهل العلم كافة ، في القرى والأمصار.

قد حذر أهل العلم ، والبصيرة ، عن النظر فيها ، ومطالعة خافيها ، وباديها ؛ بل أفتى بتحريقها ، علماء المغرب ، ممن عرف بالسنة ، وسماها كثير منهم « إماتة علوم الدين » وقام ابن عقيل : أعظم قيام في الذم ، والتشنيع ؛ وزيف ما فيه من التمويه والترقيع ، وجزم بأن كثيراً من مباحثه زندقة خالصة ، لا يقبل لصاحبها صرف ولا عدل.

قال شيخ الإسلام : ولكن أبو حامد ، دخل في أشياء من الفلسفة ، وهي عند ابن عقيل زندقة ؛ وقد رد عليه بعض ما دخل فيه ، من تأويلات الفلاسفة ، ورد عليه شيخ الإسلام ، في السبعينية ، وذكر قوله ، في العقول والنفوس ، وأنه مذهب الفلاسفة ، فأفاد وأجاد ؛ ورد عليه غيره من علماء الدين ، وقال فيه تلميذه بن العربي ، المالكي ، شيخنا أبو حامد : دخل في جوف الفلسفة ، ثم أراد الخروج فلم يحسن ؛ وكلام

أهل العلم معروف في هذا ، لا يشكل إلا على من هو مزجى البضاعة ، أجنبي من تلك الصناعة.

ومشائخنا ـ تغمدهم الله برحمته ـ مضوا على هذا السبيل والسنن ، وقطعوا الوسائل إلى الزندقة والفلسفة ، والفتن ، وأدبوا على ما هو دون ذلك ، وأرشدوا الطالب إلى أوضح المناهج والمسالك ، وشكرهم على ذلك كل صاحب سنة ، وممارسة للعلم النبوي.

وأنت قد خالفت سبيلهم ، وخرجت عن مناهجهم ، وضللت المحجة ؛ وخالفت مقتضى البرهان والحجة ، واستغنيت برأيك ، وانفردت بنفسك ، عن المتوسمين بطلب العلم ، المنتسبين إلى السنة ؛ ما أقبح الحور بعد الكور ، وما أوحش زوال النعم ، وحلول النقم ؛ إذا سمعت بعض عباراته المزخرفة ، قلت : كيف ينهانا عن هذا فلان ، أو يأمر بالإعراض عن هذا الشأن.

كأنك : سقطت على الدرة المفقودة ، والضالة المنشودة ، وقد يكون ما أطربك ، وهز أعطافك ، وحركك : فلسفة منتنة ، وزندقة مبهمة ، أخرجت في قالب الأحاديث النبوية ، والعبارات السلفية ، فرحم الله عبداً عرف نفسه ، ولم يغتر بجاهه ، وأناب إلى الله ، وخاف الطرد عن بابه ، والابعاد عن جنابه.

وينبغي للإمام ، أيده الله : أن ينزع هذا الكتاب ، من

أيـديكم ؛ ويلزمكم بكتب السنـة ، من الأمهـات الـست ، وغيرها ، والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل.

ثم جمعت بعض أقوال أهل العلم ، وما أفتوا به في هذا الكتاب ، وتحذيرهم للطالب ، والمسترشد ؛ فمن ذلك : قول الذهبي ــ في ترجمته للغزالي ــ وأخـذ في تأليف الأصـول ، والفقـه ، والكـلام ، والحكمـة ، وأدخله سيـلان ذهنـه ، في مضائق الكلام ، ومزالّ الأقدام ؛ ولله سر في خلقه ، وسـاق الكلام ــ إلى أن قال ــ ذكر هذا : عبد الغافر ــ إلى أن قال ــ ثم حكى عنه : أنه راجع العلوم ، وخاض في الفنون الدقيقة ، والتقى بأربابها ، حتى تفتحت له أبوابها ، وبقي مدة ، وفتح عليه باب من الخوف ، بحيث شغله عن كل شيء ــ إلى أن قال ــ ومما كان يعترض عليه به ، وقوع خلل من جهة النحو ، في أثناء كلامه ، وروجع فيه ، فأنصف واعترف بأنه ما مارسه.

وممـا نقم عليـه ، مـا ذكـر من الألفـاظ المستبشعـة بالفارسية ، في كيمياء السعادة والعلوم ، وشرح بعض الصور والمسائل ، بحيث لا يوافق مراسم الشرع ، وظواهر ما عليـه قواعد الملة ؛ وكان الأولى به ، والحق أحق ما يقال : تـرك ذلك التصنيف ، والإعراض عن الشرح له ؛ فإن العوام : ربما لا يحكمون أصول القواعد بالبراهين والحجج ، فإذا سمعـوا شيئاً من ذلك ، تخيلوا منه ما هو أضر بعقائدهم ، وينسبـون ذلك إلى بيان مذهب الأوائل.

قال الذهبي : ما نقله عبد الغافر ، على أبي حامد في الكيمياء ، فله أمثاله في غضون تواليفه ، حتى قال أبو بكر بن العربي : شيخنا أبو حامد ، بلع الفلاسفة ، وأراد أن يتقيأهم فما استطاع ، انتهى.

ومن معجم أبي علي الصدفي ، في تأليف القاضي عياض له ، قال الشيخ : أبو حامد ، ذو الأنباء الشنيعة ، والتصانيف العظيمة ، غلا في طريق التصوف ، وتجرد لنصر مذهبهم ، وصار داهية في ذلك ، وألف فيه تآليفه المشهورة ، أخذ عليه فيها مواضع ، وساءت به ظنون أمة ، والله أعلم بسره ، ونفذ : أمر السلطان عندنا بالمغرب ، وفتوى الفقهاء بإحراقها ، والبعد عنها ، فامتثل ذلك ، انتهى.

ونقل أبو المظفر يوسف ، سبط ابن الجوزي ، المتهم بالتشيع ، في كتابه : « رياض الأفهام » قال : ذكر أبو حامد في كتابه : سر العالمين ، وكشف ما في الدارين ، وقال في حديث : « من كنت مولاه فعلي مولاه » إن عمر ، قال : بخ ، بخ ، أصبحت مولى ، كل مؤمن ومؤمنة ؛ قال أبو حامد : وهذا تسليم ورضا ، ثم بعد هذا غلب عليه الهوى ، حباً للرياسة ، وعقد البنود ، وأمر الخلافة ، ونهيها ، فحملهم على الخلاف (فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون) [آل عمران : ١٨٧] وسرد كثيراً من هذا الكلام الفسل ، الذي تزعمه الإمامية.

قال الذهبي : وما أدري ما عذره في هذا ، الظاهر أنه رجع عنه ، وتبع الحق ؛ قلت : هذا إن لم يكن من وضع هذا ، وما ذاك ببعيد ، ففي هذا التأليف بلايا ، لا تستطاب ؛ قلت : ما ذكره الذهبي ممكن ، والغرض : أنما ينسب إلى هذا الرجل ، لا يغتر به ، ويجب هجره ، واطراحه ، لما في كتبه من الداء العضال ، والعثرات التي لا تقال.

قال الذهبي : قد ألف الرجل ، في ذم الفلاسفة ، كتاب « التهافت » وكشف عوراتهم ، ووافقهم في مواضع ، ظناً منه أن ذلك حق ، أو موافق للملة ، ولم يكن له علم بالآثار ، ولا خبرة بالسنن النبوية ، القاضية على العقل ، وحبب إليه إدمان النظر في كتاب « رسائل إخوان الصفا » وهو داء عضال ، وجرب مردىء ، وسم قاتل ، ولولا أن أبا حامد من الأذكياء ، وخيار المخلصين ، لتلف.

فالحذر ، الحذر ، من هذه الكتب ، واهربوا بدينكم من شبه الأوائل ، وإلا وقعتم في الحيرة ، فمن رام النجاة والفوز ، فليلزم العبودية ، وليكثر الاستغاثة بالله ، وليبتهل إلى مولاه ، في الثبات على الإسلام ، وأن يتوفى على إيمان الصحابة ، وسادة التابعين ، والله الموفق ، فبحسن قصد العالم ، يغفر له ، وينجو إن شاءالله تعالى.

وقال أبو عمر بن الصلاح ، **فصل** : في بيان أشياء مهمة ، أنكرت على أبي حامد ؛ ففي تواليفه أشياء لم يرتضها

أهل مذهبه ، من الشذوذ ؛ منها قوله في المنطق : هو مقدمة العلوم كلها ، ومن لا يحيط به فلا ثقة له بمعلوم أصلاً ؛ قال : فهذا مردود ، إذ كل صحيحِ الذهن ، منطقي بالطبع ، وكم من إمام : ما رفع بالمنطق رأساً.

فأما كتاب : المضنون به على غير أهله ؛ فمعاذ الله : أن يكون له ، شاهدت على نسخة منه ، بخط القاضي كمال الدين ، محمد بن عبد الله الشهرزوري ، أنه موضوع على الغزالي ، وأنه مخترع من كتاب : مقاصد الفلاسفة ، وقد نقضه الرجل ، بكتاب : التهافت.

وقال أحمد بن صالح الجبلي في تاريخه ، وقد رأيت كتاب : الكشف والإنباء ، عن كتاب الإحياء ، للمازري : الحمد لله الذي أنار الحق ، وأداله ، وأباد الباطل ، وأزاله ؛ ثم أورد المازري أشياء مما انتقده على أبي حامد ، يقول : ولقد أعجب من قوم مالكية ، يرون الإمام مالكاً ، يهرب من التحديد ، وإيجاب أن يرسم رسماً ، وإن كان فيه أثر ما ، أو قياس ما ، تورعا ، وتحفظا من الفتوى ، فيما يحمل الناس عليه ، ثم يستحسنون من الرجل فتاوى ، مبناها على ما لا حقيقة له ، وفيه كثير عن النبي ﷺ لفق منه الثابت ، بغير الثابت.

وكذا ما أورد عن السلف ، لا يمكن ثبوته كله ، وأورد من نزعات الأولياء ، ونفثات الأصفياء ، ما يجل موقعه ، لكن

مزج فيه النافع بالضار ؛ كاطلاقات يحكيها عن بعضهم ، لا يجوز إطلاقها ، لشناعتها ، وإن أخذت معانيها على ظواهرها ، كانت كالرموز لقدح الملحدين ، ولا تنصرف معانيها إلى الحق ، إلا بتعسف ، على أن اللفظ : مما لا يتكلف العلماء مثله ، إلا في كلام صاحب الشرع ، الذي اضطرت المعجزات الدالة على صدقه ، المانعة من جهله.

وكذبه إلى طلب التأويل[1] كقوله : « إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن » « وإن السماوات على اصبع » وكقوله : « لأحرقت سبحات وجهه » وكقوله : « يضحك الله » إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة ، ظاهرها مما أحاله العقل[2] ـ إلى أن قال ـ فإذا كانت العصمة غير مقطوع بها في حق الولي ، فلا وجه لإضافة ما لا يجوز إطلاقه إليه ، إلا أن يثبت ، وتدعو ضرورة إلى نقله ، فيتأول ـ إلى أن قال ـ ألا ترى : لو أن منصفاً ، أخذ يحكي عن بعض الحشوية ، مذهبه في قدم الصوت والحرف ، وقدم الورق ، لما حسن به أن يقول : قال بعض المحققين ، إن القارىء ، إذا قرأ كتاب الله ، عاد القارىء في نفسه قديماً بعد أن كان محدثاً ؛ وقال

(١) قوله : إلى طلب التأويل . . . الخ ، مردود على قائله ، والذي عليه السلف : أن هذه الأحاديث ، ونحوها ، تجرى على ظواهرها ، مع اعتقاد ما دلت عليه.

(٢) لا تحيله العقول السليمة ، فإنها حق على حقيقتها.

بعض الحذاق : إن الله محل للحوادث ، إذا أخذ في حكاية مذاهب الكرامية.

وقال قاضي الجماعة : أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي ، إن بعض من يعظ ، ممن كان ينتحل رسم الفقه ، ثم تبرأ منه شغفاً بالشريعة الغزالية ، والنحلة الصوفية ، أنشأ كراسة تشتمل على معنى التعصب ، لكتاب أبي حامد ، إمام بدعتهم ؛ فأين هو من تشنيع مناكيره ؟ وتضليل أساطيره المباينة للدين ، وزعم : أن هذا من علم المعاملة ، المفضي إلى علم المكاشفة ، الواقع بهم على سر الربوبية ، الذي لا يسفر عن قناعه ، ولا يفوز باطلاعه ، إلا من تمطى إلى شيخ ضلالته ، التي رفع لهم أعلامها ، وشرع أحكامها.

قال أبو حامد : وأدنى من هذا العلم : التصديق به ، وأقل عقوبته : أن لا يرزق المنكر منه شيئاً فأعرض من قوله ، على قوله : ولا يشتغل بقراءة قرآن ، ولا بكتب حديث ، لأن ذلك يقطعه عن الوصول إلى إدخال رأسه في كم جيبه، والتدثر بكسائه ، فيسمع نداء الحق ؛ فهو يقول : ذروا ما كان السلف عليه ، وبادروا إلى ما آمركم به ، ثم إن القاضي : أقذع ، وسب ، وكفر.

وقال أبو حامد : وصدور الأحرار ، قبور الأسرار ، ومن أفشى سر الربوبية كفر ، ورأى مثل قتل الحلاج خيراً من إحياء عشرة ، لاطلاقه ألفاظاً ، ونقل عن بعضهم ، قال : للربوبية

سر لو ظهر ، لبطلت النبوة ؛ وللنبوة سر لو كشف ، لبطل العلم ؛ وللعلم سر لو كشف لبطلت الأحكام ؛ قلت : سر العلم قد كشف بصوفية أشقياء ، فانحل النظام ، وبطل لديهم الحلال والحرام.

قال ابن أحمد : ثم قال الغزالي ، القائل بهذا إن لم يرد إبطال النبوة في حق الضعفاء ، فما قال ليس بحق ؛ فإن الصحيح لا يتناقض ؛ وإن الكامل لا يطفىء نور معرفته نور ورعه ؛ وقال الغزالي : العارف ، يتجلى له أنوار الحق ، وتنكشف له العلوم المرموزة ، المحجوبة عن الخلق ؛ فيعرف معنى النبوة ، وجميع ما وردت به ألفاظ الشريعة ، التي نحن منها على ظاهرها ؛ قال عن بعضهم : إذا رأيته في البداية ، قلت صدّيقاً ؛ وإذا رأيته في النهاية ، قلت زنديقاً ؛ ثم فسره الغزالي ، فقال : إذا رأيتم الزنديق لا يلصق إلا بمعطل الفرائض ، لا بمعطل النوافل ، وقال : وذهبت الصوفية إلى العلوم الإلهامية ، دون التعليمية ؛ فيجلس : فارغ القلب ، مجموع الهم ، فيقول : الله ، الله ، الله ، على الدوام ؛ فيتفرغ قلبه ، ولا يشتغل بتلاوة ، ولا كتب حديث ؛ فإذا بلغ هذا الحد ، التزم الخلوة ببيت مظلم ، ويتدثر بكسائه ، فحينئذ : يسمع نداء الحق : (يا أيها المزمل) ، (يا أيها المدثر).

قلت : إنما سمع شيطاناً ، أو سمع شيئاً لا حقيقة له ،

من طيش دماغه ، والتوفيق في الاعتصام بالكتاب ، والسنة ، والإجماع.

قال أبو بكر الطرطوشي : شحن أبو حامد كتاب « الإحياء » بالكذب على رسول الله ﷺ ، وما على بسيط الأرض أكثر كذباً منه ، شبكه بمذاهب الفلاسفة ؛ ومعاني رسائل إخوان الصفاء ؛ وهم قوم : يرون النبوة مكتسبة ؛ وزعموا : أن المعجزات ، حيل ومخاريق ؛ قال ابن عساكر : حج أبو حامد ، وأقام بالشام نحواً من عشرين سنة ، وصنف ، وأخذ نفسه بالمجاهدة ، وكان مقامه بدمشق ، في المنارة الغربية من الجامع ، سمع صحيح البخاري ، من أبي سهل الحمصي ، وقدم دمشق في سنة تسع وثمانين.

وقال ابن خلكان : بعثه النظام على مدرسته ببغداد ، في سنة أربع وثمانين ، وتركها في سنة ثمان وثمانين ، وزهد ، وحج ، وأقام بدمشق مدة بالزاوية الغربية ، ثم انتقل إلى بيت المقدس يتعبد ، ثم قصد مصر ، وأقام مدة بالإسكندرية ، فقيل : عزم على المضي إلى يوسف بن تاشفين ، سلطان مراكش ، فبلغه نعيه ، ثم عاد إلى طوس ، وصنف : البسيط ، والوسيط ، والوجيز ، والخلاصة ، والإحياء ، وألف المستصفى ، في أصول الفقه ، والمنخول ، واللباب ، والمنتحل في الجدل ، وتهافت الفلاسفة ، ومحك النظر ، ومعيار العلم ، وشرح الأسماء الحسنى ، ومشكاة الأنوار ، والمنقذ من الضلال ، وحقيقة القولين ، وأشياء أخرى ، انتهى.

قال عبد الله بن علي الأثيري ، سمعت عبد المؤمن بن علي القيسي ، سمعت عبد الله بن تومرت ، يقول : أبو حامد الغزالي ، قرع الباب ، وفتح لنا ؛ قال : أبو محمد العثماني ، وغيره ، سمعنا : محمد بن يحيى ، العذري ، المؤدب ، يقول : رأيت بالإسكندرية ، سنة خمسمائة ، كأن الشمس طلعت من مغربها ، فعبرها لي عابر ، ببدعة تحدث فيهم ، فبعد أيام وصل الخبر ، بإحراق كتب الغزالي من البريد.

قال أبو بكر بن العربي ، في شرح الأسماء الحسنى ، قال شيخنا : أبو حامد قولاً عظيماً ، انتقده عليه العلماء ، وقال : وليس في قدرة الله ، أبدع من هذا العالم ، في الإتقان والحكمة ، ولو كان في القدرة أبدع ، أو أحكم منه ، ولم يفعله ، لكان ذلك قضاء للجور ، وذلك محال ؛ ثم قال ، والجواب : أنه باعد في اعتقاد عموم القدرة ، ونفي النهاية ، عن تقدير المقدرات المتعلقة بها ، ولكن في تفصيل هذا العلم المخلوق ، لا في سواه ؛ وهذا رأي فلسفي ، قصدت به الفلاسفة قلب الحقائق ، ونسبة الإتقان إلى الحياة مثلاً ؛ والوجود إلى السمع والبصر ، حتى لا يبقى في القلوب سبيل إلى الصواب ، واجتمعت الأمة على خلاف هذا الاعتقاد ، وقالت عن بكرة أبيها : إن المقدورات لا نهاية لها بكل مقدور الوجود ، لا بكل حاصل الوجود ، إذ القدرة صالحة ، ثم قال : هذه وهلة لألعابها ، ومزلة لا تماسك فيها ، ونحن وإن كنا نقطة من بحره ، فإنا لا نرد عليه إلا بقوله.

ومما أخذ عليه ، قوله : إن للقدر سراً نهينا عن إفشائه ؛ فأي سر للقدر ؟! فإن كان مدركاً بالنظر ، وصل إليه ولا بد ، وإن كان مدركاً بالخبر ، فما ثبت فيه شيء ، وإن كان يدرك بالحيل والعرفان ، فهذه دعوى محضة ، فلعله عنى بإفشائه : أن تعمق في القدر ، وبحث فيه.

قال الذهبي : أنبأنا محمد بن عبد الكريم ، أنبأنا أبو الحسن السخاوي ، أنبأنا خطاب بن قمرية الصوفي ، أنبأنا سعد بن أحمد الاسفرائيني بقراءتي ، أنبأنا أبو حامد محمد بن محمد الطوسي ، قال : اعلم أن الدين شطران ، أحدهما ترك المناهي ، والآخر فعل الطاعات ، وترك المناهي هو الأشد ، والطاعات يقدر عليه كل أحد ، وترك الشهوات لا يقدر عليه إلا الصديقون ؛ ولذلك قال أبو عامر العبدي : سمعت أبا نصر ، أحمد بن محمد بن عبد القاهر الطوسي ، يحلف بالله : أنه أبصر في نومه ، كأنه ينظر في كتب الغزالي ، فإذا هي كلها تصاوير.

وقال ابن الوليد الطرطوشي ، في رسالته إلى ابن المظفر ، فأما ما ذكرت من أبي حامد ، فقد رأيته وكلمته ، ورأيته جليلاً من أهل العلم ، واجتمع فيه العقل والفهم ، ومارس العلوم طول عمره ، وكان على ذلك معظم زمانه ، ثم بدا له عن طريقة العلماء ، ودخل في غمار العمال ، ثم تصوف ، وهجر العلوم ، وأهلها ، ودخل في علوم الخواطر ، وأرباب القلوب ، ووساوس الشيطان ، ثم شابها بآراء

الفلاسفة ، ورموز الحلاج ، وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلمين ، ولقد كاد أن ينساخ من الدين ، فلما عمل « الإحياء » عمد يتكلم في علوم الأحوال ، ومرامز الصوفية ، وكان غير أنيس بها ، ولا خبير بمعرفتها ، فسقط على أم رأسه ، وشحن كتابه بالموضوعات.

قال الذهبي ، بعدأن ساق كلام ابن الوليد الطرطوشي ، قلت : أما « الإحياء » ففيه من الأحاديث الباطلة ، جملة ، وفيه خير كثير ، لولا ما فيه من آداب ورسوم ، وزهد من طرائق الحكماء ، ومنحرف الصوفية ؛ نسأل الله علماً نافعاً ؛ تدري : ما العلم النافع ؟ هو ما نزل به القرآن ، وفسره رسول الله ﷺ قولاً ، وفعلاً ، ولم يأت نهي عنه ، قال عليه السلام : « من رغب عن سنتي فليس مني » فعليك يا أخي بتدبر كتاب الله ، وبإدمان النظر في الصحيحين ، وسنن النسائي ، ورياض النووي ، وأذكاره ، تفلح وتنجح ، وإياك وآراء عباد الفلاسفة ، ووظائف أهل الرياضات ، وجوع الرهبان ، وخطاب طيش رؤوس أصحاب الخلوات ؛ فكل الخير في متابعة الحنيفية السمحة ، فواغوثاه بالله ؛ اللهم اهدنا الصراط المستقيم، انتهى.

ولمحمد بن علي المازني الصقيلي ، كلام على الإحياء ، قال فيه : قد تكررت مكاتبتكم في استعلام مذهبنا ، في الكتاب المترجم« بإحياء علوم الدين » وذكرتم : أن آراء الناس فيه قد اختلفت ، فطائفة انتصرت ، وتعصبت لإشهاره ، وطائفة حذرت منه ، ونفرت ، وطائفة لكتبه أحرقت. وكاتبني

أهـل المشرق أيضـاً : يسألـوني ، ولم يتقدم لي قـراءة هـذا الكتاب ، سوى نبذة منه ، فإن نفس الله في العمر ، مـددت منه الأنفاس ، وأزلت عن القلوب الالتباس ؛ اعلموا : أن هذا الرجل ، رأيت تلامذته ، فكل منهم حكى لي نوعاً من حاله ، ما قام مقامٍ العيان ، فأنا أقتصر على ذكر حاله ، وحال كتابه ، وأذكر جملاً من مذاهب الموحدين ، والمتصوفـة ، وأصحاب الإشارات ، والفلاسفة ، فإن كتابه متردد بين هذه الطوائف.

ثم قال : وأما علم الكلام الذي هو أصل الدين ، فإنه صنف فيه ، وليس بالمتبحر فيها ، ولقد فطنت لعدم استبحاره فيها ، وذلك أنـه قرأ علوم الفلسفـة ، قبل استبحـاره في فنٍ الأصـول ، فأكسبتـه الفلسفة جـراءة على المعاني ، وتسهيـلا للهجوم على الحقائق ، لأن الفلاسفة : تمر مع خواطرها ، لا يزعها شرع ؛ وعرفني صاحب له ، أنـه كان لـه عكوف على رسائل : إخوان الصفا ؛ وهي إحدى وخمسون رسالة ؛ ألفها من قد خاض في علم الشرع ، والنقل ، وفي الحكمة ؛ فمزج بين العلمين ، وقد كان رجل يعرف بـابن سينا ، مـلأ الدنيـا تصانيف ، أدته قوته في الفلسفـة ، إلى أن حاول رد أصـول العقائد إلى علم الفلسفة ، وتلطف جهده ، حتى تم له ما لم يتم لغيره[1].

---

(١) آخر ما وجد من هذه الرسالة.

قال الشيخ : إسحاق بن عبد الرحمن ، بن حسن رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

من إسحاق بن عبد الرحمن ، إلى الأخ المكرم ، سلام عليكم ، ورحمة الله ، وبركاته ، وموجب الكتاب : النصيحة لله ، التي هي من ألزم اللوازم ، وفي الحديث « الدين النصيحة . . . » الخ .

وبعد حمد الله الذي هو للحمد أهل ، فالذي أوصيك به : تقوى الله تعالى ، واتباع كتابه ، الذي جعله للناس نوراً وروحاً ، قال تعالى :(وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) [الشورى : ٥٢] فكما أن الروح حياة البدن ، فالقرآن حياة القلوب ؛ فإذا عرف الإنسان ، أن القلب يموت بفقد القرآن ، كما يموت البدن بفقد الروح ؛ عرف : قدر القرآن ، وأن طلب الهدى من غيره ضلال ، وهوان ؛ فالروح للحياة ، والنور للهداية .

وأما قوله : (نهدي به من نشاء من عبادنا) ففيه : خوف

المؤمن على نفسه أن لا يوفق لذلك ؛ وفيه : بيان التوكل على الله في كل الأمور ، خصوصاً في هداية القلوب ، وغفران الذنوب ؛ فما قدر الله حق قدره ، من استعان بغيره في حاجاته ؛ وفيه : الفرق بين هداية الإرشاد ، وهداية التوفيق ، كما في قوله : (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) [القصص : ٥٦].

إذا تقرر ذلك : فالرسول ﷺ جعله الله إماماً للناس ، فكما أنزل عليه القرآن ، أنزل عليه السنة ، موافقة للقرآن ، مبينة له ؛ فما وافق هديه ، فهو الصراط المستقيم ، وما خالفه ، فهو البدعة والضلال الوخيم ، وكل بدعة ضلالة ، إذ لا طريق إلى الحق إلا من طريقه ، ولا شرب إلا من حوضه ، ورحيقه ، وجميع الطرق مسدودة ، وجميع الآراء مردودة ، إلا ما وافق الكتاب والسنة ، قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته ، يذهبون إلى رأي سفيان ، والله يقول :(فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة) الآية [النور : ٦٣] فانظر : إلى إنكاره على من وافق رأي سفيان ، فكيف بمن اتبع رأي فلان ، وفلتان ، وترك النظر في السنة ، والقرآن ؟! .

وقد حضر إلى الواثق ، في أيام المحنة ، رجل من البادية ، فقال : هل علم الرسول ﷺ هذا الرأي ، الذي دعوتم إليه الناس ، ولم يدع الأمة إليه ، أو هو لم يعلمه ؟ فقال القاضي : بل علمه ، فقال : وكيف وسعه أن يترك الناس ولم

يدعهم إليه ، وأنتم لا يسعكم ؟ فترك الواثق ، المحنة .

والمقصود : أن طاعة الرسول ﷺ واجبة الإتباع ، وطاعة الغير سائغة الاتباع ، وقد عكس الناس القضية ، بآراء غير مرضية ، قال بعض العلماء : مات أبو بكر ، وعمر ، ولم يعرفا « الجوهر » و « العرض » ولا لفظ « الجهة » ، ولا « الحيز » بل : درجا على ما عليه صاحبهما درج ، وتركا ما فيه الضيق والحرج .

وقد سد: السلف رضوان الله عليهم ، باب الخوض ، والكلام ، فيما لم يكن على عهد السلف الكرام ، لأنهم أعرف بالله ، وبأسمائه ، وصفاته ، ولم يتكلموا فيها ، بما يحيلها عن ظاهرها المراد ، اللائق بالله لا بالعباد؛ وهم : أزكى الأمة عقولاً ، وأوفرها علوماً ، وأرسخها إيماناً ، أثبتوا لله ما أثبته لنفسه، وما أثبته رسوله ﷺ ، وكانوا أشد الناس في ذلك ، وفي سد تلك الطرق والمسالك ، المفضية إلى المهالك ، روى عثمان بن سعيد الدارمي ، قال: حدثنا الحسن بن الصباح ، قال حدثنا علي بن الحسن بن شقيق ، عن ابن المبارك ، قيل له : كيف نعرف ربنا ؟ قال : بإنه فوق السماء السابعة ، بائن من خلقه .

قال الواسطي رحمه الله ، واعلم : أن رسول الله ﷺ قد بعث بأفصح اللغات ، وأبين الألسنة والعبارات ، وقد صرح ببيان صفات الله ، مخبراً بها عن ربه ، واصفاً له بها ، وكان

يحضر مجلسه الشريف العالم ، والجاهل ، والذكي ، والبليد ، والأعرابي الجافي ؛ وقد أوجب عليهم : أن يتدبروا ذلك الكتاب ، ويعتقدوا موجب ذلك الخطاب ، ليزدادوا به معرفة ، مع الفطرة السليمة .

فهل يتصور عاقل ، أن هناك دليلاً خفياً ، لا يستنبطه إلا أفراد الناس ؟ ويدع الأمة في حيرة والتباس ، ويترك تبليغه الأمة ، ويدعهم في جهالة وضلالة وغمة ، حتى إذا انقرض عصر الصحابة والتابعين ، ظفر ببيانه من أخذ عن اليونان ، والصابئين ، كجهم وبشر ، وغيرهما من المبتدعين ؟! هذا والله نقيض البيان ، وضد الهدى والبرهان ، كيف يتكلم هو ، وهم ، بكلام يريدون به خلاف ظاهره المراد ، المخالف لما يتوهمه أهل الفساد ، ويندرجون على خلاف هذا الاعتقاد ، وأن صرفه إلى التأويلات المحدثة ، هو المراد ؟!

من لم يكن يكفيه ذان فلا كفا ه الله شر حوادث الأزمان

بل السلف رضوان الله عليهم : أنصح للأمة ، وأبين للسنة ، وقد فهموا : أن بعض العلم جهالة ، قال ﷺ : « إن من العلم جهلاً » وقال في دعائه « أعوذ بالله من علم لا ينفع » وقال علي : حدثوا الناس بما يعرفون ، أتريدون أن يكذب الله وسوله ؟

وقد علم : أن ما كان في الكتاب ، والسنة ، لا يخالف ظاهره باطنه ، فقد عرفوا دليله ، ووضحوا سبيله ؛ إما : بأن

يكـون عقلياً ظـاهراً ، مثـل قولـه تعـالى : ﴿ وأوتيت من كـل شيء ﴾[النمـل : ٢٣] فـإن كــل أحـد يعلم من عقله ، أن المـراد : وأوتيت من جنس ما يؤتـاه مثلها ؛ وكـذلك ، قـوله تعالى : ﴿ خالق كل شيء ﴾ [الأنعام : ١٠٢] فـإنه قـد علم بالضرورة : أن الخالق لا يدخل في هذا العموم ؛ أو سمعياً ظاهراً ، مثل الدلالات في الكتاب والسنة ، التي تصرف عن الـظاهر ، كـالمعية الخـاصة ، والعـامـة ؛ فـإن الإجمـاع من الصحابة والتابعين ، انعقد على أن المراد به العلم ، لأن الله بدأها بالعلم ، وختمها به.

وقـد أجمع العقـلاء : أنـه لا بـد من دليـل سمعي أو عقلي ، يوجب الصرف عن الحقيقة إلي المجاز ، وإن ادعى ظهور الدليل ، فلا بد من دليل مرجح ، لحمله على ذلك ؛ ومن الموانع : الاشتراك في اللفظ ، ومن أراد هذا وجده في مـظانه ، ومن جعـل السنة معيـاره ، أدرك المأمـول ، وعرف جنايات المجازات ، والعقول ، على صريح المنقول.

ومن تغذى بكلام المتأخرين ، من غيـر إشراف ، على كتب أهـل السنة المشتهـرين ، ككتاب « السنـة » لعبد الله بن الإمـام أحمد ، وكتـاب« السنة » للخـلال ، وكتـاب « السنـة » للالكائي ، والدارمي ، وغيرهـم ، بقي في حيـرة ، وضلال ؛ وسأذكر لك طرفاً من كلام العلماء ، في بيان الاستواء.

قال الواسـطي : ظن القوم ، أن إثبـات الجهة في حق

الباري ، وجودية ، تحيط به وتحويه ، إحاطة الظرف بالمظروف ؛ وهو سبحانه : أعظم من ذلك ، وأكبر (ولا يحيطون به علماً) [طه : ١١٠] (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) [الشورى : ١١] لا طريق إلى العلم بذلك ، ولا نتجاوز ما علمناه في كتابه ، وما قاله رسوله ﷺ ، ولا يلزم من كونه فوق عرشه هذا المعنى ، وإثبات جهة الفوقية لا محيد عنه (فطرت الله التي فطر الناس عليها) [الروم : ٣٠] وهو بحسب الكون وحدوثه ، لا بحسب المكون ، تعالى وتقدس.

وتكون الإشارة إلى السماء ، إشارة حقيقية ، وهي واقفة على أعلى جزء من الكون ، وتقع على عظمة الإله ، على ما يليق به ؛ وإنكاركم للجهة ، التي المقصود بها : مباينة الخالق للمخلوق ، وعلوه على خلقه ، واستواؤه على عرشه ، إنكار باطل ، وتسميته جهة . اصطلاح منكم ، نفرتم به الجهال ، وسوغتم به الضلال ، ونفيتم به صفات الكمال.

قال بعض العلماء : وقد توصل الجهمية إلى نفي ما دل عليه العقل ، والنقل ، فسموا ما فوق العالم « جهة » وقالوا منزه عن الجهة ؛ وسموا العرش « حيزاً » وقالوا منزه عن التحيز ؛ وسموا الصفات « أعراضاً » وقالوا منزه عن قيام الأعراض ؛ وسموا حكمته « غرضاً » وقالوا منزه عن الأغراض ؛ وسموا كلامه ، ونزوله إلى السماء ، ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء ، ومشيئته ، وإرادته ، وغير ذلك « حوادث » وقالوا :

منزه عن الحوادث ؛ وحقيقة هذا التنزيه ، أنه منزه عن الوجود ، وعن الربوبية ، وعن الملك ، وعن كونه فعالاً لما يريد ، إذ لا حرج ، ولا عار ، في الإقرار بما في كتابه العزيز ، وصحيح الأخبار.

فانظر ما تحت تنزيه المعطلة ، وما تحت تشبيه المجسمة ، من عزل الكتاب ، والسنة ، وسلب الصفات ، أو جعلها كصفات المخلوقات ، تجد الحق وسطاً بين طرفين ، وهدى بين ضلالتين ؛ومن خبيث صنيعهم : أنهم لما علموا أن النصوص قاضية عليهم ، قالوا هي ظنية ، والعقول قطعية ؛ وقد علم كل من وفقه الله : أن العقل الصريح ، لا يخالف النقل الصحيح .

ولكن على تلك القلوب أكنة فليست وإن أصغت تجيب المناديا

والحاصل : أنه ما من اسم يسمى الله به ، إلا والظاهر الذي يستحقه المخلوق ، غير مراد ، وأنه سبحانه : منزه عن كل ما يلزم منه حدوثه ، أو نقصه ؛ فكما أن علمنا ، وقدرتنا ، وإرادتنا ، وحياتنا ، وكلامنا ، ونحوها من الصفات « أعراض » تدل على حدوثنا ، امتنع أن يوصف الله سبحانه بمثلها ، فنعوذ بالله من تأويل يفضي إلى تعطيل ، ومن تكييف يفضي إلى تمثيل.

وقد أطلق غير واحد ، ممن حكى إجماع السلف ، كالخطابي ، أن الصفات : تجرى على ظاهرها ، مع نفي

الكيفية والتشبيه ؛ وذلك : أن الكلام في الصفات ، كالكلام في الذات ، لأنه فرع عنه ، يحتـذى فيه حـذوه ، ويتبع فيـه مثاله ؛ فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود ، لا إثبات كيفية ، فكذلك : إثبات الصفات ، إثبـات وجود ، لا إثبـات كيفية ؛ فنقول : إن له يداً ، وسمعاً ، وبصراً ؛ ولا نقول : إن معنى اليد ، القدرة ؛ ومعنى السمع ، العلم ؛ والسلام.

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل الشيخ : محمد بن عبد اللطيف ، بن عبد الرحمن ، هل يجوز : إطلاق لفظة « تبارك » على غير الله ؟ مثل من يقول : تبارك علينا فلان ، أو تباركت الدابة ، ونحو ذلك ؟ وهل هو دعاء ، أو إخبار ، فلا يمنع منه ؟ أو صفة من الصفات ، فلا تطلق إلا على الله ؟.

فأجاب : الحمد لله ، هذه المسألة قد كفانا جوابها : شمس الدين ابن القيم ، رحمه الله تعالى ، في بدائع الفوائد ، بأوضح عبارة وأبينها ، لمن أراد الانصاف ، وسلم من التعصب والاعتساف ، وصرف المعاني عن حقائقها إلى ما لا تدل عليه ، ولا تفهم منه .

قال رحمه الله ، فصل: وأما البركة ، فهي : نوعان ؛ أحدهما : بركة هي فعله تبارك وتعالى ، والفاعل منه « مبارِك » يتعدى بنفسه تارة ، وبأداة « على » تارة ، وبأداة « في » تارة ، والمفعول منها « مبارك » وهو ما جعله كذلك ، فكان مباركاً يجعله تعالى ؛ والنوع الثاني : بركة تضاف إليه تعالى ، إضافة الرحمة ، والعزة ؛ والفعل منها « تبارك » ولهذا لا يقال لغيره ذلك ، ولا يصلح إلا له عز وجل ، فهو سبحانه المتبارك ، وعبده ، ورسوله المبارَك ، كما قال المسيح : (وجعلني مباركاً

أين ما كنت) [مريم : ٣١] فمن بارك الله فيه ، وعليه ، فهو : المبارك.

وأما صيغة « تبارك » فمختصة به تعالى ، كما أطلقها على نفسه ، بقوله : (فتبارك الله أحسن الخالقين) [المؤمنون : ١٤] (وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما) [الزخرف : ٨٥] (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) [الفرقان : ١] (تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك) [الفرقان : ١٠] (تبارك الذي جعل في السماء بروجاً) [الفرقان : ٦١] أفلا تراها ، كيف اطردت في القرآن ، جارية عليه ، مختصة به لا تطلق على غيره ؛ وجاءت على بناء السعة والمبالغة ، كتعالى ، وتعاظم ، ونحوها ؛ فجاء بناء « تبارك » على بناء « تعالى » الذي هو دال على كمال العلو ونهايته ، فكذلك تبارك دال على كمال بركته ، وعظمها وسعتها ، وهذا معنى قول ، من قال من السلف ، تبارك : تعاظم ؛ وقال آخر : إن معناه ، مجيء البركات من قبله ، فالبركة كلها منه ؛ وقال غيره : كثرة خيره وإحسانه إلى خلقه ؛ وقيل : اتسعت رأفته ورحمته بهم ؛ وقيل : تزايد على كل شيء ، وتعالى عنه ، في صفاته وأفعاله ، ومن هنا قيل معناه : تعالى ، وتعاظم.

وقيل تبارك : تقدس ، والقدس الطهارة ؛ وقيل تبارك ، أي : باسمه يبارك في كل شيء ؛ وقيل تبارك : ارتفع ،

والمبارك المرتفع ، ذكره البغوي ؛ وقيل : تبارك ، أي : البركة تكتسب وتنال بذكره ؛ وقال ابن عباس : حاز كل بركة ؛ وحقيقة اللفظة : أن البركة كثرة الخير ودوامه ، ولا أحق بذلك وصفا ، وفعلاً ، منه تبارك وتعالى ، وتفسير السلف ، يدور على هذين المعنيين ، وهما متلازمان ، لكن الأليق باللفظ ، معنى الوصف لا الفعل ؛ فإنه فعل لازم ، مثل : تعالى ، وتقدس ، وتعاظم ؛ ومثل هذه الألفاظ ، لا يصح أن يكون معناها ، أنه جعل غيره عالياً ، ولا قدوساً ، ولا عظيماً ؛ وهذا مما لا يحتمله اللفظ بوجه ، وإنما معناها في نفس من نسبت إليه.

وهو : المتعالي ، المتقدس في نفسه ، فكذلك : تبارك ، لا يصح أن يكون معناها ، بارك في غيره ، وأين أحدهما من الآخر ، لفظاً ومعنى ؛ هذا لازم ، وهذا متعد ، فعلمت : أن من فسر تبارك ، بمعنى : ألقى البركة ، وبارك في غيره ، لم يصب معناها ، وإن كان هذا من لوازم كونه تعالى متباركاً ، فتبارك ، من باب « مجَّد » والمجد : كثرة صفات الجلال ، والكمال ، والسعة ، والفضل ، وبارك من باب « أعطى » و « أنعم ».

ولما كان المتعدي في ذلك ، يستلزم اللازم ، من غير عكس ، فسر من فسر من السلف اللفظة بالمتعدي ، لينتظم المعنيان ، فقال : مجيء البركة كلها من عنده ، أو البركة كلها

من قبله ، وهـذا فرع على تبـاركه في نفسـه ، وتـدبـر قـول النبي ﷺ في حديث ثوبان ، الذي رواه مسلم في صحيحه ، عند انصرافه من الصلاة « اللهم أنت السلام ومنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام » فتأمل هذه الألفـاظ الكريمـة ، كيف جمعت نوعي الثناء ، أعني : ثناء التنزيـه ، والتسبيح ، وثنـاء : الحمد ، والتمجيـد ، بـأبلغ لفظ ، وأوجـزه ، وأتمـه معنى ؛ فأخبر أنه : السلام ، ومنه السلام ؛ فالسلام له وصفاً وملكاً ؛ وقد تقدم بيان هذا في وصفه تعـالى بالسـلام ، وأن صفات كماله ، ونعوت جلاله ، وأفعاله ، وأسمـائه ، كلهـا : سـلام ؛ وكذلـك الحمد ، كله لـه وصفـاً ، وملكـاً ، فهـو : المحمـود في ذاته ، وهـو الذي يجعـل من يشـاء من عبـاده محموداً ، وكذلك العزة ،كلها له وصفاً ، وملكاً ؛ وهو العزيز الذي لا شيء أعز منه ، ومن عز من عبـاده ، فبإعـزازه له ؛ وكذلك الرحمة ، كلها له وصفاً وملكاً ؛ وكذلك البركة ، فهو المتبارك في ذاته ، والذي يبارك فيمن يشاء من خلقه ، وعليه ، فيصير بذلك مباركـاً (تبارك الله رب العـالمين) [الأعراف : ٥٤] (وتبـارك الذي لـه ملك السموات والأرض ومـا بينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون) [الزخرف : ٨٥].

وهذا : بساط ؛ وإنما غاية معارف العلماء : الدنـو من أول حواشيه ، وأطرافه ؛ وأما ما وراء ذلك ، فكما قـال أعلم الخلق ، وأقربهم إلى الله ، وأعظمهم عنده جاهاً « لا أحصى ثناء عليك ، أنت كمـا أثنيت على نفسك » وقـال في حديث

الشفاعة الطويل : « فأخر ساجداً لربي ، فيفتح علي من محامده بما لا أحسنه الآن » وفي دعاء الهم والغم : « أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك : فدل على أن لله سبحانه أسماء وصفات ، استأثر بها في غيبه دون خلقه ، لا يعلمها ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، وحسبنا الإقرار بالعجز ، والوقوف عندما أذن لنا فيه من ذلك ، فلا نغلوا فيه ، ولا نجفوا عنه.

وقال الشيخ : حمد بن عتيق ، رحمه الله تعالى :[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على إعانته وتسديده ، وأشهد أن لا إلـه إلا الله ، وحده لا شريك له ، شهادة : من عادى كل مشرك ، ودان بإبطال تنديده ؛ وصلى الله وسلم على عبده ورسوله، محمد ، خير خلقه ، وأفضل عبيده ، المبعوث بالدعوة إلى دين ربه ، وبيان توحيده.

أما بعد : فإنه قد وصل إلينا ، رسالة من بعض الإخوان من أهل القصيم ، ذكر أنه ألقى إليه ما فيها : بعض الملحدين ، أن : الإمام أحمد ، ومالك ، والشافعي ، وأبا

(١) وقد سمى هذه الرسالة «الفرق المبين، بين مذهب السلف، وابن سبعين، وإخوانه الإتحادية الملحدين».

حنيفة ، والعلماء مثلهم ، تكلموا في الصفات ، كابن عربي ، وابن الفارض ، وابن سبعين ، والتلمساني ، كلهم : خاضوا في الصفات ؛ فالأئمة الأربعة ، قالوا ، سميع ، بصير ، غفور ، رحيم ، عليم ، حليم ؛ وأن كلامهم : مشابه لكلام ابن عربي ، وإخوانه ؛ لأنهم يقولون ذلك ؛ وكلهم ، أطلقوا : أن لله صفات مشابهة لصفات العبد ؛ لأن العبد ، يسمى : سميعاً ، بصيراً ، حليماً ، عليماً .

فإذا قلتم : إنهم في القول سواء ؛ فكيف وجه تبديعهم ؟ وتضليلهم ؟ وتكفيرهم؟ وقد وصفوا الله بما وصف به نفسه ؟! فإن ابن عربي ، والإمام أحمد ، كلهم مسلمون ، يقتدى بهؤلاء ، مثلما يقتدى بهؤلاء ؛ وما الحكم في هذا القائل ؟ والحديث الذي يروى عن أبي هريرة : « أن الله لما خلق الخلق ، أخذ الرحم بحقوه ، فقال : مه . فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة » وهل صح أنه قال : « خلق الله آدم على صورته » ؟ وهل يفسر العجب بالرِّضا ؟ .

فنقول : (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) [البقرة : ٣٢] .

مورد هذا السؤال : إما يكون من أبله الناس ، وأشدهم بلادة ، فكأنه لا شعور له بالمحسوسات ؛ فإن الفرق بين ما عليه الصحابة ، والتابعون ، وأتباعهم ، والأئمة الأربعة ، وإخوانهم ؛ وما عليه ابن عربي ، وابن الفارض ، والتلمساني ،

وابن سبعين ، وأتباعهم : أمر معلوم عند من قرأ القـرآن ، ودخل في قلبه الإيمان ؛ فإما أن يكون هذا المورد ، من جنس الأنعام السارحة ، أو يكون من أتباع ابن عربي ، وإخوانه ، من أهل وحدة الوجود ، وأراد التلبيس على خفافيش البصائر ؛ فينبغي : بيان ما عليه الطائفتان.

فـاعلم : أن الـذي عليـه الصحـابـة ، والتـابعــون ، وأتباعهم ، والأئمة الأربعة ، وجميع أهل السنة والجماعة ، في جميع الأعصار ، والأقطار : أنهم يعتقدون ما دل عليه الكتاب والسنة : من أسماء الرب تعالى وصفاته ، وأفعـاله ، ويثبتـونه لله ، على ما يليق بجلاله ، مع اعتقادهم : أنه دال على معـانٍ كاملة ، ثابتة في نفس الأمر ، من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ، ولا تمثيل ، بل يعتقدون : أن الله لا يشبهه شيء ، لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ؛ فمن شبـه الله بخلقه ، فقـد كفر ؛ ومن جحـد ما وصـف الله بـه نفسـه فقـد كفـر ؛ وليس مـا وصـف الله بـه نفسـه ، أو وصفـه بـه رسوله ﷺ تشبيهاً ؛ ويعتقدون : أن الله مستـوٍ على عرشه ، بائن من خلقه ، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ، وأن العرش فوق جميع المخلوقات.

ويؤمنون بعموم مشيئة الرب ، وسبق قضائه وقدره ، وأن جميع ما في الكون ، من خير ، وشر ، كله بقضاء الله وقدره ، وداخل تحت مشيئته الكونية القدرية ؛ وأنه : أمر بالإيمان به ،

وطاعته ، وطاعة رسوله ، ويحب الإيمان ، والمؤمنين ، ويحب المتقين ؛ ويحب الصابرين ؛ ونحـو ذلك ؛ ويبغض الكفـر ، والمعــاصي ، وينهى عنهــا ؛ ورتب على ذلــك الثــواب ، والعقاب ؛ هذا حاصل معتقد أهل السنة والجماعـة ؛ وهـم : الفـرقة النـاجية ؛ وهم : أهـل الصـراط المستقيم ؛ وأمـا من خالفهم ، من أهل البدع ، والضلالات ، فلهم أهواء مختلفة ، وآراء متشتـة ؛ وهي التي قال الله فيهـا : (ولا تتبعوا السّبـل فتفرق بكم عن سبيله) [الأنعام : ١٥٣] .

والكـلام الآن فيما عليـه أهـل « وحـدة الـوجـود » ابن عربي ، وابن الفارض ، والتلمساني ، وإخوانهم ؛ لأنه الذي تضمنه السؤال ؛ فنقول :

مـذهب هـذه « الطائفـة الملعـونـة » أن الــرب تعـالى وتقدس ، هو عين الوجود ؛ ويصرحون في كتبهم : أن وجود الـرب ، هـو عين وجـود السمـاوات ، والأرض ، والجبـال ، والبحـار ؛ وجميع المـوجودات ، هي عين الـرب ، عندهـم ! فليس عندهم رب ، وعبد ! ولا خالق ، ومخلوق ! !

وقد قال العلامة : ابن القيم ، رحمه الله تعالى آمين :

فالقوم ما صانـوه عن إنس ولا	جـن ولا شجـر ولا حيــوان
لكنـه المطعـوم والملبوس والـ	مشمــوم والمسمـوع بــالآذان
وكذلك قالوا إنــه المنكوح والـ	ـمذبوح بل عين الغوي الزاني
والكفـر عندهم هـدى ولو أنـه	دين المجوس وعابدي الأوثان

قـالوا : وما عبدوا سواه وإنمـا ضلوا بمـا خصـوا من الأعيـان
ولـو أنهم عموا وقـالوا : كلهـا معبــودة مـا كــان من كفـران
قالوا : ولم يك كافراً في قوله أنـا ربكم فرعـون ذو الطغيـان
بـل كان حقـاً قولـه إذ كان عـ ـين الحق مضطلعاً بهذا الشأن
قالوا : ولم يك منكراً موسى لما عبدوه من عجل لذي الخوران
إلا على من كـان ليس بعـابـد معهم وأصبـح ضيق الأعـطان
ولقد رأى إبليس عارفهم فـأهـ ـوى بالسجود هوي ذي خضعان
قالوا له : ماذا صنعت؟ فقال : هل غيــر الإلّـه وأنتم عميان
مـا ثم غير فـاسجدوا إن شئتم للشمس والشيــطان والأصنـام
فـالكـل عين الله عنــد محقق والكـل معبـود لـذي العـرفـان
هـذا هو المعبـود عندهم فقـل سبحـانـك اللهم ذا السبحـان

وقال أيضاً:

واحتـج يـومـاً بـالقـرآن عليهم شخص فقالوا : الشرك في القرآن

فلينظر اللبيب ، إلى ما قاله هؤلاء ، من الكفر العظيم ، من كـونهم يقولـون : إن ربهم هو المـطعوم ، والملبـوس ، والمشمـوم والمنكوح ، والمذبوح ، ونحو ذلك ، تعالى الله وتقدس ، وأن الكفر ، هو الهدى ، وأن المجوس إنما عبدوا الله ، وإنما ضل من ضـل بتخصيصه عبـادته ببعض المخلوقـات ، ولا يكـون مـوحداً عنـدهم إلا من عبد جميـع الموجـودات ومن قولهم : إن فرعون صـادق في قولـه : (أنا ربكم الأعلى) [النـازعات : ٢٤] وأن موسى إنما أنكر على من ترك عبادة العجل ، وأنكر

على هارون إنكاره عليهم ، وكذلك لما سجد بعض أعيانهم للشيطان ، وقال له بعضهم : كيف تسجد له ؟ أجابه : بأنه عين الإله، وأن من سجد للشمس ، والأوثان ، والشيطان ، فقد : سجد لله !! ويقولون : إن جميع ما في الوجود من الكلام ، هو عين كلام الله ؛ فجميع الأغاني ، والأشعار ، والسباب ، كله كلام الله ، كما قال بعضهم:

وكل كلام في الوجود كلامه   سواء علينا نثره ونظامه

ويقولون : إن القرآن كله شرك ، لأنه يفرق بين الخالق والمخلوق ، والعابد والمعبود ، فتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وإذا تبين ذلك ، فمن لم يعرف الفرق بين هؤلاء وما ذهبوا إليه ، وما يقولونه في رب العزة والجلال ، وبين ما يقوله رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون لهم ، فلا حيلة فيه .

فقول هذا الملبس : ابن عربي ، وأتباعه ، مسلمون ؛ والإمام أحمد ، وأتباعه ، مسلمون ؛ يقتدى بهؤلاء ، مثلما يقتدى بهؤلاء ، من أعظم الزور ، وأقبح الفجور ؛ فإن الفرق بين الطائفتين ، والمقالتين : أبعد مما بين المشرق والمغرب .

وقد قال الله تعالى : (أم نجعل الذين ءامنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار) [ص : ٢٨] ، وقال تعالى : (أفنجعل المسلمين كالمجرمين

مــا لكم كيف تحكمـون) [القلم : ٣٥ ، ٣٦] ، وقــال : (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقـاً لا يستوون) [السجـدة : ١٨]س وقال تعالى : (ومـا يستوي الأعمى والبصيـر والذين آمنـوا وعملوا الصالحـات ولا المسيء قليـلاً مـا تتـذكـرون) [غافر : ٥٨] ونحو ذلك في القرآن كثير.

وأما قول هذا الزايغ : إن الأئمة الأربعـة ، خاضـوا في الصفات ، فقد : كذب في ذلك ، وافترى ، فإن الله : قد ذم الخوض وأهله ، كما قال تعالى : (وخضتم كالذي خاضوا) [التـوبـة : ٦٩] وقــال عن الكفـار : (وكنــا نخوض مــع الخائضين) [المدثر : ٤٥] وقال : (فذرهم يخوضوا ويلعبوا) [المعـارج : ٤٢] وقال : (وإذا رأيت الـذين يخوضـون في ءَاياتنا) الآيـة ، في مواضـع من كتـابـه ، [الأنعـام ٦٨، وفي المعارج ، والزخرف ، والنساء].

والأئمـة الأربعـة : إنمـا تكلمـوا في صفــات الـرب ، بإثباتها ، وإمرارها كما جاءت ، واعتقاد دلالـة النصوص على معاني عظيمة ، تليق بجلال الرب وعظمته ، من غير تحريف ولا تعـطيل ، ومن غيـر تكييف ولا تمثيل ؛ فمن سمى هـذا خوضاً ، فهو من أعظم الملبسين ، ومن أكبر المفترين.

وقول هذا المفتري : إن كلام الأئمة ، يشبه كـلام ابن عربي ، كذب ظاهر ، يعرفه كل مؤمن.

وأما قوله : إنهم أطلقوا أن لله صفات مشابهـة لصفات

العبـد ، لأن الله سمى نفسه : سميعـاً ، بصيـراً ، رحيمـاً ، عليماً ، حليماً ؛ وسمى بعض خلقه بذلك ؛ فهذا : من أعظم التلبيس ، لوجهين:

الأول : أنـه كذب على السلف ، والأئمـة ، فإنهم لم يقولوا : إن أسماء الرب ، تشبه أسماء الخلـق . والثاني : أنه إذا قيل ، إن الله : سميع ، بصير ، عليم ، حليم ؛ وقيل في بعض المخلوقين مثل ذلك ، لم يلزم : أن يكون الرب مشابهاً لخلقه ، ولا أن أسماءه ، وصفاته ، مشـابهة لأسمـاء خلقه ، وصفاتهم.

فليس الرحيم ، كالرحيم ؛ ولا الحليـم ، كالحليم ؛ ولا السميع ، كالسميع ؛ ولا البصير ، كالبصير ؛ كذلك ، ليس العلم ، كـالعلم ؛ ولا السمـع ، كـالسمـع ؛ ولا الحلم ، كالحلم ؛ ولا البصر ، كالبصر ؛ فمن قال : إن علم الرب ، وحلمه ، وسمعه ، وبصره ، كعلم العبد ، وحلمه ، وسمعه ، وبصره ، فهو كافر بالله العظيم ، بلا ريب ؛ بل علم الرب تعالى ، وحلمه ، وسمعه ، وبصره ، وجميع صفاته ، كاملة ، مبرأة من جميع العيوب ، والنقائص ، منزهة عن ذلك ؛ ولا يعلم كيف هي ، إلا هو ؛ وعلم الكيفية ممتنع على جميع الخلق ، كما قال أعلم خلقه به : « سبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ».

وأما المخلوق ، فهو ناقص ، ذاته وصفاته وأفعاله ، كلها ناقصة ، ويتطرق إليها الخلل ، ويجوز عليها العدم ؛ بخلاف صفات الرب ، سبحانه وبحمده ؛ ولا يلزم من الاتفاق في التسمية ، الاتفاق في الحقيقة والمسمى ؛ وهذا : هو الفرقان المبين ، بين أهل السنة والجماعة ، وأهل البدعة والضلالة ؛ فإن أهل البدع ، لما لم يفهموا من أسماء الرب ، وصفاته ، إلا ما يليق بالمخلوق، وظنوا : أنهم إذا أثبتوا لله سمعاً ، وبصراً ، وقدرة ، وحلماً ، أن ذلك يلزم منه التشابه ، بين الخالق والمخلوق ـ تعالى الله وتقدس ـ فعند ذلك ذهبوا إلى تحريف النصوص ، وتأويلها ، ونفي ما دلت عليه ، مما يليق بالرب تعالى ؛ فأول مذهبهم : تشبيه ، وتمثيل ؛ وآخره : تحريف ، وتعطيل.

وأما أهل السنة ، والجماعة ، فقالوا : نثبت لله ما أثبته لنفسه ، وأثبته له رسوله ؛ مع اعتقادهم أن مايثبت لله ، لا يشبه ما يثبت لخلقه ؛ لأنهم عرفوا كيفية المخلوق ، فعرفوا كيفية صفاته ؛ والرب يتعالى ويتقدس ، عن أن يعلم أحد كيفية ذاته ، أو صفاته ؛ ولهذا: قال الإمام مالك ، وقبله ربيعة ، ويروى عن أم سلمة : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة.

وأما قوله : إذا قلتم إنهم في القول سواء ، فما وجه تبديعهم ؟ وتكفيرهم ؟ وتضليلهم؟

فنقول : معاذ الله ، أن نقول : إنهم سواء ؛ بل بينهم من الفرق ، أبعد مما بين السماء والأرض ، كما قال ابن القيم رحمه الله :

والله ما استويا ولن يتلاقيا   حتى تشيب مفارق الغربان

ولا يقول : إن قول أهل السنة والجماعة ، كقول ابن عربي ، وأصحابه ــ أهل وحدة الوجود ــ إلا من يقول : إن قول موسى عليه السلام ، وقول فرعون اللعين سواء ؛ وما عليه أبو جهل وإخوانه ، نظير ما عليه الرسول وأصحابه ؛ سبحانك هذا بهتان عظيم.

وأما قوله : ما وجه تبديعهم ، وتكفيرهم؟

فنقول : قال الله تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾ [المائدة : ١٧ ، ٧٢] في موضعين ، وقال تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴾ [المائدة : ٧٣] وقال تعالى : ﴿ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ [آل عمران : ٨٠].

فإذا كان الله قد كفّر ، من قال : إن الله هو المسيح بن مريم ؛ ومن قال : إن الله ثالث ثلاثة ؛ ومن اتخذ الملائكة ، والنبيين أرباباً ؛ فكيف : لا يكفر من جعل جميع الخلق أرباباً ، وقال : إن كل مخلوق هو الله ، حتى يسجد للشمس ،

ويقـول : إن المشـركين إنمـا عبـدوا الله ، ويقـول : إن المخلوقـات ، التي يستحيـا من ذكرهـا ، هي : الله ! يـا لله العجب! .

ولقد أحسن من قال من السلف : إن كفر هؤلاء ، أغلظ من كفر اليهود ، والنصارى ؛ وقد قال ابن القيم : رحمه الله تعالى :

حاشا النصارى أن يكونوا مثلهم وهم الحمير، أئمة الكفران
هم خصصوه بالمسيح، وأمه وألاءِ ما صانـوه عن حيـوان

وأما الحديث الـذي فيه : « أن الله لمـا خلق الخلق ، قامت الرحم » الخ ، وقولـه : (خلق الله آدم على صورتـه) فهذه الأحاديث ثابتة ، ليس فيها ــ ولله الحمد ــ اشكال عند أهل السنة ، والجماعة ؛ وقد قال : (هـو الذي أنـزل عليك الكتاب منه ءَايات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) [آل عمران : ٧] وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » .

وقد كان السلف : يكرهون كثرة البحث عن مثل هذا ، ويقولون : آمنا بالله ، وما جاء عن الله ، على مراد الله ؛ وآمنا برسول الله ، وما جاء عن رسول الله ، على مراد رسول الله ؛ وقال الراسخون في العلم : (آمنا بـه كل من عنـد ربنا) .

فالنصوص الصريحة في إثبات صفات الرب ، على ما يليق بجلاله ، وكماله واستوائه على عرشه ، وأنه فوق جميع مخلوقاته .

ونفي النقائص والعيوب عنه ، وعن صفاته ، معلومة مقررة ؛ وما أشكل من بعضها ، على بعض الناس ، يكفيه : الإيمان به ، مع القطع بأنه لا يخالف ما ظهر له ، ولا يناقضه ؛ وليحذر طالب الحق ، من كتب أهل البدع ، كالأشاعرة ، والمعتزلة ، ونحوهم ؛ فإن فيها من التشكيك ، والإيهام ، ومخالفة نصوص الكتاب ، والسنة : ما أخرج كثيراً من الناس ، عن الصراط المستقيم ، نعوذ بالله من الخذلان .

وأما هذا الذي ألقى هذه الشبهة ، إليكم ، فيجب تعريفه ، وإقامة الحجة عليه ، بكلام الله تعالى ، وكلام رسوله ، وكلام أئمة الدين ؛ فإن اعترف بالحق ، وببطلان ما عليه أهل البدع ، من « الاتحادية » وغيرهم ، فهو المطلوب ، والحمد لله ؛ وإن لم يفعل ، وجب هجره ، ومفارقته ، إن لم يتيسر قتله ، والقاؤه على مزبلة ، لئلا يتأذى بنتن ريحه أهل الإسلام .

وأما قوله : هل يفسر العجب ، بالرضا؟

جوابه ، أن يقال : ما جاء إطلاقه على الرب سبحانه ، من العجب ، والرضا ، والغضب ، والسخط ، ونحو ذلك ، فما يتعلق بمشيئته وإرادته ، يجب إثباته ، على ما يليق بالله

تعالى ، مع نفي التشبيه ، والتمثيل ؛ وإبطال التحريف ، والتعطيل ؛ وأهل البدع : قابلوا ذلك ، بالتأويل ، كما فعلوا بالأسماء ، والصفات ؛ والباب : باب واحد ، عند أهل السنة والجماعة ، لا يحرفون ، ولا يشبهون ، ولا يعطلون ، ولا يكيفون ؛ فعليك بطريقهم، فإنها الصراط المستقيم ، الذي من سلكه فاز بالنعيم المقيم ، ومن أعرض عنه ، فهو من أصحاب الجحيم.

فهذا بعض ما حضرني في هذه المسألة ، مع قلة العلم ، وعدم المساعد ، وكثرة الاشتغال ، والمحل يقتضي مجلداً ، أو أكثر ، لشدة الحاجة ، وظهور الجهل ، وغربة السنة ، ومن يعرفها ، والله المستعان.

وليعلم : الناظر إليه ، أن فيه مواضع ، قد يقال : إن فيها نوع تكرير ، والحامل عليه : خفاء الحق ، وقلة الاهتدى إلى الصواب ؛ ونسأل الله لنا ولكم التوفيق ، وصلى الله على محمد ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليماً كثيراً.

سئل الشيخ : سعد بن حمد بن عتيق ، رحمه الله تعالى ، عن قول السفاريني :

وليس ربنا بجوهر ولا جسم ولا عرض تعالى ذو العلا

فأجاب : إطلاق لفظ « الجوهر » و« العرض » و « الجسم » على الرب سبحانه وتعالى ، إثباتاً ، أو نفياً ، ليس

من عبارات السلف الصالح المقتدى بهم ، في باب : أسماء الرب سبحانه ، وتعالى وصفاته ؛ ومثل ذلك ، لفظ : « الجهة » و « الحيز » وغير ذلك من الألفاظ المجملة ، التي تحتمل حقاً وباطلاً ، لا يوجد شيء من ذلك في كلام السلف الصالح ؛ ومن نسب ذلك ، وما شابهه إلى السلف ، فهو مخطىء في ذلك ، لأن الطريقة المعلومة ، من السلف الصالح ، والجادة المسلوكة المعتبرة ، عندهم في باب أسماء الرب تعالى وصفاته ، أنهم : لا يتكلمون في ذلك ، إلا بما تكلم الله به ، أو تكلم به رسوله ، كما قال الإمام أحمد رحمه الله : لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ﷺ ، لا يتجاوز القرآن ، والحديث.

ولفظ : الجوهر ، والعرض ، والجسم ، فيما يتعلق بذات الرب سبحانه ، وتعالى ، وأسمائه ، وصفاته ، إثباتاً ، أو نفياً ، سجية مذمومة ؛ وقد نص جماعة من أهل السنة ، على أن إطلاق مثل هذه الألفاظ في هذا الباب : أمر مبتدع ، وكلام مخترع ، لا يجوز للمنتسب إلى السنة إطلاقه على الرب سبحانه وتعالى ، إثباتاً ، أو نفياً ؛ ولا يجوز نسبته إلى السلف الصالح.

ونحن نقتصر على ما وجدنا ، من كلام شيخ الإسلام : محمد بن عبد الوهاب ، ونذكره مختصراً ، مقتصرين على المقصود منه ، قال رحمه الله : وأما ما لا يوجد عن الله ، ورسوله ، إثباته ، ونفيه ، مثل : الجوهر ، والجسم ، والجهة ،

وغير ذلك ، لا يثبتونه ، ولا ينفونه ، فمن نفاه فهو عند أحمد والسلف مبتدع ، ومن أثبته فهو عندهم مبتدع ، والواجب عندهم : السكوت عن هذا النوع ، اقتداء بالنبي ﷺ وأصحابه ، هذا معنى كلام الإمام أحمد ـ إلى أن قال ـ وأنا أذكر لك كلام الحنابلة في هذه المسألة.

قال الشيخ تقي الدين ، بعد كلام له في الرد على من قال : إنه ليس بجسم ، ولا جوهر ، ولا عرض ؛ قال رحمه الله : فهذه الألفاظ ، لا يطلق إثباتها ولا نفيها ، كلفظ الجوهر ، والجسم ، والحيز ، ونحو ذلك من الألفاظ ـ إلى أن قال ـ شيخ الإسلام ، والمقصود : أن الأئمة ، كأحمد ، وغيره ، ذكر لهم أهل البدع الألفاظ المجملة ، كلفظ : الجسم ، والجوهر ، والحيز ، ولم يوافقوهم لا على إطلاق الإثبات ، ولا على إطلاق النفي ؛ انتهى كلام الشيخ تقي الدين.

وهذا آخر ما نقلنا من رسالة ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، ومن كلام أبي الوفا ابن عقيل ، قال : وأنا أقطع أن أبا بكر ، وعمر ، ماتا ، ما عرفا الجوهر ، والعرض ، انتهى. وفي هذا كفاية لمن أراد الله هدايته ، والله أعلم.

قال الشيخ : سليمان بن سحمان ، رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

من سليمان بن سحمان ، إلى الشيخ : علي بن عبد الله بن عيسى ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد : فقد وقفت على الورقة ، التي كتبتها في الإعتراض على ما نظمته ، في الرد على دحلان ، إمام الكفر والطغيان ، وسنح لي أولاً : أن اعتراضك على النظم ، من جهة أنه لا يجوز التعبير عن كلام الله عز وجل ، بأنه صفة قول ؛ فسألتك عن وجه الإعتراض ، ما هو؟ مع أنه ورد ذلك في نصوص الكتاب والسنة ، وأقوال سلف الأمة ، وأئمتها ؛ فأجبتني بهذا الجواب ، فعلمت : أنك لم تتصور كلامي ، على ما هو عليه ، وما أردته به ، وما قصدته بالرد على أعداء الله ورسوله ، فبادرت بالاعتراض ، قبل أن تسأل عن المراد ، وقبل تأمل موضوع الكلام ؛ وما هكذا يا سعد تورد الإبل.

بل الواجب أولاً : تأمل ما يراد من الكلام ، وموضوعه ؛ وثانياً : سؤال أخيك عن وجه ما أشكل عليك من كلامه ، وما أراد به ؛ فإن كان حقاً صواباً ، أثنيت به عليه ، وإن كان خطأ ، أرشدته إلى الحق ، ودللته عليه ، فإن الحق ضالة

المؤمن ، أينما وجده أخذه ، وليس في الرجوع إلى الحق غضاضة ، على مريد الحق والإنصاف ؛ وهذا نص كلامي ، لتعلم أنك ما فهمت مرامي ، فقلت على ما أورده ، من جواز التوسل بحق الأنبياء ، والأولياء ، والسؤال بهم ، لما استدل على جواز ذلك ، بحديث أبي سعيد ، بقوله : « اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق ممشاي هذا » الحديث.

فمعناه إن صح الحديث فإنه	على غير ما قد لاح في وهم ذي اللد
فحق العباد السائلين إذا دعوا	بغير اعتداء باذلي الجد والجهد
إجابتهم منا وفضلاً ورحمة	وجوداً وإحساناً من المنعم المسدي
وحق المشاة الطائفين لربهم	إثابتهم والله ذو الفضل والمد
إذا صح هذا فالتوسل لم يكن	بغير صفات الله يا فاقد الرشد
هما صفتا قول وفعل لربنا	فسبحانه من ماجد واحد فرد
ولم يك من باب التوسل بالورى	كما قلته يا فاسد الرأي والقصد
وطاعته سبحانه وسؤاله	هما سببا تحصيل ذلك للعبد
إجابته للسائلين وكونه	يثيب المشاة الطائعين ذوي الرشد
فلم يبق في نص الحديث دلالة	تدل على ما قال من رأيه المردي

ومرادي بهذا الكلام : إبطال ما استدل به ، على جواز التوسل بحق الأنبياء ، والأولياء ، والسؤال بهم ، وذلك أن موضوع الكلام فيه ، وفي جوازه ، وليس الكلام معه في تقرير إثبات الصفات ، أو تقسيمها إلى قولية وفعلية ، وذكر ما يقابل الفعلية ، من الصفات الذاتية اللازمة ، كالحياة ، والعلم ، والسمع ، والبصر ، ونحو ذلك ؛ ولا بيان صفات الأفعال

الإختيارية ، المتعلقة بالمشيئة والقدرة ، فإن ذلك كله ليس من موضوع الكلام ، ولا له ذكـر في كلام الملحـد ، حتى أذكر ذلك ، أو ما يرد علي مما يلزمني به الخصم ، وليس فيه ذكر أقوال أهل البدع ، والأهواء ، المخالفة لما عليه أهـل السنة والجماعة ، كالاتحادية ، والكلابية ، والأشعرية ، والكراميـة ، وغيرهم ؛ فإن في ذكر ذلك إذ كان ، لم يكن من مقصودنـا خروجاً عن المقصود ، ينافي مطابقة الكلام الواقع ، لمقتضي الحال.

وأما ما سنح لك من الإعتـراض ، مما هـو خارج عن موضوع الكلام ، من أني جعلت صفات الباري ـ جل ثناؤه ـ قسمين ، فعلية ، وقوليه ؛ وأنه : يلزمني على ذلك ، أن تكون الصفة القولية ، مغايرة للصفات الفعلية ، قسيمة لها ، مباينـة لها ؛ فهذا لم يخطر مني على بال ، ولا قصدت ذلك ، ولا أردته بكلامي ، كما تقدم بيان ذلك ؛ وإنما نظمت ما ذكره : شيـخ الإسلام ، ابن تيميـة ، رحمـه الله ، على حـديث أبي سعيد ، وقد ذكرته لك ، فأعرضت عنه ، وعن مقتضى كلامه.

وهذا نص كلامـه ، ليتبين لك أني لم أقـل من عندي شيئاً ، يناقض كلام شيخ الإسلام ، أو يخالفـه ، قال رحمـه الله : وأما قوله في حديث أبي سعيد «أسألك بحق السائلين عليـك ، وبحق ممشاي هـذا» فهذا الحـديث ، رواه عـطيـة العوفي ، وفيه ضعف ، لكن بتقدير ثبوته ، هو من هذا الباب ، فحق السائلين عليه سبحانه أن يجيبهم ؛ وحق المطيعين له أن

يثيبهم ؛ فالسؤال له والطاعة له ، سبب لحصول إجابته وإثابته ، فهو من التوسل به ، والتوجه به ، والتسبب به ، ولو قدر أنه قسم ، لكان قسماً بما هو من صفاته ، فإن إجابته ، وإثابته ، من أفعاله وأقواله ؛ فصار هذا : كقوله ﷺ في الحديث الصحيح « أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » الخ كلامه رحمه الله.

فتأمل رحمك الله قولي : وهما صفتا فعل وقول لربنا ؛ هل بينه ، وبين قول شيخ الإسلام ـ ولو قدر أنه قسم ، لكان قسماً بما هو من صفاته ، فإن إجابته ، وإنابته ، من أقواله ، وأفعاله ـ فرق ؟ وأن هاتين الصفتين : ليستا من أقواله ، وأفعاله ؛ بل يقال : إنها صفة واحدة ، فبينه لي ، فإن كان الواو من قولي : هما صفتا قول وفعل ، يقتضى المغايرة ، وأنها بذلك تكون قسيمة لها مباينة ، فما وجه كلام شيخ الإسلام؟! وقد قال ذلك ، كما هو في كلام غيره من أئمة الإسلام.

فتبين : أني لم أقل من عند نفسي شيئاً اخترعته ، أو قولاً افترعته ، حتى يعترض علي ، بأني جعلتها قسيمة لها ، وإذا تبين هذا وعرف ، فليس هذا المبحث من موضوع كلامي ، وإنما موضوعه ، في إبطال دعوى من ادعى ، أنه يجوز التوسل بحق الأنبياء ، والأولياء ، والسؤال بهم ؛ فإن شيخ الإسلام ذكر : أنه لا يعرف قائلاً بذلك ، ولا يجوز القسم

بنبينا ﷺ ، إلا ما يذكر عن العز بن عبد السلام ، على تقدير صحة الحديث وثبوته ، ولا يصح ؛ فأما ما كان قسماً ، بما هو من صفاته ، فلا محذور فيه ، ولا مانع من ذلك ؛ فأين هذا من هذا ، لو كان هناك تصوراً لما يراد من الكلام ؟!

وأما ما ذكرته من كلام ابن القيم رحمه الله ، وأن الإمام أحمد ، جعل كلام الله صفات فعل ، قائم بالذات ، فهو الحق الذي لا مرية فيه ، لكن لا ينافي ذلك أن يوصف الله تعالى بهاتين الصفتين معاً ، كما ذكر ذلك ابن القيم بعد هذا ، بنحو من ثمانية وعشرين سطراً ، حيث قال:

والله عاب المشركين بأنهم ... عبدوا الحجارة في رضا الشيطان
ونعى عليهم كونها ليست بخا ... لقة وليست ذات نطق بيان
فأبان أن الفعل والتكليم من ... أوثانهم لا شك مفقودان
وإذا هما فقدا فما مسلوبها ... بإلّه حق وهو ذو بطلان
والله فهو إلّه حق دائماً ... أفعنه ذا الوصفان مسلوبان

إلى أن قال:

وكذاك أيضاً لم يزل متكلما ... بل فاعلاً ما شاء ذو الإحسان

فذكر رحمه الله : أن الفعل ، والتكليم ، من أوثانهم مفقودان ، وأنهما وصفان للإلّه الحق ، غير مسلوبان عنه ، فتأمله .

وله أيضاً رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

من سليمان بن سحمان، إلى عبد العزيز العلجي، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فقد بلغني أنك استدركت علي فيما تزعم، كلمات في أبيات، وذلك في قولي:

على السيد المعصوم والآل كلهم وأصحابه مع تابعي نهجهم بعد

فزعمت: أنا ننكر، ونشدد على من قال: سيدنا محمد ﷺ، وأن هذا مذهبنا، أهل «نجد» وهذا كذب، وافتراء علينا، ما أنكر ذلك منا أحد، ولا كان ذلك مذهبنا، بل إنما ينقل ذلك عن إمام مذهبك: مالك رحمه الله، فإن كان ذلك خطأ وعيباً، فعلى إمامك، وعلى نفسها تجني براقش.

وأما نحن: فلا ننكر ذلك، لقوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» وقوله: «إن ابني هذا سيد» وقوله للأنصار: «قوموا إلى سيدكم» وقوله: «من سيدكم يا بني سلمة» فقالوا له: الجد بن قيس، على أنا نبخله فينا، ثم قال ﷺ: «بل سيدكم عمرو بن الجموح» إذا فهمت هذا، فمن أين لك أنا ننكر ذلك ونشدد فيه؟ ومن حدثك بهذا؟ أو نقل عنا؟ وفي أي كتاب وجدت ذلك؟ وقد كان لي عدة رسائل، ومناظيم، وكل ذلك قد ذكرته فيها؛ فإذا تحققت هذا، وعلمت أن هذا

من سوء فهمك ، واختلاج وهمك ، وقصور باعك ، وعدم اطلاعك ، فاعلم : أن العلماء قد اختلفوا في ذلك.

قال العلامة ابن القيم في « بدائع الفوائد » اختلف الناس في جواز إطلاق « السيد » على البشر ، فمنعه قوم ، ونقل عن مالك ، واحتجوا بقول النبي ﷺ ، لما قيل له : يا سيدنا ، قال : « السيد الله تبارك وتعالى » وجوزه قوم ، واحتجوا بقول النبي ﷺ : « قوموا إلى سيدكم » وهذا أصح من الحديث الأول ؛ قال هؤلاء : السيد أحد ما يضاف إليه ؛ فلا يقال للتميمي : سيد كنده ؛ ولا يقال للملك : سيد البشر ؛ قال : وعلى هذا ، فلا يجوز أن يطلق على الله هذا الاسم ، وفي هذا نظر ؛ فإن السيد ، إذا أطلق عليه تعالى ، فهو في منزلة المالك ، والمولى ، والرب ؛ لا بمعنى الذي يطلق على المخلوق ، انتهى.

وفي هذه المسألة بحث ، ليس هذا موضع ذكره ، إذ الغرض من ذكر هذا ، نفي ما نسبه إلينا من لا معرفة له بحقيقة ما لدينا ، وليس عندهم إلا الظن (وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً) [النجم : ٢٨] بل الذي ينبغي أن ينكر ، وأن ينشر : خزي قائله في الخافقين ، ويذكر قول القائل منكم :

ومذهبنا: تفويض آي صفاته وتحريمنا ما ثم أن نتكلما

وغير ذلك من الأوهام ، مما قد نبهنا عليه في الجواب ، ومذهب أهل التفويض ، من أشر المذاهب ، وأخبثها ، كما ذكر ذلك : شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه الله ، لأن مذهب

هؤلاء ، يتضمن : تجهيل الرسول ، وأنه لا يعلم معاني ما أنزل الله عليه ، من ذكر أسمائه ، وصفاته ، ونعوت جلاله ؛ وحقيقة ما يقوله هؤلاء : يا معشر العباد ، لا تطلبوا معرفة الله ، ولا ما يستحقه من الصفات ، نفياً ، وإثباتاً ، لا من الكتاب ، ولا من السنة ، ولا من طريق سلف الأمة ؛ ولكن : انظروا أنتم ، فيما وجدتموه مستحقاً له ، من الصفات ، فصفوه به ، سواء كان موجوداً في الكتاب ، والسنة ، أولم يكن ، وما لم تجدوه مستحقاً له في عقولكم ، فلا تصفوه به.

ثم هم هنا فريقان : أكثرهم يقول : ما لم تثبته عقولكم فانفوه ؛ ومنهم من يقول : بل توقفوا فيه ، وما نفاه قياس عقولكم ، الذي أنتم فيه مختلفون ، ومضطربون اختلافاً ، أكثر من جميع اختلاف على وجه الأرض ، فانفوه ، وإليه عند التنازع فارجعوا ، فإنه الحق الذي تعبدتم به ، وما كان مذكوراً في الكتاب والسنة ، مما يخالف قياسكم هذا ، ويثبت ما لم تدركه عقولكم ، على طريقة أكثرهم ، فاعلموا أنما امتحنتم بتنزيله ، لا لتأخذوا الهدى منه ، لكن اجتهدوا في تخريجه ، على شواذ اللغة ، ووحشي الألفاظ ، وغرائب الكلام ، أو أن تسكتوا عنه مفوضين علمه.

هذا حقيقة الأمر ، على رأي المتكلمين ، الذين كثر في باب معرفة الله اضطرابهم ، وغلظ عن معرفة الله حجابهم ، وإلا فقد كان من المعلوم ، أنه لم ينقل عن أحد من سلف الأمة ، ولا من الأئمة ، لا أحمد بن حنبل ، ولا غيره ، أنه

أدخل أسماء الله وصفاته ، أو بعض ذلك في المتشابه ، الذي لا يعلم تأويله إلا الله ، أو اعتقد أن ذلك هو المتشابه ، الذي استأثر الله بعلم تأويله ، ولا نفى أحد منهم أن يعلم أحد معناه ، ولا جعل أسماء الله وصفاته ، بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم ، ولا قالوا : إن الله ينزل كلاماً لا يفهم أحد معناه ؛ وإنما قالوا : كلمات لها معان صحيحة ، قالوا في أحاديث الصفات : تمر كما جاءت ، ونهوا عن تأويلات الجهمية ، وردوها ، وأبطلوها ، التي مضمونها : تعطيل النصوص عما دلت عليه .

ونصوص أحمد ، والأئمة قبله ، بينة في أنهم : كانوا يبطلون تأويلات الجهمية ، ويقرون : النصوص على ما دلت عليه من معناها ، ويفهمون منها بعض ما دلت عليه ، كما يفهمون ذلك في سائر نصوص الوعد ، والوعيد ، والفضائل ، وغير ذلك ؛ وأحمد قد قال في غير أحاديث الصفات : تمر كما جاءت في أحاديث الوعيد ، مثل قوله : « من غشنا فليس منا » وأحاديث الفضائل ، ومقصودهم في ذلك : أن الحديث لا يحرف كلمه عن مواضعه ، كما يفعله من يحرفه ، ويسمي تحريفه تأويلاً ، بالعرف المتأخر.

وعلى هذا : فما بقي للتفويض معنى يصار إليه ، على قول الناظم إلا تعطيل النصوص ، عما دلت عليه ، من المعاني اللائقة بجلال الله وعظمته ، لأن ذلك عنده من المتشابه ، أو

مما استأثر الله بعلم تأويله ، فهذا الذي ينبغي أن يعترض على صاحبه ، ويزجر ، وينشر خطؤه في العالمين ، ويذكر ؛ والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على محمد.

وله أيضاً : جواب أبيات ، أرسل بها التلمساني ، وقد أجاب عنها شيخ الإسلام بنثر ، ولكن أراد المشاركة ، مع علماء أهل السنة ، فقال:

يا طالباً مني جواباً ... يشفي عليلاً قد دهاه الفاتن
إن الجواب عن السؤال محرر ... ومقرر وهو الجواب الضامن
وهو الصواب فرد معيناً صافياً ... ما ماؤه نزر ولا هو آسن
قد قاله حبر إمام عالم ... بحر خضم زاخر لا آجن
أعني تقي الدين من يكنى أبا الـ ... ـعباس من في الدين ليس يداهن
فخذ الجواب مفصلاً عن قوله ... وجوابه والحق منه بائن
لكنما قول النفاة مخالف ... للحق حقاً فهو قول واهن

* * *

والحق حتماً أنه سبحانه ... عن كل مخلوق تعالى بائن
من فوق عرش فوق سبع قد علا ... هذا هو الحق الصواب الكائن
هو أول هو آخر سبحانه ... هو ظاهر سبحانه هو باطن
ما فوق عرش فوق سبع خالق ... غير الإلّه الحق يا ذا الفاتن
إن الجهات جميعها عدمية ... في حقه والله عنها بائن[1]

---

(١) مراده ــ رحمه الله ــ الجهات الوجودية.

مـا ثم غيـر الله مـوجـود ولا   رب سـواه معـاون أو كـائن
لكن نفـات صفـاتـه وعـلوه   في كل أمر باطل قـد شاحنـوا
ويقـدرون لـوازمـاً هي كلهـا   مـا قـالهـا في الله إلا مـائن
كالجسم والاحياز والجهة التي   ينفـونهـا ذاك الفـريق الفـاتن
ألفـاظهـا بـدعيـة يعنى بهـا   معنى صحيـح وهو فيهـا كامن
إذ أوهمـونـا أنمـا مقصـودهم   بـالنفي عنهـا أنـه لا سـاكن
أو تحصـر الخـلاق مخلوقـاتـه   بـل لا تحيط بـه وفيهـا قـاطن
كـلا ولا تحويـه فيمـا أظهـروا   للنـاس تنـزيهـاً وهـذا البـائن

* * *

لكنهم قـد أبطنـوا معنى سوى   ما أظهروا والقصد منهم واهن
أن ليس فوق العرش رب قد علا   بالذات فوق الخلق عنهم بائن
بـل ليس تعرج نحـوه أمـلاكـه   والـروح لم يعرج ولا ذا كـائن
والمصطفى المعصوم لم يعرج به   نحو السماء كمـا يقول المـائن
كـلا ولا كلم إليـه صـاعـد   حقـاً ومـا منهم بهـذا دائن
والـرب لم ينزل ومـا هو نـازل   فيمـا لـديهم وهـو أمـر واهن

* * *

فالقول بـالتجسيم أمر محـدث   كالقول في جهـة وفيها سـاكن
وكـذا التحيز والحـدود فـإنهـا   ليست لها في الشرع أصل كائن
كالقول بالأعراض والأغراض   والأبعـاض في ذا كله قد بـاينوا
أهل الهدى والدين في أديانهم   في الله ممـا قـد نمـاه الآفن
لسنـا نقـول بنفيهـا حتمـاً ولا   اثبـاتهـا فـالشـر فيهـا كـامن
والحق قـد يعنى بها أيضـاً فما   ندري بما يعني المهين الفاتن

لكننـا إن قـال هـذا قـائـل واضطرنا عنه الجواب الصائن
للحق عمـا قيل بـاستفسـارهم عن قصدهم حتى يبين الباطن
إن فسروا معنى صحيحاً واضحاً قلنـا لهم هـذاك حق كـائن
واللفظ والاطـلاق بـدعي ولا نرضى بما قال الجهول الماجن
أو فسـروا معنـا خبيثـاً واهيـاً في ضمنه التعطيـل حقاً كـامن
قلنـا لهـم هـذاك أمـر سيء إنكـاره الحق المبين البـائـن
والكفـر لا ندعـوا به من قـالها بدأ وجهلا حين يـدهى المائن
إلا إذا قـامت عليـه حـجـة فـالكفر والتعـطيـل منـه كـائن
هـذا الـذي أدى إليـه علمنـا وبه لذي العرش المهيمن دائن
والقـول بالتفصيـل فيمـا قـالـه شيـخ الهدى والحق منـه بـائن

* * *

فـانـظر إلى تبيينـه مـا مـوهـوا من قيلهم والكـل منـهم آفـن
حتى اغتدى نهج الهدى كالشمس لا يخفيـه قول من مـريب شـائن
فـاشكـر لـه في رده أقـوالهم لمـا نفاهـا وارتضاهـا المـاجن
بـالعلم والتحقيق لا مـا قـالـه أضـداده والكـل منهم مـائن
هم في طـريق بالـدعـاوى والهـوى والحق والـتحـقيـق عنـهم ظـاعـن
والقـوم بـالتضليـل دأبـا دائمـاً ذا شـأنهم والكل منهم طـاعن
والحمـد لله الـذي مـا زاغنـا عن منهـج فيه المجـاري آمن

* * *

وكتب الشيخ : **سليمان بن سحمان** ، للشيخ : عبدالله بن عبد العزيز العنقري :

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم : أنه جرى بيننا البحث ، فيما ذكره ابن القيم في « سفر الهجرتين » على قوله ﷺ : « اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء » قال : فقوله ﷺ : « الظاهر الذي ليس فوقه شيء ، والباطن الذي ليس دونه شيء ، يدلان العبد ، على معرفة إحاطة الرب سبحانه بالعالم ، وعظمته ، وأن العوالم كلها في قبضته ، وأن السماوات السبع ، والأرضين السبع ، في يده كخردلة في يد العبد ، قال تعالى : (وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس) [الإسراء : ٦٠] وقال : (والله من ورائهم محيط) [البروج : ٢٠] ولهذا يقرن سبحانه بين هذين الاسمين ، الدالين على هذين المعنيين ، اسم « العلو » الدال على أنه الظاهر ، وأنه لا شيء فوقه ؛ واسم « العظمة » الدال على الإحاطة ، وأنه لا شيء دونه ، كما قال تعالى : (وهو العلي الكبير) [سبأ : ٢٣] وقال : (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم) [البقرة : ١١٥] .

وهو تبارك وتعالى ، كما أنه العالي على خلقه بذاته

فليس فوقه شيء ، فهو الباطن بذاته فليس دونه شيء ، بل ظهر على كل شيء فكان فوقه ، وبطن فكان أقرب إلى كل شيء من نفسه ، وهو محيط به حيث لا يحيط الشيء بنفسه ، وكل شيء في قبضته ، وليس في قبضة نفسه ، فهذا قرب الإحاطة العامة ، انتهى .

وقد ذكرت لي : أني إذا ظفرت بشيء يبين حقيقة ما ذكره الشيخ ، ويوضحه ، أني أذكر لك ذلك ، فاعلم : أني تأملت كلامه ، ووضح لي مقصوده ومرامه ، ورأيت ما يوضح ذلك ، في كتابه « الصواعق المرسلة » في بحث الإحاطة ، وأحببت أن أكتب إليك بذلك .

قوله : « الظاهر الذي ليس فوقه شيء ، والباطن الذي ليس دونه شيء » يدلان العبد : على معرفة إحاطة الرب سبحانه بالعالم ، وعظمته ، وأن العوالم كلها في قبضته ، وأن السماوات السبع ، والأرضين السبع ، في يده كخردلة في يد العبد ؛ فإذا كان من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام ، وضرورة العقل ، أنه : الأول بذاته قبل كل شيء ، وأنه الآخر بذاته بعد كل شيء ، والظاهر بذاته فوق كل شيء ، فكذلك ، هو الباطن بذاته دون كل شيء ، ولا نفرق بين أسمائه ، بآرائنا القاصرة ، وأفهامنا الباردة ، لأنه لم يقل في الحديث ، والباطن الذي هو تحت كل شيء ، لأن ذلك ينافي قوله : « والظاهر الذي ليس فوقه شيء » بل قال : « والباطن الذي ليس دونه شيء » لأنه لا تواري منه سماءٌ سماءً ، ولا أرض أرضاً ، ولا

يحجب عنه ظاهر باطناً ، بل الباطن له ظاهر ، والغيب عنده شهادة ، والبعيد منه قريب ، والسر عنده علانية .

وقد بين رحمه الله معنى «البطون» بقوله : وبطن فكان أقرب إلى كل شيء من نفسه ، وهو محيط به حيث لا يحيط الشيء بنفسه ، وكل شيء في قبضته ، وليس في قبضة نفسه ؛ فهذا قرب الإحاطة العامة ؛ فبين رحمه الله معنى قوله : « وأنت الباطن فليس دونك شيء » بقوله : وبطن فكان أقرب إلى كل شيء من نفسه ، وهو محيط به ، حيث لا يحيط الشيء بنفسه ، وكل شيء في قبضته ، وليس في قبضة نفسه ، يوضح ذلك ، قوله : وأن العوالم كلها في قبضته ، وأن السماوات السبع ، والأرضين السبع في يده ، كخردلة في يد العبد ، فكانت جميع العوالم ، والسماوات والأرض ، في قبضته كخردلة في يد العبد .

وقال الشيخ : عبد الله بن عبد العزيز العنقري ، وفقه الله :

قال شيخ الإسلام في « المنهاج » في رده على الرازي ، وكذلك إذا تكلم في المطر ــ يعني : الرازي ــ يذكر قول أولئك ، الذين يجعلونه حاصلاً عن مجرد البخار المتصاعد، والمنعقد في الجو ؛ وقول من يقول : إنه أحدثه الفاعل المختار بلا سبب ؛ ويذكر قول من يقول : إنه نزل من الأفلاك ، وقد يرجح هذا القول في تفسيره ؛ ويجزم بفساده في موضع آخر ؛ وهذا القول ، لم يقله أحد من الصحابة ، ولا

التابعين لهم بإحسان ، ولا أئمة المسلمين ، بل سائر أهل العلم من المسلمين ، من السلف والخلف ، يقولون : إن المطر نزل من السماء .

ولفظ « «السماء » في اللغة ، والقرآن ، اسم : لكل ما علا ، فهو : اسم جنس للعالي ، لا يتعين في شيء إلا بما يضاف إلى ذلك ؛ وقد قال : (فليمدد بسبب إلى السماء) [الحج : ١٥] وقال : (أنزل من السماء ماء) [الرعد : ١٧] وقال : (ءَأمنتم من في السماء) [الملك : ١٦] والمراد بالجميع : العلو، ثم يتعين هنا بالسقف ونحوه ، وهناك : بالسحاب ؛ وهناك : بما فوق العالم كله ؛ فقوله : (أنزل من السماء) أي : من العلو ، مع قطع النظر عن جسم معين ، لكن قد صرح في مواضع أخر ، بنزوله من السحاب ، كما في قوله تعالى : (أفرأيتم الماء الذي تشربون ، ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون) [الواقعة : ٦٨ ، ٦٩] والمزن : السحاب ؛ وقال : (ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً) الآية [النور : ٤٣] ، والودق : المطر ، وقال : (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً) إلى قوله : (فترى الودق يخرج من خلاله) [الروم : ٤٨].

فأخبر سبحانه : أنه يبسط السحاب في السماء، وهذا مما يبين أنه لم يرد بالسماء هنا الأفلاك ، فإن السحاب لا يبسط في الأفلاك ، بل الناس يشاهدون السحاب يبسط في الجو ، وقد يكون الرجل في موضع عال ، إما على جبل ، أو

على غيره ؛ والسحاب يبسط أسفل منه ، وينزل منه المطر ، والشمس فوقه ــ إلى أن قال ــ وكذلك المطر ، معروف عند السلف والخلف ، أن الله تبارك وتعالى يخلقه من الهواء ، ومن البخار المتصاعد ، لكن خلقه للمطر من هذا ، كخلق الإنسان من نطفة ، وخلقه للشجر والزرع من الحب والنوى ، فهذا معرفته بالمادة التي خلق منها .

ونفس المادة : لا توجب ما خلق منها ، باتفاق العقلاء ؛ بل : لا بد من ما به يخلق تلك الصورة على ذلك الوجه ؛ وهذا هو الدليل على القادر المختار الحكيم ــ إلى أن قال ــ على قوله تعالى : (أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز) [السجدة : ٢٧] فهذه الآية : يستدل بها على علم الخالق ، وقدرته ، ومشيئته ، وحكمته ؛ وإثبات المادة التي خلق منها المطر ، والشجر ، والإنسان ، والحيوان ، مما يدل على حكمته ، ونحن : لا نعرف شيئاً قط خلق إلا من مادة ، ولا أخبر الله في كتابه بمخلوق ، إلا من مادة ، انتهى كلامه .

قال في « الصواعق » الوجه الثامن : أن الله سبحانه ذكر الإنزال على ثلاث درجات ؛ إنزال مطلق ، كقوله : (وأنزلنا الحديد) [الحديد : ٢٥] فأطلق الإنزال ، ولم يذكر مبدأه ، وقوله : (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) [الزمر : ٦] ؛ الثانية : الإنزال من السماء ، كقوله : (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) [الفرقان : ٤٨]؛ الثالثة : إنزال منه سبحانه ، كقوله : (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) [الزمر : ١]

وقوله : (قل نزله روح القدس) الآية [النحل : ١٠٢] وقال : (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربـك بالحق) [الأنعام : ١١٤].

فأخبر : أن القرآن منزل منه ، والمطر نزل من السماء ، والحديد والأنعام ، منزلان نزولاً مطلقـاً ؛ وبهذا يـظهر تلبيس المعطلة ، والجهمية ، والمعتزلة ، حيث قالوا : إن كون القرآن منـزلاً ، لا يمنع أن يكـون مخلوقاً ، كـالمـاء ، والحـديـد ، والأنعام ، حتى غلا بعضهم ، فاحتج على كونه مخلوقاً بكونه منزلاً ، وقال : الإنزال بمعنى الخلق ، وجوابه : أن الله سبحانه فرق بين النزول منه ، والنزول من السماء ، فجعل القرآن منزلاً منه ، والمطر منزلاً من السماء ، وحكم المجرور بمن في هذا الباب حكم المضاف .

والمضاف إليه سبحانه : نوعان ؛ أحدهما : أعيان قائمة بـأنفسها ، كبيت الله ، ونـاقة الله ، وروح الله ، وعبـده ، فهذا إضافة مخلوق إلى خالقه ، وهي إضافة اختصاص وتشريف ؛ الثـاني : إضافـة صفة إلى مـوصوفهـا ، كسمعـه ، وبصـره ، وحياته ، وعلمه ، وقدرته ، وكلامه ، ووجهه ، ويده . . . إلخ . وإنما أطلنا النقل ، لأنك قد تفهم منه شيئاً لم يظهر لنا.

وراجعنا حاشية على « المصابيح » قوله : « حديث عهد بربه » أي : قريب العهد من عند ربه ، لم يخالطه ما يغسل به الأيدي الظالمة ، والأكف العادية.

وقال في الهدى ، بعد قوله : « هذا حديث عهد بربه » قال الشافعي : أخبرني من لا أتهم عن يزيد بن الهاد ، أن النبي ﷺ كان إذا سال السيل ، قال : « اخرجوا بنا إلى هذا الذي جعله الله طهوراً ، فنتطهر منه ، ونحمد الله عليه » وأخبرنا من لا أتهم ، عن إسحاق بن عبد الله ، أن عمر كان إذا سال السيل ، ذهب بأصحابه إليه ، وقال : ما كان ليجيء من مجيئه أحد ، إلا تمسحنا به ، انتهى من هديه ﷺ في الاستسقاء.

والذي نفهم : أن الإنزال ، والخلق ، من صفات الأفعال ، من غير إشكال ؛ فإن كان مقصود النووي : تأويل صفات الأفعال ، فلا شك في بطلانه ؛ وإن كان مقصوده : بيان أن المطر جديد الخلق ، مع قطع النظر عن التعرض لصفات الرب ، فلم يظهر لنا في ذلك منع ؛ والذي فهمنا من كلامكم : أن النووي متعرض لتأويل صفات الأفعال ، وهذا لا شك في بطلانه ؛ وصلى الله على محمد ، وآله وصحبه وسلم .

تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع :
كتاب العبادات



فهرس

الجزء الثالث من كتاب الدرر السنية في الأجوبة النجدية